www.ibtesama.com/vb

إنسانيات

الوحى الأمريكى

قصة الارتباط «البناء» بين أمريكا و الإخوان

عبد العظيم حماد

عصير الكتب
www.ibtesama.com/vb
منتدى مجلة الإبتسامة

الهيئة المصرية العامة للكتاب

www.ibtesama.com/vb

عصير الكتب
www.ibtesama.com/vb
منتدى مجلة الإبتسامة

www.ibtesama.com/vb

عصير الكتب
www.ibtesama.com/vb
منتدى مجلة الإبتسامة

الوحى الأمريكى

قصة الارتباط «البناء» بين أمريكا و الإخوان

www.ibtesama.com/vb

المشرف العام
د. أحمد مجاهد

اللجنة العليا
د. أحمد زكريا الشّلق
د. أحمد شوقى
د. حسن طلب
أ. سامح فوزى
أ. صلاح عيسى
أ. طلعت الشايب
أ. عبلة الرويني
د. محمد بدوى مقرر
د. محمود عزب
د. مصطفى لبيب

تصميم الغلاف
وليد طاهر

الإشراف الفنى
على أبو الخير
صبرى عبد الواحد

تنفيذ
الهيئة المصرية العامة للكتاب

www.ibtesama.com/vb

الوحى الأمريكى

قصة الارتباط «البناء»
بين أمريكا و الإخوان

عبد العظيم حماد

مكتبة ٢٠١٤

www.ibtesama.com/vb

الوحى الأمريكى .. قصة الارتباط «البناء» بين أمريكا و الإخوان

حماد ، عبد العظيم.
الوحى الأمريكى قصه الارتباط "البناء" بين أمريكا و
الإخوان / عبد العظيم حماد . ـ القاهرة : الهيئة المصرية
العامة المصرية،٢٠١٣.
٢٦٨ص ، ٢٠سم
تدمك ١ ـ ٧٢٣ ـ ٤٤٨ ـ ٩٧٧ ـ ٩٧٨.
١ ـ الولايات المتحده الأمريكية ـ العلاقات الخارجية.
أ ـ العنوان.
رقم الإيداع بدار الكتب ٢٠١٣/١٥٥٠

I.S.B.N 978- 977- 448-723-1

ديوى ٣٢٧,٧٣

www.ibtesama.com/vb

توطئة

مشروع له تاريخ

مشروع «القراءة للجميع» أى حلم توفير مكتبة لكل أسرة، سمعنا به أول مرة من رائدنا الكبير الراحل توفيق الحكيم.

وكان قد عبر عن ذلك فى حوار أجراه معه الكاتب الصحفى منير عامر فى مجلة «صباح الخير» مطلع ستينيات القرن الماضى، أى قبل خمسين عامًا من الآن.

كان الحكيم - إذًا- هو صاحب الحلم، وليس بوسع أحد آخر، أن يدعى غير ذلك.

وهو- جريًا على عادته الخلاقة فى مباشرة الأحلام - تمنى أن يأتى اليوم الذى يرى فيه جموعًا من الحمير النظيفة المطهمة، وهى تجر عربات الكارو الخشبية الصغيرة، تجوب الشوارع، وتتخذ مواقعها عند نواصى ميادين المحروسة، وباحات المدارس والجامعات، وهى محملة بالكتب الرائعة والميسورة، شأنها فى ذلك شأن مثيلاتها من حاملات الخضر وحبات الفاكهة.

ثم رحل الحكيم مكتفيا بحلمه.

وفى ثمانينيات القرن الماضى عاود شاعرنا الكبير الراحل صلاح عبد الصبور التذكير بهذا الحلم القديم، وفى التسعينيات من نفس القرن، تولى الدكتور سمير سرحان تنفيذه تحت رعاية السيدة زوجة الرئيس السابق. هكذا حظى المشروع بدعم مالى كبير، أسهمت فيه، ضمن من أسهم، جهات حكومية عدة، وخلال عقدين كاملين صدرت عنه مجموعة هائلة من الكتب، بينها مؤلفات ثمينة يجب أن نشكر كل من قاموا باختيارها، إلا أنه للحقيقة ليس

www.ibtesama.com/vb

غير، حفل بكتب أخرى مراعاة لخاطر البعض، وترضية للآخر، ثم أن المشروع أنعش الكثير من متطلبات دور النشر، بل اصطنع بعضها أحيانًا.

وبعد ثورة ٢٥يناير والتغيرات التى طرأت توقفت كل الجهات الداعمة لهذا المشروع الثقافى عن الوفاء بأى دعم كانت تحمست له عبر عقدين ماضيين، سواء أكانت هذه الجهات من هنا، أم كانت من هناك.

ولم يكن أمام اللجنة إلا مضاعفة التدقيق فى كل عنوان تختار، وسيطر هاجس الإمكانات المحدودة التى أخبرتنا بها الهيئة فى كل آن.

والآن لم يبق إلا أن نقول بأن هذه اللجنة كانت وضعت لنفسها معيارًا موجزًا:

جودة الكتاب أولاً، ومدى تلبيته، أولاً أيضًا، لاحتياج قارئ شغوف بأن يعرف، ويستمتع، وأن ينمى إحساسه بالبشر، وبالعالم الذى يعيش فيه.

واللجنة لم تحد عن هذا المعيار أبدًا، لم تشغل نفسها لا بكاتب، ولا بدار نشر، ولا بأى نوع من أنواع الترضية أو الإنعاش، إن لم يكن بسبب التربية الحسنة، فهو بسبب من ضيق ذات اليد.

لقد انشغلنا طوال الوقت بهذا القارئ، الذى انشغل به قديمًا، مولانا الحكيم.

لا نزعم ـ طبعًا ـ أن اختياراتنا هى الأمثل، فاختيار كتاب تظنه جيدًا يعنى أنك تركت آخر هو الأفضل دائمًا، وهى مشكلة لن يكون لها من حل أبدًا. لماذا؟

لأنه ليس هناك أكثر من الكتب الرائعة، ميراث البشرية العظيم، والباقى.

إبراهيم أصلان

www.ibtesama.com/vb

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ﴿١٠٣﴾ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ ﴾

الكهف: ١٠٣ - ١٠٤

www.ibtesama.com/vb

عصير الكتب
www.ibtesama.com/vb
منتدى مجلة الإبتسامة

www.ibtesama.com/vb

الإهداء

إلى أرواح شهداء حكم الإخوان المسلمين : جيكا، ومحمد كريستى، ومحمد الجندى، وعمرو سعد، والحسينى أبوضيف، والطبيبة الشابة شيماء.

وإلى الشهداء من شباب الجماعة، الذين نعتقد أنهم قدموا أرواحهم فى سبيل قضية، هم فيها أول الضحايا والمخدوعين.

وإلى من لحقوهم، ومن سيلحقونهم من الشهداء، على طريق استكمال ثورة مصر الديمقراطية الوطنية، والى أسرهم، وزملائهم.

والى كل فتاة، وسيدة، أسئ إليها بدنياً، أو معنوياً، على الطريق من الظلمات إلى النور.

وإلى أصحاب الفطرة السوية من شباب وأعضاء الإخوان ، من طلب الحق منهم فأخطأه، ومن بقيت لديه نفس لوامة.

أهدى هذا الجهد لإنارة ركن حالك الإظلام عن سبق إصرار وتكتم، فى غياهب دنيا الإخوان.

إنه الركن الذى يقبع فيه أصدقاؤهم الجدد من الأمريكيين، والصهاينة، بمشاركة، أو مبادأة من إخوان أمريكا وأوروبا.

www.ibtesama.com/vb

شكر

يستحق الصديق الدكتور كمال حبيب الباحث والناشط (الإسلامى) شكرا مضاعفا لتبادله المعلومات معى حول الإتصالات الأمريكية الإخوانية طيلة السنوات الماضية، كما يستحق الشكر من كل المعنيين بالإسلام السياسى لتركيزه الخاص فى أبحاثه على تحولات الحركة الإسلامية فى ميدان العلاقات الدولية.

وأكرر الشكر والامتنان للصديق العزيز الأستاذ إبراهيم عابدين، لتقديمه جهده ووقته للاطلاع على النص، والحوار معى حول بغض الأحداث والتفسيرات، ولمساهمته القيمة فى ضبط بعض المعلومات والتواريخ، ولتشجيعه إياى على سرعة نشر الكتاب قبل وقت كاف من الانتخابات البرلمانية (لعام ٢٠١٣)

وأشكرأيضا أولئك اللائى شاركننى هذا الجهد، بتنظيم وقتى، ومدوناتى، وإستعاراتى المكتبية، وإطلاعاتى الإلكترونية.. زوجتى هبه بهاء، وابنتى يمنى، وابنتى الروحية أميرة هشام بشرى.

www.ibtesama.com/vb

المحتويات

مقدمة :	١١
الباب الأول : أمريكا الصهيونية	٢٧
الفصل الأول : إسرائيل أولاً	٢٩
الفصل الثانى : الـــجـــــــذور	٤٧
الباب الثانى : أمريكا والإسلام السياسى	٨١
الفصل الأول : مصرع الخنزير الأحمر	٨٣
الفصل الثانى : التحالف الصليبى الجاهلى	١٠٧
الباب الثالث : الارتباط البناء	١٢٧
الفصل الأول : تجديد النذور	١٢٩
الفصل الثانى : وثالثهما إسرائيل	١٥٧
الفصل الثالث : بعد الثورة ... الغلبة هى الحل	١٦٥
الفصل الرابع : بعد السلطة ... قليل من الإيديولوجية	١٨٧
الفصل الخامس : الغاز المسيل للإيديولوجيات	٢٠٩
خاتمة .. صنع القرار فى الجماعة	٢٢٣

www.ibtesama.com/vb

ملحق : مقالات منشورة للمؤلف حول الإخوان ٢٣٥
أوان اعتذار الإخوان ٢٣٧
جناية الإخوان المسلمين علي حركة الإحياء الإسلامي ٢٤١
الإخوان والإسلام والسلام ٢٤٥
الشيوخ والسياسة ٢٤٩
جدل المفتى مع الإخوان .. أو الأمراض المزمنة للجماعة ٢٥٣
الوطنى والإخوان ..معًا ضد التغيير ٢٥٩

www.ibtesama.com/vb

مقدمة

هاتف فى الضحى

﴿ فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ ﴾

الأعراف: ١٧٦

البداية كانت فى يوم خريفى، حانية شمسه، رطبة نسماته، لكن حالة الطقس داخل جماعة الإخوان المسلمين، وحولها، لم تكن كذلك، بل كانت أعاصير الخريف تهب عليها من الخارج، ولفحات الغضب تتلاحق فى داخلها.

فى ضحى ذلك اليوم، وكان يوافق الإثنين ٢٩أكتوبر سنة ٢٠٠٧، وكنت فى طريقى الى الأهرام، تلقيت اتصالا هاتفيا غير مسبوق، وغيرملحوق، من الأستاذ محمد مهدى عاكف المرشد العام للجماعة فى ذلك الوقت، وفى الثوانى المعدودات بين إبلاغى من جانب مدير مكتبه - الأستاذ جمال

www.ibtesama.com/vb

نصار- أن فضيلة المرشد يود التحدث إلي، وبين سماعى صوت فضيلته يلقى السلام، راح ذهنى يكد - بسرعة الكترونية - بحثا عن سبب هذه المبادرة، وتذكرت أن الأهرام ينشر لى هذا الصباح مقالا بعنوان "الإخوان والإسلام والسلام"، ولكن ماذا فى هذا المقال تحديدا يدفع المرشد العام شخصيا الى الاتصال بكاتبه، فور اطلاعه عليه؟

لقد كتبت الكثير من قبل حول جماعة الإخوان، أنتقدها فكرا، وتاريخا، رفضا لمذهبها السياسى، ولطريقتها الكهنوتية فى العمل، وأدافع عنها دورا، وتعبيرا عن تيار له جذور فى حياتنا السياسية، تسليما - من جانبى- بالحق الديمقراطى فى التعددية، والاحتكام إلى صوت الناخبين، ومع ذلك لم يعقب علىَ أحد من قادتها أو أعضائها، إيمانا من عند أنفسهم بأن شئونهم تخصهم وحدهم، وأن الذين ليسوا منهم لا يفهمونهم، إن كانوا حسنى النية، أو يتجنون عليهم، إن كانوا من أصحاب النيات السيئة، فما فائدة تبديد الوقت فى الرد على من لا يفهم، وعلى من سيبقى متجنيا، وإن جئته بألف آية ؟!

إذن ما سبب الخروج على هذه القاعدة الراسخة ؟ وممن : من المرشد العام شخصيا؟

كان المقال تعقيبا على حالة الطقس المضطربة داخل الجماعة وحولها، والتى تسبب فيها تصريح مفاجىء للدكتور عصام العريان، رئيس مكتبها السياسى فى تلك الأيام، وقال فيه إنه يتوجب على "الإخوان" أن لايتعاملوا مع معاهدة السلام المصرية الإسرائيلية على أساس الحرام والحلال، وإنما الواجب هو التعامل معها بمعايير المصلحة السياسية.

www.ibtesama.com/vb

وعلى الفور انطلقت ردود الفعل المتوجسة مما قد يكون وراء هـذا التصريح من أسرار، ومما قـد يكـون الـتصريح تمهيـدا لـه مـن تحـول فى موقف الجماعة من اسرائيل، ونظرا لشدة القلق داخل صفوف الإخوان، وحدة التساؤلات عند الرأى العام، اضطر الأستاذ عاكف بوصفه المرشد العام، ثم مكتب الإرشاد ككل الى إصدار بيان يؤكد أن " العريان " يعبر عن رأيه الشخصى فقط، وأن ما قاله لا يمثل موقف الجماعة !!!

[لا أظن أن أحدا من القـراء نسى أن اللعبـة تكـررت بحـذافيرها فى شهر ديسمبر عام ٢٠١٢، حين فاجأ العريان (والعريان مرة أخرى، وليس أحدا غيره من الجماعة) الرأى العام، وأعضاء حزبـه وجماعتـه (وأقـول إن المفاجأة كانت للأعضاء فقط، وليس للقياديين فى الحزب والجماعـة) بـإطلاق دعـوة الى الإسرائيليـين مـن يهـود مصر المهـاجرين للعـودة الى وطنهم الأصلى ! ليفسحوا أماكنهم للاجئين الفلسطنيين، على حد تعبيره، مقرنا هذه الدعوة باعتراف تطوعى، ومخالف للحقيقـة، بـأن مصر هـى التى طردتهم بقرار من الرئيس الأسبق جمال عبد الناصر، وذلك بـالطبع تمهيدا لتعويضهم ماليا، إذا لم يعودوا، وهم لن يعـودوا يقينـا، ومـن ثـم تجـرى مقاصـة، تـدفع بموجبهـا مصر، والـدول العربيـة التعويضـات المسـتحقه للاسرائيليـين "المطـرودين منهـا " للاجئـين الفلسـطينيين المستحقين للتعويض طبقا لقرار الأمم المتحدة، القاضى للاجئى فلسـطين بالعودة أو التعويض.

هنا أيضا قال المرشد العام وقد أصبح الدكتور محمـد بـديع، وقـال مكتـب الإرشـاد، و قـال المتحـدث باسـم رئـيس الجمهوريـة الاخـوانى "المنتخب" الدكتور محمد مـرسى، وقـال رئـيس حـزب الحريـة والعدالـة

www.ibtesama.com/vb

"الاخوانى"، و مكتبه السياسى .. قال هؤلاء جميعاً : إن العريان يعبر عن رأيه الشخصى، وأن هذا ليس موقف الجماعة، ولاالرئاسة، ولا الحزب.

ولكن، وكما حدث من قبل، لم يتخذ أى إجراء تأديبي ضد الدكتور عصام العريان، حتى ولو من باب أخذنا على قدر عقولنا، كما كان يجب أن يحدث، لو لم يكن الرجل مفوضا سرا لإطلاق بالون إختباره هذا.

ففى كل الأحزاب الديمقراطية فى العالم يطرد العضو أو القيادى الذى يعبر عن وجهة نظر شخصية مختلفة بشدة عن موقف حزبه فى قضية كبيرة كهذه، أو على الأقل تجمد عضويته، أو يبعد من المواقع القيادية، وبما أن شيئا من هذا لم يحدث فى المرتين، فلا جدال فى أن الأكمة وراءها الكثير، أو كما يُقال فى مثل هذه المواقف : هذا كلام له خبئ....معناه ليست لنا عقول.

أعود بعد ذلك الاستطراد الذى كان لا بد منه الى إتصال المرشد العام السابق بى فى ضحى ذلك اليوم الخريفى من عام ٢٠٠٧، فماذا قال؟ ولماذا قال ما قاله؟

وسط كلام ودى كثير، شكرنى الأستاذ عاكف، وأضاف - والله على ما أكتبه شهيد - أنهم تعلموا من المقال، لأنه كشف لهم بعض أخطائهم، وأنهم مستعدون دائما للتعلم.

بغض النظر مؤقتا عن اكتشافى- فيما بعد - أن المرشد وزملاءه كانوا قد بدأوا فى هذا الوقت فعلا التعلم من الأستاذين : مارك لينش، وجون سبوزيتو وغيرهما من الخبراء الأمريكيين، ومن زعماء الفروع الاخوانية فى الولايات المتحدة الامريكية، وبريطانيا والمانيا تحديدا، كيفية التحدث الى واشنطن كما سنفصل فى متن الكتاب، فقد كان مقالى يوم الاثنين ٢٩

www.ibtesama.com/vb

أكتوبر ٢٠٠٧ ينتقد منهج الجماعة، فى التعامل مع قضية السلام، وخاصة أسلوب اطلاق الكلام ونقيضه استبقاء لفرصة التراجع، وتهربا من الالتزام، وسط حالة متعمدة من الغموض، ودون توثيق لأية مناقشة أو قرار، واعتبر المقال - الذى يطالعه القارئ ضمن ملاحق هذا الكتاب - أن تصريح العريان، والتبرؤ منه من المرشد، ومكتب الإرشاد، ليس إلا توزيعا فجا للأدوار.

[فما الذى أعجب الأستاذ المرشد فى هذا الكلام ؟ ولماذا لم يعجبه - مثلا - شئ فى مقال سابق بعنوان "جناية الاخوان المسلمين على حركة الاحياء الاسلامى"، (و سيجد القارئ هذا المقال منشورا أيضا فى ملاحق هذا الكتاب مع مقالات أخرى، حول الإخوان).

لم يسعفنى العقل فى ذلك الوقت بإجابات ؛ ولكننى سعدت على أية حال بمحادثة فضيلة المرشد لسببٍ ذاتى يشعر به كل كاتب يجد صدى لما يكتبه، خصوصا على هذا المستوى، ولسبب موضوعى قدرته فى تلك اللحظة، وهو أن جماعة الإخوان تستجيب أخيرا للنقد، ويمكن أن تعترف على لسان المرشد نفسه بالخطأ، ورأيت فى ذلك خيرا للدين والدنيا.

كان ذلك إفراطا فى حسن النية من جانبى، لكننى لم أكن أرى إلا الظاهر، وأما ما خفى- وهو الأعظم - فلم يكن ليظهر إلا فى أعقاب ثورة الخامس والعشرين من يناير.

فقد ظهر أن عام ٢٠٠٧ - الذى حدثنى هاتفيا الأستاذ عاكف فى أحد أيامه الخريفية - كان هو عام الأساس لكل ما جرى من تحولات درامية فى موقف الجماعة من الولايات المتحدة، ومن ثم من اسرائيل،

www.ibtesama.com/vb

دون علم من الأغلبية الغالبة لأعضاء الجماعة حتى فى مستوياتها القيادية، ناهيك عن مجموع الشعب المصرى، و الشعوب العربية.

و من الواضح الآن أن الرجل كان لما يزل حائرا بين الاستجابة للمطالب الأمريكية، وبين الثبات على المواقف، والمنطلقات الأولى للجماعة نحو اسرائيل تحديدا، وجاء مقالى ليمس وترا حساسا فى نفسه، خاصة فى فقرته الأخيرة، التى ضربت فيها مثلا بتجربة صلاح الدين الأيوبى فى محاربة، ومفاوضة الصليبيين، دون أن يخطر ببال أحد من معاصريه، والذين جاؤا من بعدهم أن يتهمه بالإثم الدينى، أو الخيانة، عندما اقتضت الضرورة منه أن يفاوض أو يصالح، بل بقى الرجل بطلا، فى الضمير الجمعى للأمة، وسيبقى كذلك، ولكن كل ذلك كان يجرى دون كهنوت سياسى، و دون أبواب مغلقة.

فها هو ذا ضرب المثل بصلاح الدين يريح الضمير الدينى للمرشد العام، أويسهم فى إراحته، وكان فضيلته قد وافق - كما اكتشفنا فيما بعد - على الانخراط فى استراتيجية الارتباط الأمريكى البناء مع الاخوان المسلمين. والتى كان المطلوب فيها منهم - كما يعلم المرشد وسائر القيادات الإخوانية - هوقبول اسرائيل، ونبذ العنف وإدانة الإرهاب بأصرح الألفاظ، والتعاون مع الولايات المتحدة فى مكافحته، واستئصاله.

***

فيما بعد، حاولت دون جدوى الحصول من الدكتورالعريان، والدكتور عمرو دراج رئيس لجنة العلاقات الخارجية بحزب جماعة الإخوان المسلمين (الحرية والعدالة) الاجابة على التساؤلات التالية : متى، وكيف اتخذتم القرار بتغيير سياسة الجماعة نحو اسرائيل ؟ وهل

www.ibtesama.com/vb

طلبت واشنطن منكم ذلك ؟ وماذا كانت طلباتكم فى المقابل ؟ وهل تلقيتم ضمانات مكتوبة من واشنطن بأى شئ ؟وعلى أى مستوى اتخذ هذا القرار ؟ وهل عارضه أحد داخل الجماعة ؟ وماذا كانت حجج المعارضين، إذا كان هناك من عارض ؟ وكيف رد المؤيدون على هذه الحجج؟ وهل أعلمتم بالقرار، وخلفياته بقية أعضاء الجماعة ؟و ماذا كانت ردودهم إذا كنتم قد أعلمتموهم ؟

الدكتور العريان، وفى اتصال هاتفى معه صبيحة سريان شائعة تعيينه سفيرا فى تايلاند فى نوفمبر عام ٢٠١٢، أحالنى الى كتاب للدكتور يوسف ندا أحد مؤسسى التنظيم الدولى للإخوان قال إنه يشرح أسس السياسة الخارجية للجماعة، وعندما قلت له إن هذا ليس ما أبحث عنه، أشار على بالاتصال بالدكتور عصام الحداد مساعد رئيس الجمهورية "الاخوانى" للشئون الخارجية، وكان واضحا أنه لايريد البوح بالأسرار الكثيرة التى يعرفها، والتى هو أحد أبطالها، كما رأينا فى السطور السابقة، وكما تؤكده مواقعه داخل الجماعة، وحزبها، فهو تارة رئيس المكتب السياسى للإخوان، وأخرى رئيس لجنة العلاقات الخارجية لمجلس الشعب ذى الغالبية الإخوانية السلفية، وثالثة منافسا على زعامة الحزب ومرة رابعة زعيمًا للأغلبية الإخوانية فى مجلس الشورى ..... الخ.

ولم أسع الى لقاء الحداد، توقعا لرفضه الإجابة، بحكم أنه الأكثر غموضا، والأقل ظهورا من الناحية الاعلامية مقارنا بالدكتور العريان، فضلا عن أن الدكتور عمرو دراج كان قد تهرب بدوره من الإجابة عن تلك التساؤلات، وقد وجهتها إليه صراحة، خلال ندوة نظمها المعهد الألمانى للشئون الدولية والأمنية ومؤسسة فريدريش إيبرت يوم ٢٢

www.ibtesama.com/vb

أكتوبر ٢٠١٢ بفندق سوفيتيل الجزيرة تحت عنوان "سياسة مصر الخارجية تحت حكم الإسلاميين.

وقد قلت للدكتور دراج قبل طرح أسئلتى عليه إنك تحدثت مثل دبلوماسى متمكن، أو مثل باحث أكاديمى عن عموميات مثل محبة السلام وكراهية الحرب، والالتزام بميثاق الأمم المتحدة، وعن التعاون الإقليمى والدولى من أجل الرخاء الاقتصادى، وكل هذا كان يمكن أن يتحدث به قيادى فى الحزب الوطنى البائد، أو سفير من وزارة خارجية مبارك، أما أنت فرجل قيادى فى حزب عقيدى ذى توجهات مختلفة، يحكم بعد ثورة، واضطر إلى تغيير الموقف المعلن للجماعة التى يمثلها من اتفاقية السلام بعد اسرائيل.

ومن ثم يجب أن يتضمن حديثك الإجابة عن تساؤلات معينة، وطرحت عليه الأسئلة السابق ذكرها، فاكتفى بترداد ما سبق أن قاله فى المداخلة الأولى، مما اضطرنى لاستئذان رئيس الجلسة - الأستاذ فريد زهران - نائب رئيس الحزب المصرى الديمقراطى الاجتماعى - لإعادة طرح الأسئلة على الدكتور دراج، وتذكيره بأنه لم يجب على أى منها، و لكنه التزم الصمت "المريب" .

بالطبع كانت -ولاتزال- هناك مصادر أخرى بعضها إخوان المهجر الأمريكى، وبعضها غير اخوانية تقدم الإجابات المطلوبة، وهى ما نعتمد عليه فى تقديم القصة الكاملة للارتباط البناء بين الولايات المتحدة، وجماعة الاخوان المسلمين فى مصر، إيمانا بحق المواطن -الناخب - فى الإلمام الكافى بالحقائق كما هى.

www.ibtesama.com/vb

ولسوف يكتشف القارئ - وقد ذكرنا توا أننا سنعتمد على مصادر من الاخوان المسلمين الأمريكيين، بين مصادر أخرى، و مقابلات شخصية - أن هؤلاءالاخوان المغتربين لعبوا الدور الرئيسى فى قيادة الجماعة الأم فى مصر الى الانخراط فى الاستراتيجية الأمريكية للارتباط البناء، جنبا الى جنب مع شركاء آخرين، أهمهم الحكومة القطرية، وجماعة الاخوان المسلمين فى قطر التى حلت نفسها بنفسها، والاتحاد العالمى لعلماء المسلمين برئاسة الدكتور يوسف القرضاوى، وأمانة الدكتور محمد سليم العوا، والحكومة التركية، وحزبها .

وكما سيلى داخل الكتاب فإن إخوان المهجر نجحوا فى تنظيم أنفسهم للتأثير فى السياسة الأمريكية نحو الاسلام والمسلمين عموما اقتداء بتجربة اليهود الأمريكيين، و لا غبار على ذلك، بل إنه مطلوب، وواجب تأخر أداؤه كثيرا.

واكتسب هذا التنظيم دوافع ذاتية أكثر قوة، تنطلق من الحفاظ على مصالحهم كمواطنين أمريكيين، كما اكتسب أهمية أكبر عند الادارة والمؤسسات الأمريكية بعد الاعتداءات الارهابية فى ١١ سبتمبر ٢٠٠١ على نيويورك وواشنطن، ومن ثم أصبح أكثر فاعلية، لكن الملاحظ أنه بينما يعمل اللوبى اليهودى فى أمريكا بنجاح على تطويع السياسة الأمريكية لمصالح وأهداف اسرائيل، فإن المطلوب من اللوبى الاسلامى فى الولايات هو تطويع جماعتهم الأم للمطالب الأمريكية لتمكينها من الوصول للسلطة فى مصر، ثم فى بقية الدول العربية، ثم تطويع سياسات هذه الدول - وفى المقدمة منها مصر - للالتزامات الأمريكية نحو اسرائيل.

***

www.ibtesama.com/vb

يتطلب عرض قصة الارتباط البناء بين الولايات المتحدة وجماعة الإخوان المسلمين طبقا لما لخصناه منها فى السطور السابقة أن تسير فصول كتابنا هذا منذ البداية فى خطين متوازيين، الأول عنوانه أمريكا والإسلام السياسى، والثانى عنوانه أمريكا واسرائيل والصهيونية، وقد رأينا لضرورة منهجية أن نبدأ بالخط الثانى من هذين الخطين المتوازيين، بما أن الالتزام الأمريكى نحو اسرائيل والصهيونية هو الأسبق تاريخيا، والأهم استراتيجيا، بل إنه العنصر الحاكم للسياسة الأمريكية، فى الشرق الأوسط بما فى ذلك السياسة الأمريكية نحو الاسلام السياسى.

وإذا كانت حقائق الهندسة تقول إن المتوازيين لا يلتقيان، فإن حقائق السياسة تقول إنهما التقيا فى حالتنا هذه، أولا على الأرض الأمريكية، وثانيا على أرض الشرق الأوسط فى قطر، ثم فى مصر بعد ثورة الخامس والعشرين من يناير، لذا سوف نخصص القسم أو الباب الثالث من الكتاب لشرح وقائع وكيفية التقاء خط أمريكا الصهيونية، مع خط أمريكا المرتبطة ارتباطا بناء مع الاخوان المسلمين، مع التركيز على أيام وليالى نزول الوحى من واشنطن على قيادات بعينها فى جماعة الإخوان المسلمين (والله ورسوله المثل الأعلى) ولكن ما الحيلة فى جماعة إحتكرت الإسلام(الذى جاء أصلا بوحى من السماء)، وإنتهت الى تلقى الوحى من البيت الأبيض ورسله، من مفكرين، ومخططى سياسات، وأخيرا أعضاء كونجرس ودبلوماسين.

وسوف يكتشف القارئ لهذا الباب أن ليالى وأيام نزول الوحى الأمريكى على جبل المقطم كثيرة، فمنها الليلة التى أفضت الى إستقالة أو إقالة الأستاذ محمد مهدى عاكف من موقع المرشد العام للجماعة، ومنها اليوم الذى تقرر فيه إنضمام الإخوان الى شباب ثورة ٢٥ يناير،

www.ibtesama.com/vb

واليوم الذى تعهدت فيه الجماعة بعدم المنافسة على منصب رئيس الجمهورية بعد أن يتنحى مبارك، ولم يكن قد تنحى، ثم الليلة التى تحول فيها موقف الجماعة من إتفاقية السلام المصرية الإسرائيلية الى القبول بها كما هى، دون حاجة الى إستفتاء شعبى، والوحى لا يأتى فقط من الله، الذى لا يأتى منه إلا كل طيب، ولكن القرآن الكريم حدثنا كثيراً عن وحى من نوع آخر، هو وحى شياطين الجن والإنس إلى أوليائهم !

كل ذلك وصولا الى الليلة الكبيرة، وهى على أرجح الأقوال، ليلة العاشر من ديسمبر عام ٢٠١١ عندما أقنع وزير الخارجية الأمريكية جون كيرى (السناتور ورئيس لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ الأمريكى وقتها) قيادات الإخوان بترشيح " إخوانى " لمنصب رئيس الجمهورية فى مصر، وذلك خلافا لتعهد الجماعة بعدم المزاحمة على هذا المنصب.

كان دافع كيرى، والبيت الأبيض من وراء ذلك، هو نفسه دافع الإخوان لنقض تعهدهم السابق، كان ذلك الدافع هو قطع الطريق على احتمال فوز مرشح سلفى بالمنصب، وهو احتمال بدا ممكنا فى ضوء تقدم السلفيين الى المركز الثانى بعد الإخوان فى الجولة الأولى من المرحلة الأولى للانتخابات البرلمانية، وكان تحقق هذا الاحتمال كارثيا بالنسبة للطرفين الإخوان والولايات المتحدة.

وكما قلنا فى كتابنا السابق " الثورة التائهة" فى طبعته الثانية فقد كانت جماعة الإخوان تفضل رئيسا صوريا من خارجها هو الراحل منصور حسن، على أن يكون رجل الجماعة القوى خيرت الشاطر نائبا له، فيصبح حسن هو المسئول فى الظاهر عن الملف الإسرائيلى، ويكفى الجماعة حرج التعامل الرئاسى العلنى مع إسرائيل، و ذلك بعد أن رفض

www.ibtesama.com/vb

المستشارون طارق البشرى وحسام الغريانى ومحمود مكى عرض الجماعة على كل منهم الترشح للرئاسة بتأييد منها.

كانت هذه آخر مناورة للإخوان لخداع الرأى العام والناخبين، وبما أن الراحل منصور حسن رفض أن يكون رئيسا صوريا بوجود الشاطر نائبا له، ووجود حكومة إخوانية، فإنه انسحب من السباق الرئاسى مبكرا ، ولم يتبق أمام الجماعة لقطع الطريق على إحتمال فوز مرشح سلفى سوى الدفع بأحد رجالها للمنافسة على المنصب.

***

وكان من الوارد بقوة أن الإخوان سوف يفقدون الصدارة، وقد لا يعودون اليها أبدا، إذا جاء الرئيس سلفيا، أما الولايات المتحدة فسوف تواجه بمن لم تعرفهم، ومن لم تقم معهم ارتباطا بناء أوغير بناء، ومن هم أكثر تشددا فى الدين، والسياسة ونحو اسرائيل بالذات، ومن ثم فلن تكون جهود خمس سنوات من الارتباط البناء مع الاخوان قد ضاعت سدى فحسب، ولكن - وهذا هو الأخطر- سوف تنفتح أبواب قد لايستطيع أحد إغلاقها - فى مدى قريب - من الاضطراب داخل مصر، وفى الاقليم، وقد تظهر " إيران" جديدة على ضفاف النيل.

***

عزيزى القارئ : ها أنا ذا أفى بوعدى فى نهاية كتابى السابق " الثورة التائهة " باصدار الكتاب الذى بين يديك، والذى يعد الفصل الأخير من كتاب الثورة التائهة مدخلا له، إذ لم يكن ممكنا تضمين ذلك الفصل كل القصة التالية، لأنها كانت ستخرج بالكتاب السابق عن موضوعه الأصلى، وهو توثيق رؤية شاهد عيان لصراع الخوذة واللحية والميدان،

www.ibtesama.com/vb

ذلك الصراع الذى أودى بثورة يناير، وبمصر معها الى حالة التيه التى كانت لاتزال تتخبط فيها حتى ساعة كتابة السطر الأخير من هذا الكتاب الذى بين يديك.

***

ومن المهم فى هذه الصفحات الأولى من الكتاب أن أوضح موقفى الشخصى من القضية برمتها، فمن حيث المبدأ لا أدعو الاخوان، ولا غيرهم، الى إلغاء الإتفاقية مع اسرائيل، بل أرى فى مثل هذه الدعوات تهورا، وتشنجا لايحسب حسابا للعواقب الكارثية لضعف مصر والعرب والمسلمين فى كافة موازين القوى الداخلية والإقليمية والعالمية، فى هذه الحقبة من التاريخ، ولذا فالكتاب لا يستهدف فى المقام الأول انتقاد جماعة الإخوان، التى لم تتحل بهذه (الحكمة) سوى تحت الضغوط الخارجية، وعلى بريق غواية الوصول الى السلطة، ولكن ما نستهدفه - فى المقام الأول والأخير - قبل الانتقاد، و التقويم - هو كشف ما يخفيه الإخوان من حقائق، وتأصيلها فى سياقها الداخلى والخارجى، وإظهار الخطاب المزدوج للجماعة، و حزبها فى هذه القضية، ما بين العداء اللفظى لإسرائيل للإستهلاك المحلى، و ما بين المرونة والإفراط فى الواقعية الإنتهازية فى الإتصالات الخارجية، ووضع كل ذلك أمام القارئ الناخب، وكذلك أمام القراء العرب والمسلمين من غير المصريين.

وليحكم كل قارئ بنفسه عما إذا كانت الجماعة قد إلتزمت حقا بعقيدتها السياسية ؟ أم أنها خانت تلك العقيدة من أجل السلطة والسلطان ؟ وليقرر كل قارئ بنفسه ولنفسه ما إذا كان الإخوان حزبا، وشورى، وإرشادا صادقين فى خطابهم العام العلنى ؟ أم أنهم - مثلهم

www.ibtesama.com/vb

مثـل كـل الأحـزاب المغلقـة فى التـاريخ الإسـلامى، والتـاريخ الإنسـانى- يسوقون شيئا فى العلن، و يبيعون بضاعة أخرى وراء الأسوار ؟!

وكما بدأت باقتباس من القرآن الكريم، فإننى أختتم هـذه المقدمـة بقوله تعالى " إن أريد إلا الإصلاح ما استطعت، وما توفيقى إلا بالله "..

و لا خلاف - فيما أظن- على أنه لاتوفيـق، ولاإصـلاح دون معرفـة.. فالمعرفة هى أفضل الفضائل.. ألسنا نصف الرجل الصـالح بأنـه العـارف بالله ؟ وهل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ؟

عصير الكتب
www.ibtesama.com/vb
منتدى مجلة الإبتسامة

www.ibtesama.com/vb

الباب الأول

أمريكا الصهيونية

يتألف هذا الباب من ثلاثة فصول، يتناول أولها أبعاد الالتزام الأمريكى نحو اسرائيل، ونماذج رسمية وغيررسمية لتأكيد رسوخه، كما يتناول الاجتهادات الكثيرة فى تفسيرأسباب هذا الإلتزام، وأسباب رسوخه فى الماضى، والحاضر، والمستقبل، على الرغم من تناقضه فى أحيان كثيرة مع ميثاق الأمم المتحدة، ومع المصالح الأمريكية ذاتها.

وسوف يظهر من هذا الفصل، وطبقا لإعترافات الرؤساء الأمريكيين المتعاقبين، وغيرهم من كبار المسئولين، والمفكرين، والباحثين أن هذه الأسباب أعمق جذورا فى الثقافة السياسية والدينية الأمريكية من الدوافع الإستعمارية التقليدية، أو من سيطرة اللوبى اليهودى على السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط، وكذلك أعمق جذوراً من الضرورات الإستراتيجية لحقبة الحرب الباردة، وهى أيضاً أعمق جذورا من مجرد التعاطف مع شعب أضطهد كثيرا وتعرض للهولوكوست النازى، فلكم تعرضت شعوب للاضطهاد والإبادة الجماعية حتى على يد الأمريكيين أنفسهم مثل السكان الأصليين للولايات المتحدة، دون أن تتكون عقدة ذنب أمريكية (فضلا عن أن تكون أوروبية) من أجلهم.

www.ibtesama.com/vb

وسوف يفضى البحث عن هذه الجذور الى الفصل الثانى الذى يتناول عمق وقدم انغراس الفكرة الصهيونية - أى عودة اليهود الى ما يسمونه بأرض الأجداد - فى الثقافة السياسية للنخبة الأمريكية، انبثاقا من خبرة تكون الولايات المتحدة ذاتها على أيدى مهاجرين لديهم رؤية خاصة فى الدين والتاريخ والسياسة من ناحية، وتأثرا بأفكار وخبرات النخب الأوروبية بعد عصر النهضة، وخاصة فى حقبة التنوير من ناحية أخرى.

أما الفصل الثالث فسوف يتتبع تاريخ المحاولات الأمريكية التى لم تعرف الكلل لتطويع، وأحيانا لتركيع الدول العربية - لاسيما مصر عبد الناصر - لقبول إسرائيل، بل والتعاون معها، وكانت حقائق مروعة عن هذه الفترة، قد وردت فى كتاب للباحث البريطانى جيفرى أرونسون، وترجمه الى العربية الزميل سامى الرزاز، وقدم له الراحل الكبير محمد سيد أحمد، وأصدرته دار البيادر بعنوان "واشنطن تخرج من الظل "، ولكن يبدو أن هذا الكتاب البالغ الأهمية، لم يحظ بما كان ولازال يستحقه من انتباه الباحثين، والمعلقين، والرأى العام.

وقد قطعت واشنطن نصف الطريق الى هذه الغاية باتفاقية السلام المصرية الإسرائيلية، ومثيلتها الأردنية، واتفاقيات أوسلو، ومبادرة بيروت العربية للسلام، وها هى ذى تستكمل النصف المتبقى من الطريق بإدخال " الإسلام السياسى " فى الحظيرة.

الغرض إذن من هذا الباب – فضلاً عن عرضه كثيرا من الحقائق غير المعروفة بدرجة كافية للأجيال الشابة من العرب والمسلمين التى بدأت الربيع العربى – هو إثبات حقيقة بديهية، هى أن الرضا الأمريكى، فضلا عن التعاون مع أية قوة فى الشرق الأوسط – لابد أن يتأسسا على قبول المشروع الصهيونى، وتأمينه.

www.ibtesama.com/vb

الفصل الأول
إسرائيل أولاً

كثيرون هم الخبراء، والدبلوماسيون والساسة الأمريكيون الذين تخصصوا فى الصراع العربى الإسرائيلى، وفى شئون الشرق الأوسط عموما، ومن هؤلاء فريق يوصف بالاعتدال، لتفهمه للحقوق الفلسطينية، والعربية، ودفاعه أحيانًا عن وجهات نظر الفلسطينيين والعرب علنا، وفى دهاليز عملية صنع القرار الأمريكى، وفى مقدمة هؤلاء يأتى الدكتور ويليام كوانت مسئول الشرق الأوسط فى مجلس الأمن القومى فى إدارة الرئيس الأسبق جيمى كارتر، وأستاذ العلاقات الدولية البارز قبل ذلك وبعده، والمدير الأسبق لمعهد بروكينجز الذى يخصص القسط الأكبر من بحوثه الاستراتيجية للشرق الأوسط والعالم الإسلامى، وفى قلبه الصراع العربى الإسرائيلى.

وفى إحدى زياراته الكثيرة للقاهرة، التقيته، وكان يصحبنى الزميل عبد الحليم الغزالى، بفندق سميراميس وطلبت إليه بوصفه أحد أبرز المعتدلين

www.ibtesama.com/vb

الأمـريكيين أن يقـول لى قـولا واحـدا ونهائيـا يضـع حـدا لجـدل المثقفـين والسياسيين والدبلوماسيين العرب حول إمكان دفـع الولايـات المتحـدة إلى - أو إقناعها - بتخفيـف انحيازهـا الكامـل لإسرائيـل وصـولا إلى تسـوية تلبـى الحد الأدنى من حقوق الفلسـطينيين، فأجـابنى بهـدوء نـادرا مـا يـتحلى بـه الدبلوماسيون الأمريكيون، ويختص به فقط البريطانيون، " إن لـدينا شـعوراً عميقاً بالالتزام نحو إسرائيل، وهو التزام يأخذه السياسيون بجديـة، لـيس فى أعوام الانتخابات فحسـب، لأن أمـن إسرائيـل ورفاهيتهـا يأتيـان فى مقدمـة الأولويات لدى عدد كبير جدا من الأمريكيين، حتى وإن كان ثلثا الاحتيـاطى العالمى المعروف من البترول يوجدان فى أراض عربية".

إن إشـارة كوانـت إلى أن جديـة التـزام الساسـة الأمـريكيين نحـو إسرائيل ليست مقصورة على أعوام الانتخابات فحسب، تعنى أن تفسـير هذا الالتزام بقوة اللوبى اليهودى الذى يؤثر بالمـال فى نتـائج الانتخابـات بالقطع، ليس كافيا، وإن كان لهذا التفسير نصيب كبير من الصحة، كـما أن انهيـار الاتحـاد السـوفيتى، وانتهـاء الحـرب البـاردة جعـل التفسـير الاستراتيجى لهذا الالتزام قاصرا هو الآخر، وكان هذا التفسير يرتكز عـلى أن إسرائيـل حليـف يمكـن الاعـتماد عليـه فى مواجهـة انتشـار النفـوذ السوفيتى فى الشرق الأوسـط، وأن السـماح بهزيمـة إسرائيـل عـلى أيـدى أصدقاء السـوفيت يعنـى هزيمـة مبـاشرة للولايـات المتحـدة نفسـها، فى منطقة ذات أهمية إستراتيجية واقتصادية بالغة.

كذلك فإنه لا يكفى تفسـيرا للالتـزام الأمـريكى القـاطع المـانع نحـو إسرائيل القول بأن المحارق النازية لليهود (الهولوكوست) أحدثت جرحا فى ضـمير الأمـريكيين ساسـة ومـواطنين، لا يمكـن إندمالـه إلا بمسـاندة إسرائيل دون قيـد أو شرط، إذ لـيس صـحيحا أنـه كـان بوسـع الولايـات

www.ibtesama.com/vb

المتحدة، منع وقوع هذه المذابح، لو أنها دخلت الحرب مبكرا، إذ كان هتلر يتمتع بتفوق هائل فى القارة الأوروبية، قبل هجومه على الاتحاد السوفيتى، وهزيمته فى معركة ستالينجراد.

وليس الضمير الأمريكى متسما بكل هذا النبل المتجرد، وإلا فلماذا استؤصل الهنود الحمر الأمريكيون ؟ولماذا لقى ملايين العبيد السود حتفهم فى الحقول، وفى أثناء نقلهم فى حظائر الحيوانات على سفن النخاسين بعد اصطيادهم من إفريقيا إلى الأرض الأمريكية ؟ وكيف لم يسمع أحد حتى الآن عن وخزة واحدة فى الضمير الأمريكي ؟ ولماذا لم يؤد مسلسل تليفزيونى يتحدث عن مأساة العبيد (كالجذور)، رغم تأثيره الذى لا ينكر، إلى ما أدى إليه مسلسل الهولوكوست فى الخمسينات، من مقاطعة الابن لأبيه لأنه تقاعس هو والآخرون عن إنقاذ اليهود من بطش النازية ؟!

ومع الاعتراف بما حدث من تقدم هائل بمضى الوقت فى مكافحة التفرقة العنصرية، والحقوق المدنية للسود والهنود على السواء، وبجهود وإخلاص الساسة والمفكرين، الذين دافعوا عن هذه الحقوق، إلا أن ذلك شئ يختلف كلية عن الوضع المتميز لإسرائيل واليهود فى العقل والضمير الأمريكيين.

صهيونية دون اضطهاد :

يضاف إلى ذلك أن هتلر كان لا يزال طفلا، عندما تقدم الرحالة والمبشر ويليام بلاكستون(من شيكاغو).بمذكرة موقعة من ٤١٣ شخصية أمريكية بارزة إلى كل من الرئيس الأمريكى آنذاك بنيامين هاريسون، ووزير خارجيته جيمس بلين تطالب بالعمل على عودة اليهود إلى

www.ibtesama.com/vb

فلسطين، حدث ذلك فى عام ١٨٩١، أى قبل ثلاث سنوات من صدور كتاب الدولة اليهودية لتيودور هيرتزل الذى بدأ به حملته لإقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين، وقبل ست سنوات من انعقاد المؤتمر الصهيونى الأول فى بازل عام١٨٩٧، وقبل صدور وعد بلفور بست وعشرين سنة.

لم يكن المشروع المقدم من بلاكستون مجرد حلم ليلة صيف، ولم يتعامل معه الرئيس هاريسون، ووزير الخارجية (بلين) باستخفاف، بل إنهما حولا المذكرة إلى القنصل الأمريكى فى القدس، ولكنه رد عليهما قائلا :"إن اليهود ليسوا جاهزين بعد لفلسطين، وإن فلسطين ليست جاهزة بعد لليهود".

وكان هتلر لا يزال عريفًا فى الجيش القيصرى، عندما كان الرئيس الأمريكى ودرو ويلسون صاحب مبدأ حق الشعوب فى تقرير مصيرها ضمن مبادئه الأربعة عشر لترتيب أوضاع العالم بعد الحرب العالمية الأولى - يتحدث إلى أصدقائه مثل أنبياء التوراة قائلا : "إنها لنعمة إلهية أن يتوجب علىَ أنا ابن القسيس أن أستعيد الأرض المقدسة لشعبها ".

وإذا كان من الشائع أن القاضى اليهودى لويس براندیز، والحاخام ستيفين وايز، وكانا صديقين مقربين من الرئيس ويلسون، هما من دفعاه لتأييد وعد بلفور، فإن البروفسور ستيفن ل. شبيجل أستاذ العلوم السياسية بجامعة كاليفورنيا - لوس أنجلس - يقرر فى كتابه "الصراع العربى الإسرائيلى الآخر: صنع السياسة الأمريكية فى الشرق الأوسط من ترومان إلى ريجان" أن ويلسون الخصم الصارم للإمبريالية الأوروبية كان مفتونا من تلقاء ذاته بفكرة قيام دولة صهيونية ديمقراطية تحل محل الطغيان التركى (العثمانى) فى فلسطين، وتؤسس موطنا آمنا هناك لليهود

www.ibtesama.com/vb

المضطهدين، ثم يضيف شبيجل "إن الرطانة التوراتية لم تكن مفتقدة فى شخصية ودرو ويلسون "، والكتاب صادر عن جامعة شيكاغو فى كل من واشنطن ولندن، ولم يترجم بعد رغم أهميته إلى العربية.

كانت موافقة البيت الأبيض السرية - فى عهد ويلسون - على وعد بلفور دون انتظار لرأى وزارة الخارجية، ولا لضغوط أصدقائه اليهود الأمريكيين سابقة أولى سوف تصبح بمثابة القانون فى السياسة الأمريكية نحو الصراع العربى الإسرائيلى، وهى أن البيت الأبيض، والرئيس الأمريكى نفسه ليس فقط هو صاحب سلطه اتخاذ القرار فى هذا الصراع، ولكن هو أيضا مركز صنع هذا القرار، بل كان وزير الخارجية لانسينج معارضا فى حقيقة الأمر لإصدار وعد بلفور، ولم تكن الخارجية وحدها هى من عارض، واستاء من تجاوزها من جانب الرئيس، ولكن كان هناك أيضا أعضاء البعثات التعليمية والتبشيرية البروتستانتية الأمريكية فى الشرق العربى الإسلامى، الذين كانوا ينظرون بالعطف والأمل لحركة القومية العربية الناشئة فى تلك الحقبة.

ويثبت ذلك بين ما يثبته من حقائق أن المشروع الصهيونى هو من الأولويات القصوى للسياسة الخارجية الأمريكية، بحيث يبقى دائما من اختصاص البيت الأبيض.

وكان الرئيس فرنكلين روزفلت ٣٢-١٩٤٤، الذى انفجرت فى عهده الحرب العالمية الأولى، بما انطوت عليه من مجازر بينها المحرقة النازية ليهود أوروبا، يفكر فى البداية بينه وبين نفسه فى إعادة توطين اليهود الفارين من المحرقة، أو الناجين منها فى روديسيا الشمالية .. (زيمبابوى حاليًا) أو كينيا، أو تنجانيقا (تانزانيا الحالية)، أو فى برقة الليبية، وربما فى وادى أورينيكو بأمريكا الجنوبية غير المأهول بالسكان، وذلك حرصا على

www.ibtesama.com/vb

المصالح الاستراتيجية (الحربية والبترولية والرغبة فى وراثة النفوذ البريطانى الفرنسى) فى الدول العربية والإسلامية، لكنه هو بنفسه الذى أوعز إلى الحاخامين ستيفن وايز وأباهليل سيلفر بإصدار بيان يطالبان فيه بتأييد الولايات المتحدة لمشروع الوطن القوى اليهودى فى فلسطين.

ومع ذلك فقد واصل روزفلت لعبته المزدوجة، فبعد أيام من صدور بيان وايز وسيلفر، هنأ روزفلت علنا رئيس محلس النواب سام ريبورن لنجاحه فى منع الموافقة فى المجلس على مشروع قرار يؤيد إقامة الوطن القومى لليهود فى فلسطين، وفى حوالى الوقت نفسه - طبقا لما يثبته كتاب البروفسور ستيفن شبيجل - كان روزفلت يؤكد فى رسائل لستة زعماء عرب أن أى قرار أمريكى حول مسألة فلسطين واليهود لن يتخذ إلا بعد التشاور مع العرب واليهود.

وفى حملته لإعادة انتخابه لفترة رئاسية رابعة، أعلن روزفلت لأول مرة صراحة التزامه بإقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين، ولكننا نعلم الآن حسب رواية شبيجل - أنه وافق فى اليوم التالى مباشرة على رسالة رسمية من وزارة الخارجية الأمريكية إلى الدول العربية تقدم ضمانات سرية مخالفة لما صرح به علنا.

وسوف يلاحظ أن هذا الأسلوب - هو بدوره - نمط متكرر، حتى يكاد يصبح قانونا فى الدبلوماسية الأمريكية، فالتأييد للصهيونية وإسرائيل علنى وعملى، والضمانات تقدم للعرب سرا، ثم لا يلتزم بها، بحجة أن الأوضاع تغيرت، ولن تكون " الضمانات " السرية الجديدة للإخوان المسلمين، وسائر قوى الإسلام السياسى استثناء من ذلك، كما سنرى فى الفصول التالية.

www.ibtesama.com/vb

والحقيقة أن الرئيس فرانكلين روزفلت كان هو الآخر مفتونا بأرض التوراة، وكان يرنو ببصره إلى قيام دولة يهودية خالصة فى فلسطين، مع تقديم إغراءات مالية للعرب كى يغادروها، إما عن طريق إقامة صندوق دولى لهذا الغرض، وإما بإقامة اتحاد فيدرالى بين عرب فلسطين، وبين من يختارون من الدول العربية المجاورة، بحيث تخلى أكبر مساحة ممكنة من الأرض الفلسطينية التاريخية لليهود.

ومن باب الأمانة التاريخية، لابد من الإشارة إلى أن روزفلت شعر ببعض التفهم للحقوق العربية فى لقائه مع الملك عبد العزيز بن سعود فى طريق عودة الأول من مؤتمر يالتا، وأنه أخبر القاضى جوزيف بروسكاور رئيس اللجنة اليهودية الأمريكية أنه "بالنظر إلى الموقف العربى، فإن شيئا لا يمكن أن يفعل فى فلسطين "، ولكنه اضطر إلى التصريح علنا فى الأسبوع نفسه بتأييده لمشروع الكومنولث اليهودى فى فلسطين فى خطاب إلى الحاخام وايز، ثم فى اليوم التالى وافق على رسالة من وزير خارجيته يوم ٥ إبريل عام ١٩٤٤ إلى الملك عبد العزيز تؤكد الالتزام بتعهده بالتشاور مع الدول العربية، وبعد أسبوع توفى روزفلت، لكنه كان قد أرسى سابقة طمأنة العرب فى السر.. وفى السر فقط، ثم يأتى من بعد ذلك رئيس لا يلتزم بهذه "الأسرار"، ويزيد من التأييد، والمساعدة العلنيين لإسرائيل.

وعلى الرغم من أن المشهور عن الرئيس هارى ترومان - الذى خلف روزفلت - أنه تبنى المشروع الصهيونى فى فلسطين، وأيد قرار التقسيم فى الأمم المتحدة، واعترف بإسرائيل بعد ساعة واحدة فقط من إعلان قيامها لأسباب انتخابية محلية، فإن ذلك ليس صحيحا البتة .

www.ibtesama.com/vb

رُوى عنه أنه قال لمجموعة من الدبلوماسيين عام ١٩٤٥ : "أيها السادة : أنا آسف، لكن على أن أقدم إجابات لمئات الألوف من الأمريكيين التواقين لنجاح الصهيونية، وفى المقابل فليس لدى مئات الألوف من الناخبين العرب".

و لكن الحقيقة أنه لم يثبت قط توثيقيا أنه قال ذلك، بل إن الثابت أنه كتب بنفسه فى مايو عام ١٩٤٨ - أى عام الحرب العربية الإسرائيلية الأولى - رسالة إلى ممثل نيويورك فى مجلس النواب، يقول فيها، إنه يستبعد العوامل السياسية المحلية (يقصد الانتخابية) من اعتباره إلى أقصى حد ممكن، فيما يتعلق بالمسألة الفلسطينية، وقال مثل ذلك لعضو بارز فى اللجنة القومية الديمقراطية، أى اللجنة القيادية للحزب الذى ينتمى إليه.

إذن لماذا تبنى ترومان قرار التقسيم، واعترف بإسرائيل ؟، يجيب عن هذا السؤال "كتاب : الصراع الآخر" الذى سبقت الإشارة إليه، وها هى الإجابة، إن ترومان كان دارسا متعمقا للتاريخ، وكان يعتقد أنه يفهم المحنة اليهودية، ولذا فهو يؤيد الدولة اليهودية فى فلسطين شرط أن لا يضطر إلى إرسال ٥٠٠ ألف جندى أمريكى للدفاع عنها.

ولكى ندرك عمق التزام ترومان بإسرائيل - لهذا السبب وحده، وليس لأسباب إستراتيجية (منافسة الاتحاد السوفيتى) أو أسباب انتخابية، كما سبق القول توا – علينا أن لا ننسى أن الغالبية الغالبة من الاستراتجيين والمؤسسات المسئولة عن الإستراتيجية كانت تعارض سياسة ترومان، ومنهم جورج مارشال وزير الخارجية، ورئيس هيئة الأركان المشتركة للقوات المسلحة الأمريكية سابقا، ونائبه روبرت لوفيت، وعميد الدبلوماسيين الأمريكيين فى شئون المواجهة مع السوفيت جورج كينان رئيس دائرة التخطيط السياسي فى الخارجية الأمريكية، وآخر سفير أمريكى فى روسيا

www.ibtesama.com/vb

القيصرية، ومصمم سياسة احتواء السوفيت بعد الحرب العالمية الثانية، وكذلك دين راسك رئيس مكتب شئون الأمم المتحدة.

بل كان من المعارضين أيضا أبرز العسكريين والمسئولين الأمريكيين عن الدفاع، وفى المقدمة جيمس فورستال وزير الدفاع الذى استقال عام ١٩٤٩ بسبب غضب ترومان منه لمعارضته سياسة البيت الأبيض فى فلسطين، ثم انتحر بعد سنة من مغادرته منصبه، وكان من المعارضين أيضا الأدميرال ويليام ليهى أحد كبار مستشارى روزفلت الذين احتفظ بهم ترومان، بل كانت جميع وكالات الاستخبارات الأمريكية - ودون استثناء واحد - تعارض التأييد الأمريكى لقيام إسرائيل.

كان كل أولئك المعارضون من الذين يغلبون الحسبة الإستراتيجية على الحسبة الثقافية المستمدة من ارتباط الآباء المؤسسين للمستعمرات - التى أصبحت الولايات المتحدة - بالرطانة، والرؤى التوراتية، وبالعاطفة المشبوبة - التى يشعلها هذا الارتباط متفاعلا مع الغضب من اضطهاد الأوروبيين لليهود - نحو قيام دولة إسرائيل، ويعرف هذا التيار حتى الآن بتيار الواقعية السياسية، وهو نفسه تحول بعد ذلك إلى اعتبار إسرائيل هى الرصيد الاستراتيجى الأكبر للولايات المتحدة فى الشرق الأوسط فى حقبة الحرب الباردة. وذلك قبل أن تتبلور فى السبعينيات (سياسيا) ما أصبح يعرف بظاهرة الصهيونية المسيحية، ومضمونها أن عودة اليهود إلى فلسطين توفر الشرط الإلهى للظهور الثانى للمسيح، وهى عقيدة يتبعها ما لا يقل عن خمسين مليون أمريكى يؤلفون فى مجموعهم ما يسمى باليمين المسيحى الأمريكى.

www.ibtesama.com/vb

آيزنهاور غير التوراتي :

وعلى الرغم من أن الرئيس الأمريكى التالى دوايت آيزنهاور الجمهورى، وبطل الحرب العالمية الثانية على المسرح الأوروبى، لم يكن مهتما بتلك الرطانة، فإنه لخص موقفه من إسرائيل فى حديث إلى فيليب كلوتزنيك الرئيس الأشهر لمنظمة بناى بيرث اليهودية، وذلك فى شهر مايو عام ١٩٥٣ بقوله :" إنه ليس متأكدا من أنه كان سيؤيد قيام إسرائيل، لو أنه كان الرئيس فى عام ١٩٤٨، أما وقد قامت إسرائيل فعلا، فلابد من الالتزام بها "، كما يؤثر عنه أنه قال لمعاونيه فى أعقاب أزمة لبنان عام ١٩٥٨، والتى أدت إلى إنزال قوات أمريكية فيه فى ذلك العام :" لولا وجود إسرائيل لكان بالإمكان وجود سياسة أمريكية قابلة للحياة فى الشرق الأوسط " أو كما يقول ستيفن شبيجل فإن آيزنهاور كان يعتقد أن " إسرائيل هى سبب مشكلاته فى المنطقة..".

ها هو ذا رئيس أمريكى ليس مقيداً بثقافة أو عواطف مستمدة من كتاب اليهود المقدس، ويرى أن إسرائيل عقبة إستراتيجية، وليست رصيداً إستراتيجيا، كما قيل فيما بعد، وعلى الرغم من ذلك لا يملك إلا أن يؤيدها، فقد أصبحت غالبية الأمريكيين مهتمة ببقاء إسرائيل بعد قيامها، وانتصارها فى حرب ١٩٤٨ للأسباب التى يحفل بها آيزنهاور نفسه، ومع ذلك، فقد كانت فترة هذا الرئيس هى أنشط فترات الدبلوماسية الأمريكية فى محاولات ترويض الدول العربية، ومصر الناصرية بالذات، لقبول إسرائيل والتعاون معها، وهو ما سنخصص له الفصل الثالث من هذا الباب، ولكن ينبغى أن نسجل لآيزنهاور - قبل أن نغادر إلى رئاسة جون كيندى - أنه اتخذ موقفاً حازماً أجبر إسرائيل على الانسحاب من سيناء بعد احتلالها لشبه الجزيرة فى عدوان ١٩٥٦

www.ibtesama.com/vb

الثلاثى على مصر، وأنه اتخذ موقفاً قوياً أيضاً ضد هذا العدوان، وكان هذا الموقف من أهم أسباب فشل العدوان البريطانى الفرنسى الإسرائيلى على بورسعيد، رداً على تأميم مصر لقناة السويس.

نموذج للتفسير :

وفى رأيى أن رئاسة جون كنيدى القصيرة والحافلة تقدم نموذجاً تفسيرياً متكاملاً للالتزام الأمريكى الأعمق من الافتراضات السائدة، فهى فترة زاخرة بالتناقضات بين العواطف، وبينَ المصالح العملية، وبين القيود الإيديولوجية، وبين الوعود البراقة ثم الآفلة التى أطلقتها شعارات حملة كنيدى الانتخابية مجملة فى تعبير الآفاق الجديدة.

المشهور عن كنيدى، وهو ما لا يزال مُسلما به لدى من عاشوا تلك الحقبة، أنه حاول استعادة الثقة المفقودة بين القيادة المصرية ممثلة فى جمال عبد الناصر، ومن ثم الرأى العام العربى، وبين الولايات المتحدة، وأنه حاول فتح آفاق جديدة فعلاً للتسوية السلمية للقضية الفلسطينية، لاسيما قضية اللاجئين، ولا جدال فى أن العرب مثلهم مثل بقية شعوب العالم - وفى مقدمتها الشعب الأمريكى بالطبع - كانوا مأخوذين بسحر جون وجاكلين كنيدى، ولا يزال يسود بين الكثيرين منهم الاعتقاد بأن ذلك الرئيس الأمريكى الشاب قتل بمؤامرة شارك فيها اليهود حماية لمصالحهم وولإتيان بنائبه - ليندون جونسون - رئيساً لا يبالى بمنع انفجار الشرق الأوسط، ويُطلق العنان لإسرائيل لضرب مصر، ويساعدها على ذلك، وهناك قرائن تدل على ذلك بالفعل، إلا أن القصة لها أعماق أخرى.

www.ibtesama.com/vb

لقد دخل كنيدى البيت الأبيض مشبعا بالإيمان بإسرائيل، على الرغم من أنه كان أول وربما آخر رئيس كاثوليكى (حتى وقت كتابة هذه السطور) ينتخب رئيسا، وعليه فالأسباب التوراتية ليست هى ما يفسر عمق إيمانه بإسرائيل، تلك الأسباب المقصورة فقط على التفسيرات البروتستانتية للتوراة، والتاريخ، ولكنه وصل إلى هذا الإيمان من طريق آخر، فقد اعتاد القول علنا، وفى أحاديثه الخاصة، إن لديه ارتباطا عاطفيا بأيرلندا التى نزح منها جده الثانى - مؤسس العائلة - إلى بوسطن، فلماذا إذن لا يتوحد اليهود مع إسرائيل ؟

ومنذ ظهوره على مسرح السياسة الأمريكية فى مقتبل خمسينيات القرن العشرين، فقد كان يتحدث باستمرار عن الصداقة والتفهم للتجربة الصهيونية، ولا يمكن تفسير ذلك فقط بصداقاته العديدة مع يهود بوسطن (ولاية ماساشوستس)، واحتياجه إلى تبرعاتهم الانتخابية، فقد كان هؤلاء أكثر ولاء لمنافسيه على ترشيح الحزب الديمقراطى للرئاسة، وأهمهم إدلاى ستيفنسون، وهيوبرت همفرى، ولیندون جونسون، بل إن والد كنيدى -السفير فى لندن فى فترة الحرب العالمية الثانية وما قبلها - كان معروفا بالتعاطف مع ألمانيا، كما أن كنيدى الابن نفسه أتهم من جانب منظمة قدامى المحاربين اليهود فى عام ١٩٦٠ بأنه يؤيد إسرائيل بالأقوال، فيما يؤيدها جونسون بالأفعال.

لكنه كان صاحب أقوى وأشمل صياغة قدمها رئيس أمريكى لتأكيد وتفسير رسوخ الالتزام الأمريكى الأبدى نحو إسرائيل، ففى خطابه أمام مؤتمر المنظمة الصهيونية الأمريكية فى أغسطس ١٩٥٩، وكان مدعوا ضمن بقية المرشحين الديمقراطيين للرئاسة، قال : إسرائيل ليست فقط دولة يهودية، ولكنها بالنسبة للأمريكيين المنحدرين من أصول أيرلندية،

www.ibtesama.com/vb

هى القضية الموازية أو التالية فى الاهتمام لقضية استقلال أيرلندا، لأنه حيثما توجد الحرية، فإننا جميعا ملزمون بالدفاع عنها، وعندما تكون الحرية فى خطر فى أى مكان، فإننا جميعا نصبح فى خطر، وأضاف أن "المثل العليا الصهيونية حظيت بتأييد الحزبين الديمقراطى والجمهورى، وبتأييد الأمريكيين من كل القطاعات أو الطبقات، ولذا فإن الصداقة الأمريكية الإسرائيلية ليست قضية حزبية، ولكنها التزام قومى ".

ويقول مؤرخو رئاسة كنيدى، إن كاتبى هذا الخطاب قدموا له صياغتين حول الموقف من إسرائيل، إلا أنه اختار هذه الصيغة لأنها الأقوى.

وكما هو معروف، فإن كنيدى تخلى عن مرشحه الأول والمفضل لمنصب وزير الخارجية - السناتور- ويليام فولبرايت - لأن المنظمات اليهودية الأمريكية كانت وبقيت ترفضه حتى أجبرته على اعتزال السياسة.

وكما سيرد تفصيلا فى الفصل الثالث من هذا الباب، فإن موقف كنيدى العملى تمثل فى الخطوط الثلاثة المتوازية التالية، محاولة فتح آفاق للتسوية السلمية لاجتذاب جمال عبد الناصر بعيدا قدر الإمكان عن الإتحاد السوفيتى، فإذا لم تتحقق التسوية، فيجب عدم ترك الصراع العربى الإسرائيلى لينفجر، وهذا ما شرحه لجولدا مائير وزير خارجية إسرائيل فى حينها، ولم يسترح له الإسرائيليون، الذين كانوا يطوقون إلى تفجير الحرب، بما يمكنهم من احتلال الضفة الغربية، والقدس الشرقية، إكمالاً للمشروع الصهيونى.

كما عمل كنيدى سرا على تعويض إسرائيل، عن المصدر الفرنسى للتسليح الذى بدا أنه سوف ينضب بعد تسلم الجنرال ديجول السلطة فى فرنسا عام ١٩٥٨، وذلك بصفقات الأسلحة الألمانية السرية، والى جانبها قدر هائل من التمويل تحت مسمى تعويض ضحايا المحرقة النازية.

www.ibtesama.com/vb

وإلى جانب ذلك فإن كنيدى لعب أدوارا أخرى لا تقل أهمية فى ركن بعيد من الشرق الأوسط، فقدم التزاما سريا مكتوبا بأمن السعودية، وأدارت مخابراته حرب استنزاف مصر فى اليمن، بمشاركة نشطة من إسرائيل.

إننا فى حالة كنيدى أمام تفسير لا هو إستراتيجى فقط، ولا هو انتخابى فقط، ولا هو عاطفى فقط بإسرائيل، ولكنه كل ذلك، وفوقه إيمان قوى لا يتزعزع بما يسمى بالحق التاريخى لليهود فى فلسطين، وهو إيمان ألزم نفسه به كنيدى الكاثوليكى المتحرر من الرطانة التوراتية، ولابد من إقناع الدول العربية للرضوخ له، وإن كان بوسائل ناعمة، مقارنة بالضغوط الهائلة سياسيا واقتصاديا التى مارستها إدارة آيزنهاور السابقة، الذى لم يكن متأكدا أنه كان سيؤيد قيام إسرائيل لو كان رئيسا فى سنة ١٩٤٨، كما ذكرنا قبل عدة فقرات، أما الوسائل الخشنة، أى الضغوط الاقتصادية، والعسكرية وصولا إلى الحرب، فسوف تأتى مع خليفة كنيدى فى البيت الأبيض ليندون جونسون.

ليست هزيمة ١٩٦٧ لمصر وسوريا والأردن أمام إسرائيل بسوء الأداء، وانعدام كفاية القيادة العسكرية المصرية، وبمؤامرة سالت لإثباتها كميات هائلة من الأحبار هى موضوع هذا الفصل، أو الكتاب نفسه، المشغول فقط بتأكيد رسوخ الالتزام الأمريكى بالمشروع الصهيونى كالجبال الرواسى، وأن تسليم الإخوان المسلمين فى كل مكان فى الدنيا، وفى مصر أولا به، هو الشرط الأول والأكبر والذى لا حيدة عنه للارتباط الأمريكى البناء بهم، لذا سنركز فقط على تعبير الرئيس جونسون عن إيمانه، وإيمان أمريكا بهذا الالتزام اتساقا مع منهجنا كما شرحناه.

كان جونسون مثله مثل ترومان لديه اعتقاد توراتى يشعل عواطفه المنحازة لإسرائيل، فقد قال مثلا فى عام ١٩٦٨ لأعضاء منظمة بناى بيرث:

www.ibtesama.com/vb

"إن أغلبيتكم - إن لم يكن جميعكم - لديه ارتباط بأرض وشعب إسرائيل مثلى تماما، لأن إيمانى المسيحى ينبع منكم، إن القصص التوراتية قد نسجت ذكريات طفولتى، تماما مثلما أن نضال اليهود المعاصرين للتحرر من الاضطهاد قد نسج فى أعماق أرواحنا".

وقد خاطب جونسون ليفى اشكول رئيس وزراء إسرائيل فى عام ١٩٦٤ فى حفل بالبيت الأبيض، قائلا :"إن شعب إسرائيل عمل طويلا وبمشقة ليجعل من أرضه القديمة دولة متطورة وواحدة من أكثر الدول حداثة، إن إنجازاتكم لا تخطئها عين، ولكن اللبن والعسل ليسا وحدهما ما حقق هذا النجاح، أما الذى ألهم عملكم فهو روح وتفانى شعبكم، ثم خاطب جونسون زالمان شازار رئيس دولة إسرائيل فى عام ١٩٦٦ بالقول: "إن جمهوريتنا مثل دولتكم رضعت فلسفة المعلمين العبرانيين الأوائل، الذين علموا البشرية مبادئ الأخلاق، والعدالة الاجتماعية، والسلام الكونى.....إن هذا هو ميراثنا....وهو منكم".

هذه العاطفة الحارة، جعلت جونسون ينسى كلية دور الشعوب الأخرى فى الهام البشرية بالمثل العليا، فكأن العالم كان بلا أخلاق، ولم ينشد العدل والسلام إلا بظهور اليهود، وكأنه لم تقم حضارات فرعونية، أو بابلية، أو فارسية، أو هندية وصينية وإغريقية ورومانية، مع أنه - أى جونسون - هو رئيس الدولة التى أنجبت جيمس هنرى برستيد صاحب الكتاب ذائع الصيت، "فجر الضمير"، والذى يثبت أن الضمير الإنسانى ولد على أرض مصر، وينسى أيضا أن التوراة نفسها تحدثت عن أنبياء صاغوا الضمير الإنسانى، والإيمان الدينى قبل ظهور اليهود.

ومع ذلك تظل هذه النظرة المثبتة فقط على اليهود، ولا تلتفت إلى أى اتجاه لترى الآخرين هى الغالبة على ثقافة الناخب، والسياسى

www.ibtesama.com/vb

الأمريكى، ولكن ذلك لا يدخل منه فى سياق موضوعنا سوى الانشغال الأمريكى - الذى لا يفتر - بترويض العرب والمسلمين على قبول إسرائيل...و لن يستثنى من ذلك الإخوان المسلمين، وسائر مكونات " الإسلام السياسى "، كما أكدنا آنفا.

الآن لا حاجة بنا - فيما نظن - للاستطراد فى تقديم نماذج من رؤى، وأقوال، وأفعال الرؤساء الأمريكيين التالين لجونسون، فيما يتصل بموضوعنا، ليس فقط لأن أغلب القراء مطلعون عليه بحكم تاريخه القريب، ولكن لأن ما استعرضناه كان هو العمل التأسيسى لما جاء بعد ذلك، وصولا إلى استراتيجية الارتباط البناء مع الإخوان المسلمين، وعلينا الآن أن ننتقل إلى الغوص فى الأعماق للبحث عن الجذور التاريخية فى الثقافة والسياسة الأمريكية، والأوروبية من قبلها لهذا " الإيمان " بحق اليهود التاريخى فى فلسطين، وهو موضوع الفصل التالى.

يبقى أن الرؤساء الأمريكيين الثلاثة بين ويلسون وروزفلت، وهم : ويليام هاردينج، وكالفن كوليدج، وهربرت هوفر، لم يكونوا أقل افتتاناً بالصهيونية من منطلقات توراتية من ويلسون، وبالنظر إلى الأمام، فسوف نلاحظ أن من بين ١٧ رئيساً أمريكياً من عام ١٩١٧ وحتى عام ٢٠١٣، كانت أغلبية الرؤساء الأمريكيين تتبنى الرؤية التوراتية حول إسرائيل، وتليها الرؤية الاستراتيجية، وتمثلت فى آيزنهاور، وريتشارد نيكسون، وجيرالد فورد، وجورج بوش الأب، فى حين كان كل من : جيمى كارتر، ورونالد ريجان، يجمعان ما بين الرؤية التوراتية والرؤية الاستراتيجية، أما بيل كلينتون فكان أقرب إلى كنيدى "رجل سياسة عملية لديه عواطف قوية نحو اليهود"، فى حين كان جورج بوش الابن نسخة فجة من رونالد ريجان مع توهم القدرة على فرض المشروع

www.ibtesama.com/vb

الإمبراطورى الأمريكى .. ويأتى باراك أوباما امتـداداً لكلينتـون وكينـدى .. لكن التاريخ سيثبت أنه الرجل الذى أخضع الإسـلام السـياسى للـمشروع الصهيونى.

www.ibtesama.com/vb

عصير الكتب
www.ibtesama.com/vb
منتدى مجلة الإبتسامة

www.ibtesama.com/vb

الفصل الثانى
الـــجـــــــذور

إذن كانت النخبة السياسية الأمريكية صهيونية بالمعنيين الثقافى والسياسى، ومعها قطاع كبير من رجال الدين والمثقفين قبل أن تولد الصهيونية نفسها كحركة سياسية، تعنى عودة اليهود إلى فلسطين، وإقامة دولة يهودية خالصة فيها، وسوف نرى - بعد قليل فى هذا الفصل - أن ساسة ومفكرين، ورجال دين كثيرين فى أوروبا كانوا صهاينة بهذا المعنى، حتى من قبل أن توجد الولايات المتحدة نفسها، وبالطبع من بعد ذلك.

وتسمى الدكتورة ريجينا الشريف الباحثة بمؤسسة الدراسات الفلسطينية، والأستاذة بجامعة الكويت هذه الظاهرة باسم الصهيونية غير اليهودية، (صدر لها كتاب تحت هذا العنوان فى سلسلة عالم المعرفة، الكويتية، عدد ديسمبر عام ١٩٨٥). لكن تبقى هناك عدة فروق بالغة الأهمية، بين الصهيونية غير اليهودية فى الولايات المتحدة، وبين نظيرتها الأوروبية.

فى الحالة الأمريكية، كانت اتجاها غالبا ومستمرا فى التنامى بين النخبة السياسية، فيما ظلت فى أوروبا أقل انتشارا، باستثناء بريطانيا العظمى.

www.ibtesama.com/vb

وفى الولايات المتحدة صار الرأى العام هو الآخر صهيونيا، فيما كان الرأى العام الأوروبى منشغلا بالمشكلة اليهودية، دون أن يؤمن فى مجموعه بأن حل هذه المشكلة هو إقامة دولة يهودية فى فلسطين،

وهذه النقطة الأخيرة هى التى تكشف لنا الفارق الثالث بين الصهيونية غير اليهودية فى الولايات المتحدة وبين الظاهرة نفسها فى أوروبا، فقد كانت الأخيرة هى صانعة المشكلة اليهودية، أى مشكلة اضطهاد اليهود، لأسباب دينية كاثوليكية، ولأسباب اقتصادية تدور حول اتهام اليهود بالجشع والاستغلال، تنفث عليهم ثراءهم، ومن ثم كان المنطقى أن تروج الصهيونية بين النخب، والجماهير الأوروبية أكثر من رواجها فى الولايات المتحدة، لكن الذى حدث هو العكس كما أشرنا، مما يوضح أن "أمريكا" كانت تربة خصبة، وجاهزة من الأصل للأفكار والمعتقدات الصهيونية، ودون أن ينفى ذلك أن الفكرة الأولى ولدت فى أوروبا، وترددت أصداءها من هامبورج إلى أمستردام، ثم باريس، وأخيرا لندن، قبل أن تسلم قيادها تماما ونهائيا إلى واشنطن.

وإذا كنا فى الفصل السابق قد استعرضنا مظاهر الالتزام الأمريكى الراسخ بإسرائيل والصهيونية، ورفعه إلى أعلى مستويات صنع واتخاذ القرار السياسى فى الولايات المتحدة، أى البيت الأبيض، وشخص الرئيس نفسه، فإن هذا الفصل سوف يركز على أدلة ومظاهر وأسباب عمق الجذور الصهيونية فى التاريخ السياسى والثقافى للولايات المتحدة، وصولا إلى إثبات أن أى ارتباط بناء بين واشنطن، وأى من جماعات الإسلام السياسى، وخاصة جماعة الإخوان المسلمين فى مصر، وتنظيمها الدولى، وفروعها فى أكثر من مائة دولة فى العالم، يجعل أولويته المطلقة هى إدخال هذا التيار ومنظماته فى مصفوفة الارتباط البناء بإسرائيل أيضا فى نهاية المطاف، مثلما فعلت الولايات المتحدة مع جميع الحركات القومية العربية.

www.ibtesama.com/vb

روافد الصهيونية :

غير أنه لابد - أولا - من استعراض - ولو سريع نسبيا - لجذور الصهيونية فى تاريخ أوروبا الحديث، ولكن قبل الشروع فى هذا الاستعراض هناك حاجة إلى تقصى الروافد الفكرية والسياسية فى الوعى الأوروبى والأمريكى (أى الغرب عموما) للفكرة، ومن ثم للعقيدة الصهيونية.

بطبيعة الحال ستكون الرطانة التوراتية، أو التفسيرات " الحرفية " للتوراة - حسبما تراه ريجينا الشريف- هى الرافد الأول، والغزير، وما يضاف هنا هو أن هذا المجرى قد شق بفعل حركة الإصلاح الدينى البروتستانتية، وهنا تضافر عاملان : الأول هو إعادة اكتشاف التوراة (العهد القديم) كمكمل ومفسر للإنجيل (العهد الجديد)، ومن ثم شيوع التعاطف مع اليهود، والشعور بالامتنان لهم، لأنهم حاملو الشعلة الإلهية المقدسة التى وصلت إلى المسيح، والثانى الاعتقاد بأن تجمع بنى إسرائيل فى فلسطين مرة أخرى هو المقدمة الحتمية الممهدة لعودة المسيح إلى الأرض، أو للظهور الثانى له.

بعد حركة الإصلاح الدينى، تأتى حركة التنوير، وكانت هذه الحركة - فى مجملها - مناهضة للعقائد المسيحية والكنيسة بصفه خاصة - إما بصورة فجة وحادة كما فعل فولتير أحيانا، وإما بصورة متزنة تعطى الدين مجاله، والعلم والفكر مجالهما كما فعل أمثال جان جاك روسو، وإيمانويل كانط، وسبينوزا، وليسينج وغيرهم، ومع ذلك فقد تداخل فى نسيج - حركة التنوير هذه - خيط غليظ من التعاطف مع اليهود، والصهيونية، والأسباب مفهومة، منها أن التنوير الذى يقتضى الاحتكام إلى العقل الفردى دائما أداة للوصول إلى السعادة، والإيمان يرفض التمييز ضد اليهود واضطهادهم، وكان

www.ibtesama.com/vb

عليه أن يطرح بدائل لتحريرهم من كل ذلك... ألم تتبلور حركة التنوير سياسيا فيما بعد، ومع الثورة الفرنسية (الثورة الديمقراطية)، فى المبادئ الثلاثة الشهيرة، الحرية والإخاء والمساواة؟

لم يكن التداخل العضوى بين الصهيونية وحركة التنوير مجرد انعكاس نظرى فحسب لمبادئ هذه الحركة، ولكن اليهود الأوربيين كانوا فى - مجملهم - كتلة من كتل التحالف التاريخى للحداثة الأوروبية، فكان منهم فلاسفة وأدباء شاركوا فى صنع المخاض الفكرى للثورة الفرنسية، فضلا عن مشاركة هؤلاء، ومعهم علماء ومكتشفون يهود فى إرساء المنهج العلمى، وتقدم العلوم الطبيعية، والى ذلك فقد كان عدد كبير منهم منخرط فى النضال ضد الاستبداد الملكى، المتحالف مع الكنيسة الكاثوليكية، والإقطاع، والفرسان، ذلك النضال الذى كانت تقوده البرجوازية الناشئة فى المدن، ومفكرو التنوير.

وعندما حان الوقت لبروز قضية الطبقة العاملة، ومن ثم ظهور المذاهب الاشتراكية، كان اليهود أيضا من المشاركين بفاعلية فى التنظير لهذه المذاهب، وفى قيادة الحركات السياسية المناضلة من أجل تطبيقها، ولا ننسى أن كارل ماركس مؤسس الشيوعية كان يهودى المولد (وكان ماركس من رافضى الصهيونية انسجاما مع مذهبه فى رفض القوميات واعتبارها ظاهرة بورجوازية)، وكذلك كان العديد من أبرز وجوه الاشتراكية الديمقراطية، كل ذلك جعل القوى التقدمية فى أوروبا قريبة دائما من اليهود، ومتعاطفة معهم، ثم أخيرا مؤيدة للصهيونية، خاصة ما يسمى بالصهيونية العمالية التى كان لها القدح المعلى فى إقامة دولة إسرائيل.

فقد أصبحت الصهيونية فى عرف أغلب التقدميين الأوربيين قضية تحرر وطنى، وأصبحت للاشتراكيين منهم نموذجا للمجتمع الموعود القائم على التضامن الجماعى، والملكية العامة.

www.ibtesama.com/vb

لكن تناقضات التاريخ وهى تسير كلها فى مصلحة الحركة الصهيونية... وباللمفارقة - تجمع الاستعماريين والعنصريين جنبا إلى جنب مع المتدينين والتنويريين، والديمقراطيين، والاشتراكيين - فى تبنى العقيدة (الحركة الصهيونية) وكان كروميل البيوريتانى البريطانى هو أول من أدرك الحاجة إلى اليهود فى تجارة بلاده الدولية، فى معرض تبرير دعوته لإلغاء قانون قديم يحرم على اليهود الإقامة فى إنجلترا، أما مُنظر الوظيفة الاستعمارية للدولة اليهودية فى فلسطين فكان أيضا سياسى بريطانى شهير هو بالمرستون.

وعن العنصرية كرافد من الروافد الفكرية للصهيونية غير اليهودية، فيمكن تلخيص المعادلة هنا بعبارة بسيطة على النحو التالى : إن كل كارهى اليهود من الأوروبيين كانوا متحمسين للصهيونية، لأنها تنقل هذه الوجوه الكريهة -على حد تعبير أحدهم - بعيدا عن أعينهم.

***

نشرع الآن فى استعراض نماذج للصهيونية غير اليهودية فى أوروبا توضح قدمها، ويظهر منها مصدر أو اثنان، من المصادر السابق شرحها كروافد فكرية لتلك الظاهرة.

ثم ننتقل بعد ذلك للتنقيب عن جذور الصهيونية الأمريكية غير اليهودية، ثم نرى كيف أنبتت هذه الجذور أشجارا سامقة، أعطت بدورها بذورا تنقلها الولايات المتحدة إلى التربة العربية، وأخيرا إلى تربة الإسلام السياسى، فى إطار ما تسميه واشنطن الارتباط البناء بالإخوان المسلمين، كما سبقت الإشارة، وكما سنكرر دائما بين سطور الكتاب، الذى لا هدف له سوى إثبات أن أى ارتباط بناء بالولايات المتحدة لقوميين، أو ليبراليين، أو يساريين عرب، أو إخوان مسلمين، أو سلفيين، أو غيرهم لابد أن يمر من الباب الصهيونى الإسرائيلى، ثم لنثبت ثانيا أن

www.ibtesama.com/vb

"الإسلاميين السياسيين "على عكس الفئات الأخرى يتبنون خطابا مزدوجا فى القضية، ولنثبت ثالثا أن المرور من الباب الإسرائيلى الصهيونى وصولا إلى واشنطن قد يكون مفهوما من تلك الفئات، لكنه متناقض جذريا مع تاريخ، ومعتقدات الإخوان، وأنه مثل انقلابا فى فكر وآراء الجماعة، لم يتحدث عنه، ولا يتحدث عنه أحد، اللهم كلمه عابرة هنا أو هناك، دون تأصيل وتتبع كافيين، كما نفعل نحن فى هذا الكتاب.

الصهيونية الأوروبية :

تقول الدكتورة ريجينا الشريف فى كتابها الفريد سابق الذكر : كان يعتقد أن الفقرات الواردة فى العهد القديم، والتى تشير إلى عودة اليهود إلى وطنهم لا تنطبق على اليهود "الحاليين" بل على الكنيسة المسيحية، أما اليهود، فإنهم اقترفوا إثما فطردهم الله من فلسطين إلى منفاهم فى بابل، وعندما أنكروا أن عيسى هو المسيح المنتظر نفاهم الله ثانية، وبذلك انتهى وجود ما يسمى بالأمة اليهودية إلى الأبد، ولذلك فليس لليهود مستقبل قومى جماعى، ولكنهم كأفراد، يستطيعون أن يجدوا الخلاص الروحى بارتدادهم إلى المسيحية، وانظروا الآن كيف انقلب كل ذلك فى سياق حركة الإصلاح الدينى، وبسببها، بما أنها كانت، ولازالت انقلابا على الكاثوليكية، والسلطة الروحية والدنيوية لبابوات روما.

لنبدأ بمارتن لوثر مؤسس الحركة، فقد أجج المشاعر الرومانسية تجاه اليهود، والعهد القديم، وهو ما أدى إلى انبثاق حركة إحياء عبرية ثقافية، ولكنه عاد بعد ذلك يدعو إلى عودة كل اليهود إلى فلسطين، ناقما منهم أنهم لا يزالون على كفرهم بالمسيح، وكان لوثر يصف اليهود بأنهم أبناء الله، الجالسون على مائدته، أما "نحن"- يقصد مسيحيى أوروبا - فيجب أن نجلس كالكلاب تحت المائدة، مكتفين بالفتات الذى

www.ibtesama.com/vb

يرمونه لنا، ثم عاد ليقول : "من الذى يحول بين اليهود وبين عودتهم إلى أرضهم فى يهودا ؟ لا أحد....إننا سنزودهم بكل ما يحتاجون إليه فى رحلتهم، لا لشئ إلا لنتخلص منهم "... وعندها أصبح لوثرا صهيونيا.

وبعد لوثر بعدد قليل من السنوات كتب مايكل سيرفنس، وفرانسيس كيث فى انجلترا يدعوان إلى البعث اليهودى، وقد أحرق الرجلان لأنهما "أنكرا الثالوث المقدس"، لكن حركة البعث العبرانى لم تمت، بل أحياها بقوة عالم اللاهوت توماس برايتمان الذى أصبح له أتباع كثيرون، من بينهم أعضاء فى البرلمان، ثم اتسعت دائرة الإيمان بعودة اليهود إلى فلسطين لتشمل أدباء ومفكرين وسياسيين آخرين فى انجلترا، وسائر الدول الأوروبية الكبيرة فى ذلك الوقت، ومن هؤلاء من الساسة كروميل، ثم نابليون، واللورد شافتسبرى، ودوق كنت وإيرل كروفورد، ولورد جراى، ولورد بكسلى، ووليام جلادستون، والأخير كان رئيسا للوزراء فى بريطانيا فيما بعد، وصولا فى القرن التالى إلى فيكونت بالمرستون، وإدوارد متفورد، وجورج جولر، وتشارلز هنرى تشرشل، ثم لويد جورج، وآرثر بلفور صاحب الوعد الشهير، وونستون تشرشل رئيس الوزراء، وبطل الحرب العالمية الثانية.

أما فى الأدب والفكر، فقد كان معظم الأعلام الأوروبيين فى هذين الميدانين، يؤمنون بالصهيونية، ويدعون لها، فهكذا فعل الشاعر الإنجليزى جون ميلتون صاحب الفردوس المفقود، ثم مواطنه اللورد بايرون، ويليام ولدزويرث، وروبرت برادينج، والروائية جورج اليوت التى كتبت أول رواية صهيونية فى تاريخ الأدب بعنوان "دانيال ديروندا"، وكانت هذه الرواية أكثر الكتب مبيعًا فى عصرها، وفى ألمانيا، كان جوتهولد ليسينج صديق المفكر اليهودى موسى هيس من المؤمنين

www.ibtesama.com/vb

بالصهيونية، المبشرين بها، ومن قبله فيلسوف العقل كانت، وفى فرنسا لم يكن المؤمنون بالصهيونية أقل من روسو، وراسين، وبوسيه.

وبالطبع هناك غير هؤلاء كثيرون، فى هذه الدول وهولندا، والدول الإسكندنافية على وجه الخصوص، والملاحظ هنا أنه باستثناء فرنسا، لم تزدهر الصهيونية فى الدول الكاثوليكية، ولم يفكر فيها أحد من الكتاب والمفكرين غير اليهود فى أوروبا الأرثوذوكسية، من اليونان، وصربيا جنوبا حتى روسيا فى أقصى الشمال.

إلى العالم الجديد :

الولايات المتحدة الأمريكية هى الإبنة البكر لبريطانيا العظمى، وتجرى فى دمائها السلالة الجرمانية، لذا تفوقت فيها الثقافة الأنجلوساكسونية أو ثقافة "الواسب"، كما توصف، وفى القلب منها التقاليد البروتستانتية، غير أن هذه الولايات المتحدة هى أيضا حفيدة لأوروبا ككل، ومن ثم فقد ورثت أيضا مبادئ التنوير، والعنصرية، والاستعمار جنبا إلى جنب، وكانت الصهيونية من بين هذه الموروثات سواء من الأم البريطانية، أو من الأعمام والأجداد الألمان، والأوروبيين عموما، ولكن مع درجة أعلى ونطاق أوسع من التأييد.

نقتبس مرة أخرى من الدكتورة ريجينا الشريف التى تقول :"كانت العناصر اليهودية أكثر وضوحا فى العالم الجديد، فقد أصبحت أمريكا هى كنعان الجديدة، والملك جيمس الإنجليزى (الذى فر منه البيوريتان أو المتطهرون) هو فرعون، وأصبحت التوراة مصدرا لأسمائهم، ودليلا لتشريعهم، وغدوا يطلقون على أطفالهم أسماء عبرانية، وأصبحت مدنهم تحمل أسماء بيت لحم، وعدن، والخليل، ويهودا، وسالم، وصهيون، بل والقدس ".

www.ibtesama.com/vb

إن هذا التقمص للتاريخ العبرى، متضافرا مع الإيمان لدى القطاع العريض من البروتستانت الأمريكيين بالعصر الألفى السعيد عندما يعود المسيح، بعد أن يعود اليهود إلى فلسطين، أنتج زعماء يطالبون بالعمل لتحقيق هذه العودة اليهودية، وكان أول تحرك هو ذلك الذى أشرنا إليه فى الفصل السابق، وتزعمه المبشر الإنجيلى ويليام بلاكستون، الذى أطلق عليه لقب " بطل صهيون البارز "، وقد وصف كتابه " عيسى قادم". بأنه "أثار انتباه عدد من رجال الدين إلى قضية عودة المسيح يفوق عدد من أثر فيهم أى كتاب آخر طوال عشرات السنين"، فانضم إليه، ووقع على المذكرة المقدمة إلى الرئيس بنيامين هاريسون - السابق الإشارة إليها - للسعى لإعادة اليهود إلى فلسطين، ملفيل فولر رئيس المحكمة العليا، وبيربونت مورجان، وجون روكفلر، ووليام روكفلر، وراسيل سيج، وتشارلس سكربنر بين ٤١٣ شخصية مرموقة فى مجالات السياسة والدين، والأعمال، وجاء فى هذه المذكرة ما يلى بالحرف الواحد:

لماذا لا نعيد فلسطين لليهود ؟ إنها وطنهم حسب توزيع الله للأمم، وهى ملكهم الذى لا يمكن تحويله لغيرهم، وقد طردوا منه عنوة، لقد كانت أرضا مثمرة بفضل فلاحتهم لها، وكانت تعيل ملايين الإسرائيليين، الذين كانوا يفلحونها بكل همة ونشاط، كما كانوا أمة ذات أهمية تجارية كبرى، وكانوا مركز الحضارة الدينى، فلماذا إذن لا تعيد الدول التى أعطت بلغاريا للبلغاريين، وصربيا للصرب بموجب معاهدة برلين ١٨٧٨ فلسطين لليهود ".

لنلاحظ هنا المغالطة الكبرى فى مذكرة بلاكستون، وهى مغالطة تظل حاكمة للسياسة الأمريكية حتى وقتنا هذا، وإلى ما شاء الله، فالصحيح أن معاهدة برلين لم تعد بلغاريا للبلغاريين، وصربيا للصرب، فقد كان الشعبان هناك - ومنذ قرون طوال - وقت توقيع هذه

www.ibtesama.com/vb

المعاهدة، وكل ما فعلته أنها أجبرت الاحتلال التركى العثمانى للبلدين على الاعتراف بهما دولتين مستقلتين، أما فلسطين فى ذلك التاريخ فلم يكن فيها سوى بضعة آلاف من اليهود، وكان اليهود الآخرون وهم الأغلبية الساحقة قد انقطعت صلتهم بفلسطين منذ ألفى سنة، وكان الذين عرفوا باسم الفلسطينيين العرب، هم الشعب الذى يقيم فيها منذ آلاف السنين، مع بضعة الآلاف أولئك من اليهود، مثلهم مثل الشعوب الأخرى التى تشتت اليهود بينهم.

وصمة المحمديين !

و مادمنا قد قدمنا فى الفصل السابق نماذج الالتزام بإسرائيل أولا من جانب قمة السلطة فى الولايات المتحدة، فإننا سنخصص ما تبقى من هذا الفصل لاستقصاء تغلغل الصهيونية فى جميع أوصال المجتمع الأمريكى، ونبدأ بالرأى العام، الذى أيد بقوة وعد بلفور، وقد تناول تشارلز جولدبات فى دراسة له عينه من تعليقات الصحف الأمريكية على "الوعد"، فاستنتج أن التأييد كان شاملا لجميع مستويات الطبقات الاجتماعية، وكانت المشاعر المعادية لوعد بلفور-وباللمفارقة- صادرة عن شخصيات يهودية معادية للصهيونية.

وفى منتصف الثلاثينيات أظهر استطلاع للرأى العام الأمريكى أن ٧٦% من الأمريكيين يؤيدون الهجرة اليهودية غير المقيدة لفلسطين، واستيطان اليهود فيها، وأن ٧% فقط كانوا يعارضون، و٨% مترددون و٥% لا رأى لهم ".....المصدر "ريجينا الشريف".

ويفسر ويليام كوانت - فيما بعد - هذا النمط الثابت من تأييد الرأى العام الأمريكى الكاسح لإسرائيل بقوله : إن الأمريكيين يستطيعون

www.ibtesama.com/vb

التوافق مع الطابع القومى الإسرائيلى، ذلك الطابع المتمثل فى روح الريادة، والالتزام بالديمقراطية، ومثاليات الحرية والحقوق السياسية، بطريقة ليس لها نظير فى الجانب العربى، حيث أنه لا المثال الخاص بالجماعة الإسلامية المنظمة، ولا ذلك الخاص بالحكومات الفردية الساعية إلى التحديث، يمكنهما تحريك قدر كبير من التعاطف لدى الأمريكيين، وعليه فإنه يوجد - بلا شك- تحيز مسبق فى الثقافة الأمريكية يعمل لمصلحة الإسرائيليين ".

يلى الكونجرس الرأى العام فى هذا الاستعراض، فقد أيد ٦٩ من أعضاء مجلس الشيوخ وعد بلفور على الفور، دون أدنى خلاف بين الجمهوريين والديمقراطيين، وكذلك كان الحال فى مجلس النواب، ولم تكن هناك أهمية تذكر فى ذلك الوقت لأصوات الناخبين اليهود، ولا لتبرعاتهم المالية.

وأصدر الكونجرس بمجلسيه فى عام ١٩٢٢ قرارا ينص على أن الولايات المتحدة تحبذ إقامة وطن قومى لليهود فى فلسطين، وقد شرح السناتور هنرى كابوت لودج رئيس لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ حيثيات تقديمه لمشروع القرار بقوله : إننى لم أحتمل قط فكرة وقوع القدس وفلسطين تحت سيطرة المحمديين، وإن بقاء القدس وفلسطين المقدسين عند اليهود، وكل الأمم المسيحية فى أيدى الأتراك كان يبدو لى لسنوات طويلة وصمة فى جبين الحضارة، يجب إزالتها ".

وقد وقع الرئيس ويليام هاردينج هذا القرار ليصبح ملزما.

تكرر هذا الموقف من الكونجرس بصورة آلية بمناسبة وغير مناسبة حتى يوم العرب واليهود هذا.

وكان لإحدى هذه المناسبات دلالة مهمة على قوة الوجدان الصهيونى للساسة الأمريكيين، ففى سنة ١٩٤٤ كان الكونجرس بصدد

www.ibtesama.com/vb

إصدار قرار آخر لصالح المشروع الصهيونى، ولكن الصياغة كانت تنص على إقامة دولة يهودية فى فلسطين، فاستبدلها الكونجرس بعبارة "إعادة إنشاء الدولة اليهودية فى فلسطين ".

والمثير للدهشة أن النص الأول كان مقدما من مؤتمر بلتيمور الذى كان أول مؤتمر تعقده المنظمة الصهيونية العالمية على الأرض الأمريكية، وذلك سنة ١٩٤٢، فالكونجرس الأمريكى صهيونى إذن أكثر من الصهاينة اليهود أنفسهم، أو أن المعنى الدينى (البروتستانتى) لإقامة إسرائيل هو الغالب على السياسيين الأمريكيين، فى حين أن المعنى السياسى - وليس الدينى - هو ما يشغل الصهاينة اليهود، وهذه حقيقة بديهية على أية حال.

***

ننتقل الآن إلى تقصى تغلغل العقيدة الصهيونية فى بقية مكونات المجتمع الأمريكى.

بدأت التحركات الشعبية فى الولايات المتحدة لمساندة المشروع الصهيونى فى فلسطين فى ثلاثينيات القرن العشرين، ومن أوائل المنظمات التى تأسست لهذا الغرض اتحاد المنظمات الأمريكية الموالية لفلسطين !!و كان ميثاقها ينص على أن مهمتها هى تشجيع التعاون بين اليهود وغيرهم للدفاع عن قضية الوطن القومى اليهودى، طبقا لصك الانتداب البريطانى على فلسطين، الصادر من عصبة الأمم.

وبصياغة مفعمة بالمبالغات الإنشائية التى صارت رطانة معهودة فى حديث الأمريكيين عن الصهيونية، وإسرائيل، خاطب الإتحاد ستانلى بلدوين رئيس وزراء بريطانيا فى مايو من عام ١٩٣٦ قائلا : "إن إعادة أرض إسرائيل لأبناء إسرائيل هى (النجم الساطع) فى هذا الصراع العظيم من أجل عالم وإنسانية أفضل "، وكأن الإنسانية والعالم لا

www.ibtesama.com/vb

يشملان المسلمين والفلسطينيين!. وكان هذا العام كما يعرف دارسو القضية الفلسطينية هو عام الثورة العربية الكبرى فى فلسطين ضد هجرة اليهود إليها، وهى ثورة استمرت ستة أشهر متصلة إلى أن تدخل الزعماء العرب خاصة العاهلين الهاشميين فى العراق والأردن لإقناع عرب فلسطين بإنهاء إضراباتهم، وكان ذلك بعد وعود بريطانية بالحد من الهجرة اليهودية، وكانت رسالة إتحاد المنظمات الأمريكية تلك إلى رئيس الوزراء البريطانى تحتج على تقييد هجرة اليهود إلى فلسطين، وتطالبه بإطلاقها دون قيد أو شرط

(ينبغى أن نتساءل هنا : هل اختيار وزارة الدفاع الأمريكية لتعبير "النجم الساطع " اسما للمناورات السنوية المشتركة مع القوات المسلحة المصرية جاء مصادفة، أم أنه قصد مقصود ؟).

وفى عام ١٩٣٢ تشكلت اللجنة الأمريكية الفلسطينية، وكان من مؤسسيها ١٨ من أعضاء مجلس الشيوخ، و١٠ من أعضاء مجلس النواب، وعدد من الوزراء. ونص ميثاق التأسيس على أن الهدف هو "تنظيم مساعينا كأشخاص غير يهود بشكل أكثر فعالية للتعاون مع هذه القضية المثالية، وتشجيع تطور رأى عام مستنير بين غير اليهود فى الولايات المتحدة حول إنجازات الصهاينة فى فلسطين ".

وانضم عدد كبير من علماء اللاهوت الليبراليين إلى هذه الجهود الشعبية للضغط على البيت الأبيض - إن كانت هناك حاجة للضغط عليه - وعلى الحكومات الأجنبية لتسهيل مهمة اليهود فى فلسطين، عن طريق حشد تأييد الرأى العام للمشروع الصهيونى، ومنهم هنرى اتكنسون، وبول تلش، ودانيال بولينج، ووليم أولبرايت، ورينهولد نيبور، والأخير هو الذى انتبه إلى مخاطبة الضمير حول حقوق شعب فلسطين

www.ibtesama.com/vb

العربى، ولكنه كان خطابا تبريريا، فكتب يقول:" إن حق اليهود فى فلسطين أكبر من حق السكان العرب، ومن الواجب التضحية بسيادة العرب على جزء من أراضيهم الواسعة، من أجل إقامة وطن قومى يهودى عالمى ".

امتد التأييد الشعبى الأمريكى للمشروع الصهيونى من الكنائس ورجال اللاهوت، إلى الحركة العمالية الأمريكية، وقد أعلن إتحاد العمل الفيدرالى الأمريكى مساندته لوعد بلفور فور صدوره، ومن المفارقات المحزنة أن النقابات العمالية اليهودية الأمريكية كانت معارضة للصهيونية، ولوعد بلفور، وحاول ممثلوها فى اتحاد العمل الفيدرالى الأمريكى منع إصدار ذلك القرار المؤيد لوعد بلفور دون جدوى.

ماذا تبقى من مؤسسات المجتمع الأمريكى لم يتغلغل فيها هذا الإيمان الرومانسى بالوطن القومى اليهودى فى فلسطين ؟ لقد رأينا الكنائس، والنقابات، ومن قبلهما الرأى العام ورجال الأعمال، فماذا عن الجامعات، والمهنيين، والجامعات طلابا وأساتذة، والصحف ودور النشر والمحطات التليفزيونية، وصناعة السينما والمسرح ؟

إن الحديث بالتفصيل عن مختلف هذه المجالات سيكون استفاضة - لا داعى لها - لإثبات ما هو ثابت بذاته، وعليه يستحسن الانتقال إلى الفصل الثالث فى هذا الباب، والذى نخصصه للسياسات التنفيذية لحمل مصر ووراءها بقية الدول العربية على قبول إسرائيل، بل والتعاون معها إما طوعا، وإما كرها.

www.ibtesama.com/vb

الفصل الثالث

النصح والمشورة الودية ؟!

ثلاث كلمات، خفيفة على اللسان، محببة إلى القلوب... ولكنها في حالة مصر والعرب في ناحية، وأمريكا وإسرائيل في الناحية الأخرى، ثقيلة على الأفهام.. بغيضة إلى النفوس.. أقصد أفهام العرب ونفوسهم بالطبع.. وليس أفهام الإسرائيليين والأمريكيين ونفوسهم بالقطع.

يقول البروفسور جيفرى أرونسون في الكتاب الذى أشرنا إليه في المقدمة :" إن الشئ الذى كان يسبب قدرا أكبر من القلق في واشنطن كان يتمثل في ما يسميه الأمريكيون "النزعة القومية المتطرفة، والمعادية للأجانب غالبا في مصر، وهو ما كانت تعتبره وزارة الخارجية الأمريكية السبب الرئيسى في عدم الانسجام في العلاقات الأمريكية المصرية، ونادرا ما كان المسئولون الأمريكيون يتمتعون بالإدراك الكافى لأن ينظروا إلى النزعة القومية باعتبارها مظهرا لقوى هامة وحيوية في مصر، فما كانوا ينظرون إلى مرارة المصريين من المساندة الأمريكية لإسرائيل ولبريطانيا (أيام الاحتلال)على أنها شكوى مشروعة متجردة عن الهوى، بل كانوا يعتبرونها نتاج نزعة قومية محمومة وغير عقلانية في جوهرها، وهى القومية التى ستسعى الولايات المتحدة إلى " تهدئتها من خلال النصح والمشورة الودية "

www.ibtesama.com/vb

وهذه العبارة الأخيرة هى ما استخدمته وزارة الخارجية الأمريكية نصا فى بيان رسمى حول سياستها فى مصر صدق عليه يوم ٥ مايو ١٩٤٩.

ياللعجب .. المعايير المزدوجة قديمة قدم المشروع الصهيونى، رفض المصريين والعرب احتلال أوطانهم نزعة محمومة وغير عقلانية، واختراع قومية صهيونية تستولى على فلسطين من شعبها الأصلى نجم ساطع فى سماء الإنسانية !!!

ففى هذا الوقت المبكر - أى بعد عام واحد من إعلان قيام دولة إسرائيل - ارتأى الأمريكيون الذين تبنوا بالقلب والروح مشروع الوطن القومى اليهودى فى فلسطين، وهو بعد مشروع ورقى، أن" الوطنية المصرية " غير عقلانية، وأنه من الممكن ترويضها بالنصح والمشورة الودية.

وها هم يعودون لهذه المشورة الودية، وذلك النصح "لتهدئة" الإسلام السياسى ممثلا فى جماعة الإخوان المسلمين، ولكنهم اختاروا له اسما جديدا هو الارتباط البناء بالجماعة.

ست وخمسون سنة مرت بين إستراتيجية النصح والمشورة الودية، وبين إستراتيجية الارتباط البناء وقعت خلالها حروب، وراح فيها رؤساء أمريكيون، وجاء غيرهم، كذلك راح فيها رؤساء وملوك عرب، وجاء غيرهم، وقامت تنظيمات، وانهارت، وحلت أخرى محلها، وبقيت الاستراتيجية الأمريكية لا تتغير...فعلى مصر والعرب قبول إسرائيل نصحا ومشورة ودية، وإلا إذعانا وقهرا، وقد تفاعل النصح مع فرض الإذعان ليقودا المنطقة فى النهاية إلى الجمع بين الصهيونية.. والإسلام السياسى، وهو ما أشرنا له فى مقدمة الكتاب.

www.ibtesama.com/vb

ولأن شباب ثورة ٢٥ يناير، وكثيرين ممن يكبرونهم من المصريين والعرب، لم يعايشوا تلك الأحقاب، ولأن كثيرين من هؤلاء وأولئك ربما لم يطلعوا على تفاصيلها فإننا نضعها الآن أمامهم مركزة بما يكفى للحكم على مغزى الرضا الأمريكى عن حكم الإسلاميين للدول العربية، خاصة مصر بعد ثورة يناير.

***

وسوف نستعرض فى هذا الفصل النماذج الرئيسية للنصح والمشورة الودية الأمريكيين لمصر، مقرونة بالمحطات الكبرى لفرض الإذعان عليها، ومن ثم على العرب فيما يتعلق بإسرائيل تحديدا، ولكن البداية لابد أن تكون من خمسينيات القرن العشرين، فهى الحقبة التى أسست لكل ما سوف يتلو فى العلاقات المصرية الأمريكية، وصولا إلى الارتباط البناء مع جماعة الإخوان المسلمين.

تميزت هذه الحقبة فى مصر باستيلاء الضباط الأحرار على السلطة بعد الإطاحة بالنظام الملكى، بمشروع يقوم على مناهضة الاستعمار والصهيونية فى الخارج، والتنمية والعدالة الاجتماعية فى الداخل، وتميزت الحقبة نفسها بتسلم إدارة آيزنهاور الجمهورية للسلطة فى بداية اندلاع الحرب الباردة مع الإتحاد السوفيتى، ومن ثم التوسع فى سياسة الأحلاف من أوروبا إلى الشرق الأوسط، فوسط آسيا، إلى جنوبها الشرقى.

وكان ما يريده الأمريكيون من مصر هو الانخراط فى أحلافهم الشرق أوسطية، والسلام مع إسرائيل، وأصبح المطلبان شرطين أساسيين، ومعلنين لأى تعاون أمريكى محتمل مع القاهرة، وخاصة الاستجابة لطلبات الجيش المصرى المتكررة منذ أواخر العصر الملكى شراء أسلحة

www.ibtesama.com/vb

أمريكية، بسبب توتر العلاقات مع بريطانيا الناجم عن الضغوط الشعبية والرسمية المصرية لإنهاء الاحتلال البريطانى لقاعدة قناة السويس.

فى تقريره إلى لجنة العلاقات الخارجية بمجلس الشيوخ الأمريكى فى يوم ٦ مايو ١٩٥٣ أكد هارولد ستاش مساعد وزير الخارجية الأمريكية للأمن المتبادل أن برنامج المعونة الاقتصادية للشرق الأوسط لن يعرض إلا على تلك الدول التى توافق على المشاركة فى الأمن الجماعى للمنطقة، وأن المعونة العسكرية ستقتصر على تلك الدول التى تساعد على تشجيع خطط إقرار السلام بين إسرائيل والدول العربية.

وفى العام نفسه، وبعد عودته من الشرق الأوسط، كتب جون فوستر دالاس وزير الخارجية الأمريكية نفسه فى مذكرة بعنوان " خلاصة الرحلة" : لابد أن نجعل العرب يدركون أننا نقبل دولة إسرائيل كواقع، ولابد أن نسعى خطوة خطوة إلى تقليل التوتر فى المنطقة، وصولا إلى تسوية سلمية نهائية ".

وكان ذلك يعنى فى المفهوم الأمريكى "عدم تسليح مصر إلا بعد الصلح مع إسرائيل"، ولو بكميات ونوعيات تافهة من الأسلحة على حد وصف الرئيس آيزنهاور نفسه لقائمة المعدات الحربية التى طلبتها الحكومة الملكية من واشنطن، ولم تلبها إدارة ترومان، وتركتها لإدارة آيزنهاور.

وفى غضون ذلك شنت إسرائيل غارة كبيرة على غزة فى فبراير ١٩٥٥، وقتل فيها ٣٢ شخصا، منهم ضباط وجنود مصريون وأصيب ٣٩.

ويصف السفير الأمريكى فى القاهرة هنرى بايرود فى تقرير منه إلى وزير خارجيته بتاريخ ٩ يونيو من العام نفسه محادثة جرت بينه وبين جمال عبد الناصر حول هذه الغارة، وحول مجمل العلاقات المصرية

www.ibtesama.com/vb

الأمريكية، على النحو التالى : كرر عبد الناصر أمامى إحساسه بالذنب الشخصى إزاء مصرع جنوده فى غزة، فقد جعلته الرسائل الإسرائيلية عبر الوسطاء، وكذلك الرسائل الأمريكية يتواكل على أن إسرائيل تريد السلام حقا، ولذا فقد أوقف منح الجيش اعتمادات مالية، وقال هو نفسه لضباطه إن هناك فرصة طيبة لإقرار ترتيبات أفضل مع إسرائيل، وعليه فإنه يحول الأموال من التطوير العسكرى إلى التنمية الاقتصادية، وفى هذه الأوضاع فإن غارة غزة قد تركته فى وضع لا يكاد يطاق".

وفى مقابلة ثانية واجه عبد الناصر بايرود بتفاصيل صفقة أسلحة فرنسية جديدة وضخمة لإسرائيل، فيما لا تستجيب واشنطن لطلبات مصر من الأسلحة "التافهة" طبقا لوصف آيزنهاور، وكانت الصفقة الفرنسية لإسرائيل تتألف من ٣٠ طائرة نفاثة من طراز مستير، و١٥ طائرة من طراز أوراجوتان، و٣٣ دبابة من نوع شيرمان، و٢٥ مدفعا مضادا للدبابات، و٢٤ قطعة مدفعية عيار ١٥٥ مم.. وبموازين تلك الحقبة كانت هذه كميات هائلة من الأسلحة المتقدمة، ثم طلب الرئيس المصرى من السفير الأمريكى تزويده بأسلحة ثقيلة بقيمة ٢٩ مليون دولار، مطلوبة كما سبق القول منذ العهد الملكى.

وفى هذه المرة لم يرفض الأمريكيون صراحة، ولكنهم طلبوا الدفع نقدا، وهو ما لم تكن مصر تستطيعه فى ذلك الوقت، وما لم تطلبه فرنسا من إسرائيل.. وتوقف كل شئ.

ولكن هل كان منع التسلح لمواجهة التفوق الإسرائيلى هو وحده ما كانت تضغط به إدارة آيزنهاور (المعتدلة) على مصر : لنقرأ التقرير التالى للسفير بايرود :

www.ibtesama.com/vb

"كان عبد الناصر يدرك أنه ليس مستعدا لتوقيع اتفاق المعونة العسكرية الأمريكية (بالشروط المطلوبة أمريكيا)، ولكنه لم يفهم لماذا لم نستطع زيادة أموال المعونة الاقتصادية، مما يمكن مصر من شراء أسلحة بأموالها، فذلك فى نهاية الأمر هو ما حدث مع إسرائيل، التى حصلت من الولايات المتحدة وألمانيا وغيرهما على أموال مكنتها من شراء أسلحة جعلت قواتها المسلحة أفضل حالا ".

كانت غارة غزة من ناحية أخرى دليلا دامغا على بطلان الحجة السياسية الأمريكية القائلة بأن مصر ليست فى حاجة إلى الأسلحة للدفاع ضد إسرائيل، لأن الإعلان الثلاثى يضمن عدم اعتداء دولة على أخرى فى الشرق الأوسط، وكان هذا الإعلان صادرا عن الولايات المتحدة وبريطانيا وفرنسا ١٩٥٠ وفحواه ضمان الحدود القائمة بعد حرب ١٩٤٨، والوقوف ضد أى دولة تبادر بالعدوان على الأخرى أو الأخريات، وحظر تزويد الدول المعتدية بأسلحة هجومية.

وقد أبلغ السفير المصرى فى واشنطن الدكتور أحمد حسين رئيسه فى ذلك الوقت أن الولايات المتحدة لن تتصرف بموجب الإعلان الثلاثى إذا شنت إسرائيل هجوما كبيرا على مصر، وأبلغ عبد الناصر نفسه سفير الولايات المتحدة فى القاهرة، أنه إذا شنت إسرائيل هجوما، فإن دول الغرب ستفرض - مرة أخرى- حظرا على تسليح العرب، وستواصل إمداد إسرائيل بالسلاح، وكانت إسرائيل قد حصلت بعد صدور هذا الإعلان على أسلحة من الولايات المتحدة فى مايو ١٩٥٠، ومن فرنسا ١٩٥٥، ومن بريطانيا ١٩٥٦، قبل العدوان الثلاثى، بل وقبل تأميم قناة السويس، لذا - ومهما تكن المخاطر التى يشكلها السوفييت - فإنهم لن يعرقلوا حصول مصر على السلاح الذى تدافع به عن نفسها، ومن المثير أن دالاس نفسه إعترف بذلك سرا لرئيس الحكومة البريطانية أنتونى ايدن فى مؤتمر برمودا فى أوائل عام

www.ibtesama.com/vb

١٩٥٦، عند هذا الحد استجابت واشنطن، ولكن على الورق، فقد أبلغت القاهرة أنها "أصبحت مؤهلة" لشراء أسلحة أمريكية بالنقد، ولكن انظر إلى الشروط المرفقة.

يصف بيتر تشيز مسئول القسم السياسى فى السفارة الأمريكية فى ذلك الوقت هذه الشروط كما يلى "إن طلب السداد نقدا بأسعار محددة غير مخفضة كان مؤشرا على أن واشنطن لا تريد تزويد مصر بالسلاح، ولذا فكانت تفرض شروطا تتوقع أن تؤدى بالمصريين إلى سحب طلبهم أو تجميده، وقد تشكى المصريون من أن هذه ليست الطريقة التى ينبغى أن تعامل بها الولايات المتحدة حكومة صديقة".

وفى مسار مواز اقترح دالاس فى ٢٦ أغسطس ١٩٥٥ توقيع معاهدة بضمان أمريكى تحافظ على الوضع الإقليمى فى الشرق الأوسط، وذلك لتهدئة مخاوف مصر من هجوم إسرائيلى محتمل، ولكن هذه المعاهدة لم تر النور، لأنها كانت مناورة لصرف نظر مصر عن التسليح من السوفييت وحلفائهم.

وعندما أيقن وزير الخارجية الأمريكية أن مصر لم تقع فى الفخ، فإنه وجه إنذارا لعبد الناصر من أربع نقاط، بلغ من فجاجته أن سفيره فى القاهرة، ومبعوثه الإضافى كيرميت روزفلت رفضا أن يسلماه للرئيس المصرى، وأيدهما فى ذلك جورج آلان نائب وزير الخارجية، ورغم أن دالاس كان مدفوعا فى هذا الإنذار بعدائه للشيوعية أكثر من رغبته فى حرمان مصر من التسلح للدفاع عن نفسها ضد إسرائيل، فإنه كان يدرك أن حكومته هى التى تمنع الأسلحة عن مصر، وأن مصر تشترى السلاح من السوفييت ليس حبا فى الشيوعية، ولكن يأسا من واشنطن، ولذا فإن الإنذار يظل معبرا عن " النظرة الدونية " التى نظرت بها واشنطن إلى حق مصر فى الوقوف رأسا برأس مع إسرائيل، وكان الإنذار يهدد بأن

www.ibtesama.com/vb

أمريكا ستوقف كل المعونات لمصر، وستجمد التجارة معها، وستقطع العلاقات الدبلوماسية، وستفرض حصارا عسكريا يمنع وصول الأسلحة السوفيتية إلى الموانئ المصرية.

معركة السد العالى :

فى كتابه أمريكا تخرج إلى الظل (ترجمة الزميل سامى الرزاز) يقول جيفرى أرونسون : كانت القاهرة تفضل بلا تحفظ أن تبحث عن رأس المال الأجنبى المطلوب لبناء السد العالى بالتعاون مع الولايات المتحدة، وبريطانيا، والبنك الدولى الذى كان يدرس المشروع منذ سنوات، وقد أبلغ السفير المصرى أحمد حسين ذلك صراحة إلى وزير الخارجية الأمريكية يوم ١٧ أكتوبر ١٩٥٥، وأضاف أنه لا يمكن تأجيل اتخاذ القرار أكثر من ذلك طويلا، لأن مصر تنظر إلى المشروع باعتباره أهم مشروعاتها الاقتصادية.

ولكن ماذا حدث ؟ إنها إسرائيل مرة أخرى :

أوفدت واشنطن وزير دفاع سابق هو روبرت أندرسون بمشروع حمل اسما كوديا هو (جاما) يهدف إلى توقيع اتفاقية سلام مصرية إسرائيلية فى لقاء يجمع بين عبد الناصر، وديفيد بن جوريون، رئيس وزراء إسرائيل، وطبقا لمذكرات هربرت هوفر (الابن) وكيل وزارة الخارجية الأمريكية فى ذلك الوقت، فمن الممكن شراء نجاح مهمة أندرسون بوعد من جانب واشنطن بتمويل السد العالى.

www.ibtesama.com/vb

لم يكن ما يشغل هوفر الابن بالدرجة الأولى إذن هو ضم مصر إلى الأحلاف الغربية لاحتواء الإتحاد السوفيتى، وإنما ما كان يشغله حقيقة هو التسليم بوجود إسرائيل من جانب عبد الناصر.

مرة أخرى ننقل عن أرونسون الذى ينقل عن كنيت لاف فى كتابه الصادر عام ١٩٦٩ فى لندن عن دار لونجمان بعنوان "الحرب التى حوربت مرتين" :إن فشل مهمة أندرسون حكم بالفشل على المعونة الغربية للسد العالى، فقد اعترف طرف اشترك فى تلك المهمة بأنه بعد انهيارها اختفى من الناحية العملية الضغط من أجل السد العالى، وكان هوفر هو الذى أنهى العرض الأمريكى بتمويل السد، لأنه هو الذى كان يؤمن بمقايضة المشروع بالسلام مع إسرائيل.

آيزنهاور نفسه دخل على الخط بوضوح، وقرر نفض يده من مصر، لأنها ترفض الالتقاء مع إسرائيل لتسوية الخلافات المعلنة، ومن ثم فإن "أفضل وسيلة للتعامل معها هو عزلها، والحيلولة دون أى عمل منسق من جانب الدول العربية ".

***

وسط هذا التشدد مع مصر، وقبل سحب عرض تمويل السد علنا، وبالتالى قبل تأميم قناة السويس، وقبل العدوان الثلاثى، أقر وزراء خارجية الدول الثلاث تزويد إسرائيل بالسلاح علنا - من كندا - ومن حلف الأطلنطى، وفى ١٩ يوليو عام ١٩٥٦، وبعد سلسلة من المناورات والشروط المجحفة تلو الشروط قبلتها مصر كلها. أعلن دالاس سحب المساندة الأمريكية، ومن ثم التمويل لمشروع السد " لأنه سيشكل ضغطا كبيرا على الاقتصاد المصرى ". ورد عبد الناصر بتأميم قناة السويس فى ٢٦ يوليو أى بعد أسبوع بالضبط، ووقع العدوان الثلاثى، فى ٢٩ - أكتوبر التالى، وأدانه

www.ibtesama.com/vb

آيزنهاور، وساهم فى وقفه، وفى إرغام إسرائيل على الانسحاب من سيناء، مقابل عدم مرابطة قوات مصرية ثقيلة على الحدود، ومقابل فتح مضيق تيران بخليج العقبة أمام الملاحة الإسرائيلية.

وبصرف النظر عن دوافع آيزنهاور لذلك الموقف التى كان بينها الإنذار السوفيتى بقصف لندن وباريس، وكان من بينها أيضاً ودون شك ترسيخ الحقيقة الإستراتيجية الأساسية بعد الحرب العالمية الثانية، وهى أن حلفاء واشنطن الأطلنطيين ليس مسموحا لهم باتخاذ قرار حرب - يمكن أن يؤدى إلى مواجهة عالمية - دون علم وإذن الولايات المتحدة، فإن الرجل كان يأمل أن تلوح فرصة جديدة لسلام مصرى إسرائيلى يقود إلى سلام عربى إسرائيلى، ولذا بقيت الأبواب مفتوحة بين واشنطن، والقاهرة دون تقدم يذكر على هذه الجبهة، حتى أيقن آيزنهاور أن مصر تحت قيادة عبد الناصر لن تتصالح مع إسرائيل، ومن ثم فالأوجب، والأجدى مناوأتها بالتيار الإسلامى بزعامة الملك سعود بن عبد العزيز ملك السعودية، الذى سيتبنى الإخوان المسلمين فى تحالف ضد الشيوعية، تحت الرعاية الأمريكية.

فها هو ذا آيزنهاور الذى لم تتقد عواطف توراتية فى صدره نحو إسرائيل والصهيونية، والذى كان يعتبر وجودها مصدرا لمشكلاته الإستراتيجية فى الشرق الأوسط، يمنع السلاح "التافه" عن مصر، ويهدد بوقف المعونات عنها، ومحاصرة موانيها إن هى تسلمت بالفعل أسلحة سوفيتية، ويرفض تمويل السد العالى فى عرض مسرحى، استهدف توجيه ضربه قاضية لزعامة جمال عبد الناصر. كل ذلك من أجل إسرائيل بطبيعة الحال.

ففى نظام ديمقراطى كالنظام الأمريكى، لم يكن متصورا أن يتحدى ساكن البيت الأبيض - ولو كان آيزنهاور نفسه - المشاعر التوراتية التى أفعمت بها قلوب السياسيين والناخبين الأمريكيين، مضافا إلى ذلك

www.ibtesama.com/vb

بطبيعة الحال تأثير شخصية وزير خارجيته جون فوستر دالاس الذى كان يواجه الشيوعية الدولية بعقيدة المحارب الصليبى، فما بالنا بالرؤساء الذين هم " توراتيون" من الأصل.

نواصل الاستقصاء....و نتذكر أن خليفته كيندى جعل همه الأول هو منع انفجار الصراع، أما جونسون، وكما ذكرنا قبل قليل، فكان ضالعا فى هزيمة الجيوش العربية فى حرب ١٩٦٧، دون أن نغض الطرف عن الخطايا السياسية والعسكرية الجسيمة للقيادتين السياسية والعسكرية المصرية فى هذه الحرب، وهذا ما كتب فيه الكثير، ولا داعى للخوض فى تفاصيله، لخروجه عن سياق موضوعنا الأصلى.

لكن جونسون خاض قبل حرب يونيو معارك كثيرة ضد مصر، فضغط بشدة لتحديد تسليحها، وطلب التفتيش على جيشها، وصناعاتها الحربية، وبرنامجها النووى الوليد، فى الوقت الذى كان يدبر فيه لإسرائيل الحصول سرا على الوقود اللازم لإنتاج رؤوسها النووية، ثم أوقف تسهيلات استيراد مصر للقمح الأمريكى، لحظة أن كان المخزون المصرى يكفى استهلاك المواطنين خمسة عشر يوما بالكاد.

تطهير الخارجية الأمريكية !

وجاءت حرب أكتوبر ١٩٧٣، فى عهد الرئيس الأمريكى والجمهورى، ريتشارد نيكسون، ولم يكن توراتيا، ولا محبا لليهود، أو محبوبا منهم، ومع ذلك فقد كان هو الرئيس الذى تحولت الولايات المتحدة فى عهده إلى المصدر العلنى والوحيد تقريبا لتسليح إسرائيل، وفق معادلة لا تزال سارية، وهى أن تظل الدولة اليهودية دائما متفوقة عسكريا على الدول العربية مجتمعة.

www.ibtesama.com/vb

لكن جرى فى عهد نيكسون تحول آخر لا يقل خطورة عن التحول السابق ذكره، وهو تحول لا يعرفه أغلب القراء العرب، مع أنه أحد المنجزات الكبرى للصهيونية فى الولايات المتحدة، لأنه أدخل وزارة الخارجية الأمريكية فى حظيرة الموالاة لإسرائيل والصهيونية... وهو تطور استوقف، ولا يزال يستوقف كل الخبراء الأمريكيين والدوليين فى الصراع العربى الإسرائيلى، إذ كانت الخارجية - رغم أن القرار النهائى يبقى للبيت الأبيض دستوريا، وسياسيا أيضا فى حالة إسرائيل - هى " الحصن العربى " فى مؤسسات صنع القرار الأمريكى... إن جاز استخدام هذا الوصف الذى اعتاد الإسرائيليون، واليهود الأمريكيون، وأنصارهم فى الولايات المتحدة - وهم كثر - إطلاقه على وزارة الخارجية، وذلك نظرا لامتلاء قسم الشرق الأدنى فيها منذ تأسيسه بالدبلوماسيين المنحدرين من عائلات المبشرين، والمعلمين، والرحالة الأمريكيين الذين عملوا فى الدول العربية، والإسلامية، وارتبطوا عاطفة وفهما بالثقافة العربية الإسلامية، ولذا فقد كانوا جميعا أكثر حساسية لمظالم الفلسطينيين، وأكثر إدراكا للواقع، الذى أعمى الهوى التوراتى الصهيونى نظراءهم، ورؤساءهم، ومشرعيهم فى واشنطن عن رؤيته، فقد كان هناك شعب يعيش فى فلسطين، رأوا بأم أعينهم السكاكين التى تشحذ لذبحه، والخطط التى تحاك لكى يحظى الذبح بالمديح والتأييد من الرأى العام الأمريكى، وكانت هناك حركة قومية عربية بازغة، حظيت بإعجابهم، وأفضل توقعاتهم.

إننا نقدم هذا الفصل الجديد - نسبيا على القراء العرب - من فصول الصراع الآخر بتعبير ستيفن شبيجل، لأنه يروى حلقة ناقصة فى وعينا من حلقات "التمكين " للصهيونية، فى النظام السياسى الأمريكى، بحيث لا تمر "توصية"، فضلا عن أن تمر" سياسة معتمدة" إلا بموافقة إسرائيل، إلا فى

www.ibtesama.com/vb

حالات نادرة للغاية، عندما يشغل المكتب البيضاوى للبيت الأبيض رجل بوزن جورج بوش الأب، الذى كان مشغولا بتصفية النزاعات الحائلة دون امتداد السلام الأمريكى "باكسا أمريكانا "فى أنحاء العالم بعد انهيار الاتحاد السوفيتى، أو بعبارة أخرى : "كان بوش الأب مشغولاً بتنفيذ مشروع القرن الأمريكى، الأسم المُهذب لمشروع الأمبراطورية الأمريكية العالمية"، وإلا عندما يشغل منصب وزير الخارجية الأمريكية رجل بقوة، وخبرة، ورؤية جيمس بيكر فى إدارة بوش الأب.

والدلالة الأهم لرواية هذه الحلقة المفقودة فى الوعى العربى، هى إثبات تتابع ونجاح الجهود الصهيونية فى تصفية معاقل المعارضة التقليدية لمشروعها داخل الولايات المتحدة، أهم قوة دولية مساندة للمشروع، تمهيداً للانتقال فى العقد الأول من القرن الحادى والعشرين إلى ترويض المسلمين الأمريكيين أنفسهم للتعايش السلمى مع الصهيونية داخل أمريكا أولاً، وفى الشرق الأوسط ثانياً.

من الباحثين الأمريكيين الذين تابعوا بتدقيق حملة استحواذ إسرائيل والصهيونية على الخارجية الأمريكية، وتطهيرها من " المستعربين ".، كل من روبرت كابلان، ولورانس دافيدسون، وكابلان هو نفسه بدرجة ما مستعرب رغم أنه يهودى، ولكنه مستعرب "محايد"، ولا نقول إنه صديق للعرب، كأولئك الذين سنذكرهم فيما يلى، إلا أنه ليس معاديا للعرب، ومحتقرا للإسلام على طريقة برنارد لويس المتحامل على كل ما هو عربى أو إسلامى، وقد أصدر الرجل كتابا قيما بعنوان " المستعربون "، وترجمه مشكورا الأستاذ محمد الخولى تحت عنوان الحملة الأمريكية : مستعربون، وسفراء، ورحالة، وأصدرته دار الهلال فى يونيو عام ١٩٩٦.

www.ibtesama.com/vb

أما لورانس دافيدسون، فهو مؤرخ، وأستاذ للتاريخ بجامعة وست شيستر، وخصص جزءا كبيرا من كتاباته للغزو الصهيونى لوزارة الخارجية الأمريكية.

وسيكون كتاب كابلان، وكتابات دافيدسون، بالإضافة إلى المقابلات الشخصية للمؤلف مع دبلوماسيين أمريكيين، هى المصدر الرئيسى لقصة التمكين لليهود فى مصنع الدبلوماسية الأمريكية فى الشرق الأوسط، غير أننا نبدأ القصة باقتباس مقولة لحاييم وايزمان الرئيس الأول لدولة إسرائيل، ورئيس المنظمة الصهيونية العالمية الذى كتب مبكرا جدا يقول :

"إن المصاعب التى نلقاها فى الولايات المتحدة ليست ذات صلة برجال الدولة من الصف الأول، فهؤلاء دائما ما يفهمون أمانينا، ولكن هذه المصاعب تكون دائما خلف الستار، وفى المستويات الأدنى حيث تواجهنا معارضة عنيدة، وشريرة، وطائفية، تنظر باستخفاف لتصريحات رجال الدولة الأمريكيين ".

وطبقا لما يقوله المؤرخ لورنس دافيدسون فى دراسة له بمجلة "سياسات الشرق الأوسط" الأمريكية الفصلية، عدد أكتوبر عام ١٩٩٩، فإن الإجماع يكاد ينعقد بين المؤرخين الأمريكيين على أن قسم الشرق الأدنى فى وزارة الخارجية الأمريكية كان معاديا للمشروع الصهيونى فى فلسطين، وليس متحفظا، أو متشككا فيه فقط، وقد ذكرنا قبلا فى هذا الكتاب أن لانسينج وزير خارجية ويلسون لم يكن موافقا على وعد بلفور، وامتعض بشدة عندما تجاوزه الرئيس، وأبلغ بريطانيا والمنظمة الصهيونية موافقته عليه، وأن جورج مارشال، ودين آتشيسون وزيرى خارجية ترومان - على التوالى - كانا من المعارضين لمشروع قرار تقسيم فلسطين فى الأمم المتحدة، وعارضا الاعتراف المتسرع بإسرائيل، وكان ذلك بتأثير رجال الخارجية التالين فى الأهمية للوزير نفسه مثل لوى

www.ibtesama.com/vb

هندرسون الوكيل العتيد للوزارة، ومن بعده جورج بـول، وكـذلك بتـأثير رجال قسم الشرق الأدنى المتوالين جيلا بعد جيل.

وقد أكد الدكتور ويليام كوانت للمؤلف أن بـول الـذى كـان رئيسـا لقسـم الشرق الأدنى، ثـم وكـيلا للخارجيـة فى إدارتى كنيـدى (١٩٦١ - ١٩٦٣) وجونسـون سـنة (١٩٦٣—١٩٦٩) ، كـان هـو المرشـح الأول لمنصب وزير الخارجية فى إدارة الـرئيس جيمـى كـارتر، ولكـن انقضـاض أنصار إسرائيل على هذا الترشيح قضت عليه فى مهـده، وراحـت الـوزارة إلى رجل أقل منه شهرة، وخبرة، هو سايروس فانس، وكانت المعارضة ل" بول" تنطلق من أن إسناد منصب الوزير إليه سيقضى على خطـة تطهـير الخارجية من المستعربين التى بدأ تطبيقها هنرى كيسنجر وزير خارجية نيكسون، إلى جانـب انطلاقهـا بـالطبع مـن المخـاوف مـن مواقـف بـول المنصـفة للعـرب فى الصراع مـع إسرائيـل، ويضـيف كوانـت أن الـرئيس جونسون كان يتعمد أن لا يعطى الكلمـة لجـورج بـول - فى اجتماعـات مجلس الأمن القومى الموسعة - حول قضايا الشرق الأوسط - إلا بعد أن يتكلم الجميع، وكان جونسون معتـاد ا أن يبـدأ بـول بالسـؤال التـالى :و الآن ماذا يريد جورج أن يقول ضد الاتجاه العام ؟

كذلك حكى روبرت ميللـر رئـيس قسـم الشرق الأوسـط (سـابقا) فى مخابرات وزارة الدفاع الأمريكيـة، ورئـيس مكتـب المبيعـات العسـكرية لشركـة لوكهيـد لتصـنيع الطـائرات فى الشرق الأوسـط (سـابقا أيضـا) للمؤلف فى لقاء بفندق هيلتون بمدينة أورلاندو بولايـة فلوريـدا... قصـة إقصاء صديقه وزميل غرفته فى المدينة الجامعية - السفير ريتشارد باركر - من الترشيح لمنصب مساعد وزير الخارجية لشئون الشرق الأدنى، وكان هـو الأولى بـه، والمرشـح المجمـع عليـه مـن الدبلوماسـيين العـاملين فى

www.ibtesama.com/vb

المنطقة سابقا ولاحقا، إذ قال له أحد رجال كيسنجر - الذين نشطوا مرة أخرى فى عهد رونالد ريجان - إنك لن تأخذ هذا المنصب، حتى إذا كان البديل هو تقاعدك، وهو ما كان، وكان باركر من تلاميذ هندرسون وبول المدافعين عن سياسة منصفة بين إسرائيل والعرب، وخدم فى عدة دول عربية، وبدأ حياته الدبلوماسية متعاطفا إلى أقصى درجة مع اليهود، لكن أفكاره ما لبثت أن اعتراها التغيير، وقال بنفسه فيما بعد : " إننى تفهمت عن حق أسباب السياسة التى ينطلق منها العرب فى القضية الفلسطينية، وكانت أسبابا أكثر إقناعا من أسباب الإسرائيليين".

بل إن باركر - وكما يقول كابلان فى كتابه : " المستعربون " كان على حق حين يلمح إلى أن العرب أكثر جاذبية من الإسرائيليين. كما أصبح باركر واحدا من أصدقاء جمال عبد الناصر القليلين فى واشنطن، وهو من كان ينصح إدارة، جونسون وإدارة نيكسون، بأن يأخذوا مأخذ الجد حديث عبد الناصر عن رفض الاستسلام، والعودة إلى ميدان القتال لتحرير سيناء.

كانت الضربة الأولى والكبيرة هى تعيين جوزيف سيسكو مساعدا لوزير الخارجية لشئون الشرق الأدنى عام ١٩٦٩، وكان أول رئيس لهذا القسم يأتى من خارج مدرسة المستعربين، وكان ريتشارد باركر أول الضحايا، " فقد نقلوه من إدارة الشئون المصرية - قلب النشاط العربى - الإسرائيلى إلى المغرب على أطراف سياسات العالم العربى والشرق الأوسط". ولم يكن إبعاد باركر إلا حلقة فى خطة تطهير جزئية شرع فيها سيسكو للمستعربين من الخارجية ككل، ثم استكملها على أوسع نطاق، عندما جاء هنرى كيسنجر بنفسه وزيرا للخارجية على أنقاض ويليام روجرز فى إدارة نيكسون الثانية، وطبقا لشهادة دبلوماسى أمريكى

www.ibtesama.com/vb

"مستعرب " آخر هو أندروكيلجور، فقد كان هنرى يعمل من أجل الإسرائيليين، كان الهدف الحقيقى الذى يقصده هو أن يبعد عن الشرق الأوسط عناصر المستعربين الذين ليسوا على هوى الإسرائيليين، ولم يكن هنرى ممعنا فى التستر بالسرية، بل كان صهيونيا بغير مداراة "

من المستعربين الذين أطاح بهم تلاميذ كيسنجر، ومخططو حملة تطهير الخارجية الأمريكية " إما بعدم الترقية، وإما بالنقل إلى وظائف وأماكن هامشية، تالكوت سيل الذى استقال من منصبه الدبلوماسى فى دمشق فى مؤتمر صحفى علنى ١٩٨١ بعد أن طفح به الكيل من سياسة ريجان، ووزير خارجيته الأول الكسندر هيج الإسرائيلى أكثر من الإسرائيليين ، وفيما بعد - فى مايو ١٩٨٢ خاطب سيل الرابطة الوطنية للعرب الأمريكيين :" سيكون من واجبنا نحن الأمريكيين أن نقنع إسرائيل بأن القدس الشريف لا يمكن أن تظل مقاليدها فى يد أصغر الأديان، وأقلها شأنا، وهى الأديان التى جعلت القدس مدينة مقدسة "، ومن هؤلاء أيضا كارلون ستيفنزكون " الذى كان عضوا فى فريق ريجان الانتقالى، لكن استبعد فيما بعد ثم ريتشارد أندلاند، ووليام ليكلاند، وروبرت مون، وآندرو كيلجور والقائمة طويلة، لكن ما سردناه منها يكفى.

وكان الذين خلفوا المستعربين فى قسم الشرق الأدنى بعد نجاح حملة التطهير، من الفريق الذى يسميه ريتشارد كروسمان السياسى العمالى البريطانى "مراقبو الطيور" أى المحايدين....الذين لا هم مستعربون، ولا هم صهاينة، ولكن ذلك -و هذا كلام المؤلف وليس كلام كروسمان - كان يعنى فى المحصلة النهائية الاستسلام للأقوى فى واشنطن دون مقاومة، والأقوى هم مؤيدو إسرائيل، وفى مقدمتهم رأس البيت الأبيض نفسه، ومن أشهر هؤلاء سيسكو، وألفريد أثرتون، وريتشارد

www.ibtesama.com/vb

ميرفى، ثم جاء من بعدهم الصهيونيون، واليهود الأقحاح ليقودوا الدبلوماسية الأمريكية فى الشرق الأوسط، ثم فى العالم فيما بعد، فجاء أمثال مارتن إنديك، ودنيس روس، ثم أخيرا تولت مادلين أولبرايت اليهودية التشيكية المولد منصب وزيرة خارجية كلينتون فى فترته الثانية، وكانت أول وزير يهودى للخارجية بعد كيسنجر، وثانى وزير خارجية يهودى فى تاريخ الولايات المتحدة كله.

ولهذه السيدة بالذات أهمية خاصة وبالغة فى موضوع هذا الكتاب لأنها هى رئيسة الطاقم الأمريكى فى الحوار البناء مع الإخوان المسلمين قبل ثورة يناير المصرية. ومعها نائبها فى المنصب ريتشارد آرميتاج، ومستشارها اليهودى دنيس روس، والأدميرال فالون، جنبا إلى جنب مع مستشاريها من أصدقاء الإخوان المسلمين فى واشنطن ومنهم روبرت لينكين، وجون سبوزيتو، ومارك لينش على نحو ماسيلى فى الفصول اللاحقة من هذا الكتاب.

وهكذا وصلت خطة تمكين الصهيونية من الخارجية الأمريكية إلى أن يصبح رجال وسيدات هذه الوزارة هم " العرابون " أو الوسطاء الذين يجذبون قوى الإسلام السياسى للاعتراف بإسرائيل، والتعايش مع الصهيونية داخل الولايات المتحدة، وفى الشرق الأوسط.

المحافظون الجدد :

لكن القصة لا تكتمل فصولا، إلا بمجئ " المحافظين الجدد " مع رئاسة جورج بوش الابن، ليحتلوا البيت الأبيض، ووزارة الدفاع ووزارة الخارجية بالطبع، هؤلاء الذين خططوا غزو العراق، وقرروا أن سوريا هى الخطوة التالية، وبعدها السعودية، أما الجائزة الكبرى فسوف

www.ibtesama.com/vb

تكون مصر... هؤلاء جميعا كانوا صهاينة حتى النخاع، وهم تلاميذ الفيلسوف اليهودى ألمانى الأصل ليوشتراوس (صاحب نظرية توظيف الدين لقيادة القطيع الجماهيرى) دون أن يكون مؤمنا بأى دين هو نفسه، كما أنهم تلاميذ السناتور هنرى جاكسون الصهيونى، صاحب ما يسمى بتعديل جاكسون على اتفاقية الدولة ذات الأفضلية فى الشروط التجارية مع الإتحاد السوفيتى، وهو التعديل الذى يربط منح هذه الأفضليات للسوفييت بإطلاق حرية الهجرة لليهود السوفييت (إلى إسرائيل)، كما كان جاكسون قائد حملات الترهيب ضد سوريا والعراق بسبب تقييدهما هجرة مواطنيهما اليهود إلى الخارج، وهو ما كان يعنى عمليا هجرتهم إلى إسرائيل، وعلى سبيل الاستطراد فإن هذا ينقض من الأساس اتهام الدكتور عصام العريان لمصر بأنها طردت يهودها، علما بأن الملك الحسن الثانى ملك المغرب لم يطرد يهوده، ولكن هم الذين اختاروا إسرائيل بملء إرادتهم، وهذا استطراد، لكنه كاشف عن محاولة الدكتور العريان خديعة الرأى العام العربى والمسلم، وخديعة أعضاء جماعة الإخوان، لحاجة فى النفس سوف نتبينها فى الباب الثالث.

فى غضون هذه الحقبة لم يتحقق أى إنجاز كبير فى القضية الفلسطينية إلا ما ترتب على سياسة جورج بوش الأب إنطلاقا من مؤتمر مدريد للسلام فى أكتوبر عام ١٩٩١ وهى عملية أوسلو لإقامة السلطة الفلسطينية، التى حصد ثمارها الرئيس بيل كلينتون، وحاول البناء عليها دون جدوى، ليضيف إليها جورج بوش الابن (على الورق وأمام الميكروفونات فقط) رؤية الدولتين كحل للصراع العربى الإسرائيلى أو للقضية الفلسطينية، وكان الظرف بالتالى مواتيا لتجربة إدخال حركة حماس الفلسطينية فرع الإخوان المسلمين، طرفا فى المعادلة السياسية،

www.ibtesama.com/vb

بعد نجاحها بالمقاومة فى إجبار إسرائيل على الانسحاب أحادى الجانب من غزة، وبالعمليات الاستشهادية داخل إسرائيل نفسها، جنبا إلى جنب مع حركة الجهاد الإسلامى، وهكذا سمح لحماس بخوض انتخابات أوصلتها إلى السلطة قبل إقالة حكومتها، وانقسام الفلسطينيين ما بين الضفة الغربية (لفتح) وغزة لحماس.

كانت العمليات الاستشهادية هى ناقوس الخطر، التالى لهجمات ١١ سبتمبر على واشنطن ونيويورك.. ومن ثم وجب على الأمريكيين وسط هذا " الركام" من الفشل، ووسط هذا الزخم فى المقاومة ذات الطابع الإسلامى (من حزب الله فى لبنان، وحماس والجهاد فى فلسطين) البحث عن طريق آخر للتعامل مع الصراع العربى الإسرائيلى، ومن هنا ولدت فكرة الارتباط البناء مع الإخوان المسلمين، لتحقق عدة أهداف مجتمعة : اجتذاب الإسلام السياسى بوصفه القوة أو التيار الذى لا يزال رافضا لإسرائيل والصهيونية إلى حظيرة القبول بالأمر الواقع، والثانى تجفيف منابع الإرهاب الاستشهادى أو الانتحارى ضد إسرائيل، وضد الولايات المتحدة، وحلفائها الأوروبيين.... كما ظهر فى ١١ سبتمبر ٢٠٠١، ومن قبلها فى تفجير السفارات الأمريكية فى أفريقيا، والمدمرة كول على سواحل اليمن، ومن بعدها كما حدث فى لندن، ومدريد.

أما الهدف الثالث فهو التخلص من العصابات القديمة الحاكمة فى الشرق الأوسط، والتى ثبت فشلها داخليا وخارجيا بما يفرخ الإرهاب، ويصدره إلى الخارج، لاسيما اضطهاد هذه " العصابات القديمة " لمنظمات وكوادر الإسلام السياسى.

وهنا ننتقل إلى الباب الثانى : أمريكا الإسلام السياسى.

www.ibtesama.com/vb

الباب الثانى

أمريكا والإسلام السياسى

لشرح العلاقة التاريخية بين الولايات المتحدة الأمريكية، وبين ظاهرة الإسلام السياسى - وهى العلاقة التى انعطفت بحدة نحو الارتباط البناء بتيار الإخوان المسلمين فى السنوات الأخيرة - نشعر بالحاجة إلى تناول هذه العلاقة من منظور كل جانب على حدة أولا، فهذا المنهج مع منطقيته وضرورته التحليلية - هو الذى سوف يرينا كم تغيرت أفكار ومواقف وسياسات كل طرف من طرفى العلاقة، وهو أيضا الذى سيثبت لنا أن هذا التغيير إنما جاء ملبيا لشروط ومصالح الطرف الأقوى، أى الولايات المتحدة.

الفصل الأول سوف يتناول إذن تطور السياسة الأمريكية " نحو الإسلام السياسى " منذ أول اتصال أمريكى بجماعة الإخوان المسلمين المصرية فيما بعد الحرب العالمية الثانية مباشرة، وحتى إقرار إستراتيجية الارتباط البناء فى عام ٢٠٠٧، ومن الطبيعى أن نبدأ هذا الفصل

www.ibtesama.com/vb

باستعراض مركّز لتطور إدراك الأمريكيين للإسلام كدين وثقافة، وللمسلمين من حيث هم كيانات سياسية لها حقوق، وقضايا ومطالب، وطموحات، وكذلك نستعرض بسرعة السياسات الأمريكية نحو الإسلام دينا وأتباعا.

أما الفصل الثانى فسوف يخصص لتقصى نظرة الطرف الآخر - أى منظمات الإسلام السياسى وعلى رأسها جماعة الإخوان المسلمين - إلى الولايات المتحدة، وسلوك هذه المنظمات فى مواجهة السياسات الأمريكية.

عصير الكتب
www.ibtesama.com/vb
منتدى مجلة الإبتسامة

www.ibtesama.com/vb

الفصل الأول
مصرع الخنزير الأحمر

مثلما ورث العالم الجديد عن آبائه فى العالم القديم أفكاره ومعتقداته عن اليهود وفلسطين، وأصبح صهيونيا قبل أن تظهر الصهيونية، فإن هذا العالم الجديد ممثلا فى الولايات المتحدة الأمريكية ورث أيضا كل الأفكار السلبية عن الإسلام والمسلمين من أسلافه الأوروبيين، وكان هؤلاء فى نظرتهم للإسلام محكومين بذكريات حروب استرداد الأندلس، والحروب الصليبية، والصراع مع الإمبراطورية التركية العثمانية فى شرق أوروبا، وحوض البحر المتوسط.

وكما نعلم فلم تمتد فكرة التسامح وقبول الآخر، التى كانت مقياسا للتحرر والتقدم فى حقبة التنوير إلى الإسلام والمسلمين، مع استثناءات قليلة للغاية جسد أبرزها الشاعر الألمانى الأشهر يوهان فولفجانج جوته، بينما كان فولتير أصخب الأصوات مناداة بالتسامح ، يشوه الإسلام ورسوله الأعظم لأسباب قيل فيما بعد إنها انتهازية لتخفيف غضب البابوات عليه فى فترة اضطهاده، ومع ذلك فلم يكن فولتير - كما قلنا

www.ibtesama.com/vb

توا - إلا ممثلا لتيار سائد فى الثقافة الأوروبية الحديثة بدأ مع دانتى فى كوميديته الإلهية، ولا داعى للخوض فى أدبيات العصور الوسطى.

تأكيدا لهذا الإرث الأمريكى للصورة السلبية الأوروبية عن الشرق عموما، والإسلام فى قلبه، يقول المؤرخ الأمريكى المعاصر مايكل بى. أورين الأستاذ بجامعتى هارفارد وييل، وسفير إسرائيل الأسبق فى واشنطن" كان الأمريكيون ينظرون إلى أتباع هذه العقيدة (الإسلام) باعتبارهم الآخر، المختلف عنهم تماما، كانوا من وجهة نظرهم كتلة غريبة غير متناسقة، وينحدرون من حضارة عظيمة انهارت منذ زمن طويل، إلى جانب أنهم بدائيون، يتميزون بالعنف والقسوة ".

يضيف المؤرخ أورين فى كتابه الموسوعى " القوة والإيمان والخيال : أمريكا فى الشرق الأوسط منذ عام ١٧٧٦ حتى اليوم ": ومع أن الولايات المتحدة كانت تفخر فى بداياتها بالتسامح الدينى، فإن هذا التسامح نادرا ما كان يمتد إلى الإسلام، الذى لم يكن يعتبر دينا على الإطلاق، وكان كثير من رجال الدين البارزين من أمثال كوتون ماثير، وجوناثان إدواردز، ينددون بالإسلام باعتباره عقيدة باطلة، وفاسدة أخلاقيا، وكان صامويل لانجدون رئيس هارفارد يرى أن محمدا من الأنبياء الكذبة، بل الأسوأ أنه " رسول الشيطان ".

[و قد ترجمت هذا الكتاب الضخم إلى العربية الأستاذة آسر حطيبة، وأصدرت الترجمة هيئة أبوظبى للثقافة والتراث (كلمة) فى عام ٢٠٠٨]

وهناك بالطبع مئات الكتب الأمريكية ضد الإسلام والمسلمين منذ هذا التاريخ مرورا بمارك توين أشهر أدباء أمريكا الساخرين (الذى كان احتقاره للمسلمين ليس له مثيل)، وليس انتهاءا بكتاب صامويل هانتينجتون

www.ibtesama.com/vb

"صراع الحضارات" الصادر منذ أقل من عشرين عاما، والذى لا تزال أصداؤه تتردد حتى اليوم، وهو الكتاب الذى مثل الدليل الفكرى للمحافظين الجدد فى إدارة بوش الإبن فى سياستهم نحو العالمين العربى والإسلامى، ولا ننسى بالطبع كتابات برنارد لويس المستشرق اليهودى الأمريكى الذى لا يرى فى الإسلام أية إيجابية تتعايش مع الحداثة، وكل ذلك يشرحه الكتاب الشهير للدكتور إدوارد سعيد (الفلسطينى) المعروف باسم "الاستشراق فى أزمة"، والجدل الفكرى والسياسى الذى لا يزال دائرا حوله، وعشرات الكتب التى صدرت فى الولايات المتحدة وأوروبا فى سياق هذا الجدل.

قبل الاستطراد فى موضوع هذا الفصل لابد من الإشارة إلى أن رافدا صغيرا فى الثقافة الأمريكية كان ينظر إلى الشرق الإسلامى بقدر كبير من التفهم والتعاطف، وكان هذا الرافد هو الذى أنتج ظاهرة المستعربين فى الدبلوماسية الأمريكية فى الشرق الأوسط، كما شرحنا فى الباب السابق.

كذلك تجدر الإشارة هنا إلى أن نظرية نهاية التاريخ التى بشر بها فرانسيس فوكوياما الأمريكى من أصل يابانى هى التى حلت محل نظرية هانتينجتون حول صراع الحضارات كإطار فكرى للتعامل السياسى الأمريكى مع الإسلام السياسى فى إدارة أوباما، ومن ثم كإطار نظرى لإستراتيجية الارتباط البناء مع الإخوان المسلمين.

وكانت هذه النظرية واضحة نسبيا فى إدارة بيل كلينتون، تحت مسمى العولمة، ومقتضاها أن الديمقراطية الليبرالية هى نهاية التطور الطويل لنظم الحكم، ومن ثم فإنه محكوم على جميع المجتمعات والحضارات أن تسير نحوها مهما تكن العقبات، والعثرات، متجهة نحو اندماج الأسواق الوطنية فى سوق عالمية، ومن ثم إلى قيم الديمقراطية

www.ibtesama.com/vb

التعددية، وعليه فليس المسلمون استثناءا من هذا التطور الحتمى، الأمر الذى يعنى أن على الولايات المتحدة أن تشجع انخراط الإسلام السياسى فى هذه القيم العالمية.التى تتجمع تحت عنوان الديمقراطية الليبرالية.

وستكون هذه النظرية، وتطبيقاتها على الإسلاميين هى موضوع الباب الثالث الذى يلتقى فيه مسار العلاقة الأمريكية مع الإسلام السياسى، بمسار العلاقة الأمريكية مع إسرائيل والصهيونية.

عنق اليابس :

بدأ التواجد الأمريكى فى الشرق الأوسط، ثقافيا من خلال الرحالة والبعثات التبشيرية، ثم ترافقت التجارة مع الثقافة، وعندها جاءت السياسة، لكن " السياسة " الأمريكية فى الشرق الأوسط ظلت طيلة القرن التاسع عشر، ومنذ السنوات الأخيرة فى القرن الثامن عشر محصورة فى مواجهة ظاهرة القرصنة على الملاحة البحرية فى المتوسط، وسواحل المغرب العربى الأطلنطية، وشهدت هذه الأحقاب سلاسل من المواجهات، والتبادلات، والمعاهدات بين واشنطن، ودويلات المغرب العربى من طرابلس الغرب، حتى مراكش.

أما بداية العلاقة السياسية بمفهومها الإستراتيجى الأشمل، فكانت السنوات الأولى من القرن العشرين، إذ أخذت الولايات المتحدة فى الظهور كقوة عالمية، ولم يكن يفصلها، ويفصل العالم، عن الحرب الكونية الأولى إلا ١٢ عاما، عندما هدم ضابط بحرى أمريكى شاب هو الكابتن ألفريد ثايرميهن نظرية " قلب اليابس " للمفكر الجغرافى السياسى البريطانى هالفورد ماكيندر، وأحل محلها نظرية "عنق اليابسة".

www.ibtesama.com/vb

كانت نظرية ماكيندر تقول إن الذى يسيطر على شمال القوقاز وسيبيريا، يسيطر على السهل الأوروبى الأعظم الممتد من جبال الأورال الروسية حتى سواحل الأطلنطى الفرنسية، ومن يسيطر على هذا السهل (الذى هو قلب اليابسة فى نظره يسيطر على العالم) ومن الواضح أن ماكيندر لم يكن يفكر إلا فى الخطر الروسى السلافى الدائم على أوروبا، وذلك بعد أن بزغت روسيا كقوة عظمى انخرطت فى السياسة الأوروبية منذ بطرس الأكبر.

أما نظرية "عنق اليابسة " فإنها تتحدث عن الشرق الأوسط، الذى ظهر لأول مرة فى عدد سبتمبر عام ١٩٠٢ من مجلة ناشيونال ريفيو البريطانية، وذلك فى مقال بعنوان "الخليج العربى فى العلاقات الدولية"، للضابط البحرى الأمريكى "ميهن" وكان المقال تلخيصا لكتابه الصادر منذ عدة سنوات بعنوان " القوة البحرية والولايات المتحدة، وركز ميهن على الصلة بين وضع الدول العظمى وبين السيطرة على طرق التجارة الدولية، عن طريق الأساطيل الضخمة، ويرى الضابط الأمريكى أنه للحفاظ على طرق الاتصال بين الشرق والغرب يجب على " القوة العظمى " السيطرة على عنق الأراضى التى تربط آسيا، وإفريقيا، وهى تركيا وفارس ومصر والحوض الشرقى للبحر المتوسط، وفى رأيه أن الدولة التى ستنجح فى السيطرة على الشرق الأوسط هذا : قناته وسواحله، ومحطات الفحم (البترول فيما بعد)ستفوز بالسباق من أجل الشرق الأقصى الأبعد والأكثر ربحا، ومن ثم فسوف تسيطر على العالم أجمع.

وبالنظر إلى الأمام، أى إلى ما حدث فعلا فى العقود التالية، فإن الولايات المتحدة كانت هى التى سترث السيطرة البريطانية على عنق اليابسة بسواحله، ومحطات بتروله، وهكذا جاءت الجغرافيا لتدفع أمريكا نحو الإسلام والمسلمين، فى حين كان التاريخ يبعدها عنه وعنهم

www.ibtesama.com/vb

نفسيا وثقافيا، لكن المشروع الصهيونى كان هو الذى سوف يدمج التاريخ والجغرافيا فى مفهوم إستراتيجى جديد للشرق الأوسط فى السياسة الأمريكية.

كانت الحرب العالمية الأولى هى أول حدث كبير يجذب السياسة الأمريكية إلى الشرق الأوسط من الباب الواسع، فقد تدخلت الولايات المتحدة فى هذه الحرب فى أطوارها الأخيرة بالسلاح والرجال، ومن ثم كان لابد أن تشارك فى ترتيب أوضاع عالم ما بعد الحرب فى مؤتمر فرساى، ومن خلال عصبة الأمم رغم عدم تصديق الكونجرس على الانضمام إلى عضويتها.

وكان ما خص المسلمين فى هذه الترتيبات بتأييد قوى من واشنطن هو إقرار وعد بلفور فى فرساى، وتضمينه صك انتداب بريطانيا على فلسطين، وقد ذكرنا من قبل أن الرئيس الأمريكى وودرو ويلسون كان قد وافق سرا على ذلك الوعد، كذلك انتدبت بريطانيا على العراق وشرق الأردن، وانتدبت فرنسا على سوريا ولبنان.

أما مصر فقد تلقت صدمتها الخاصة عندما أعلن ويلسون أن مبدأ حق تقرير المصير الذى كان أيقونة مبادئه الأربعة عشر لترتيب أوضاع عالم ما بعد الحرب لا ينطبق عليها، ولم يكن ذلك إرضاء للحليف البريطانى فحسب، ولكنه كان أيضا قلة اكتراث بهذا الآخر (أى الإسلام والمسلمين، وإدراكا لحاجة بريطانيا العظمى (ومن ورائها القوى الغربية) للسيطرة على عنق اليابس، والأهم كان للوفاء بنذر ويلسون ابن القسيس بإعادة الأرض المقدسة إلى شعبها المختار من الله، ليس فقط كالتزام شخصى، ولكن أيضا تعبيرا عن "توق " النخبة السياسية،

www.ibtesama.com/vb

والثقافية، والدينية الأمريكية. وكذلك الرأى العام لإزالة "وصمة امتلاك المحمديين لفلسطين والقدس ".

وإلى جانب هذين المسارين للوجود الأمريكى الوافد إلى الشرق الأوسط، شق مساران آخران مجراهما الخاص، الأول هو تصفية الاستعمار التقليدى ووراثة نفوذه، والثانى هو السيطرة التدريجية على منابع النفط المكتشف حديثا أيضا، لتصب جميع هذه المسارات فيما بعد فى مسار أضخم وأكثر صخبا، وهو مقاومة الانتشار الشيوعى، وهذه هى المحطة التى استضافت أول وأطول لقاء بين الإسلام السياسى والولايات المتحدة الأمريكية.

سعيد رمضان فى البيت الأبيض :

لا تذكر المصادر الأمريكية أن اتصالا حدث بين مسئولين أمريكيين وناشطين إسلاميين بالمعنى السياسى إلا فى عام ١٩٤٨، عندما التقى الدبلوماسى الشاب هيرمان أيلتس بالشيخ حسن البنا المشد العام لجماعة الإخوان المسلمين فى مصر فى منزل الشيخ محمد سرور صبحان وكيل وزارة المالية السعودية فى جدة (دون ترتيب مسبق حسبما يقول آيلتس نفسه)، لكن آيلتس - الذى أصبح أول سفير للولايات المتحدة فى مصر بعد استئناف العلاقات الدبلوماسية عام ١٩٧٤ - يؤكد أنه كان يعرف أن البنا دائم التردد على جده، وعلى الشيخ صبحان بالذات للحصول على دعم مالى لجماعته، وصبحان كان "عبدا " من أصل سودانى أعتق لنباهته، وتضلعه فى شئون المال.

ويضيف آيلتس أنه كان يعلم بوجود قناة اتصال منتظمة بين زملائه من الدبلوماسيين الأمريكيين فى القاهرة، وبين الشيخ البنا، لذلك

www.ibtesama.com/vb

لم يشأ أن يدخل معه فى حوار فى هذا اللقاء، فضلاً عن أن يقيم معه اتصالاً منتظماً.

(نستطيع أن نعتبر لقاء الرئيس الأمريكى فرانكلين روزفلت بالملك عبد العزيز آل سعود عام ١٩٤٤ لقاء على مستوى القمة بين أمريكا والإسلام السياسى بمعنى من المعانى، لأن آل سعود كانوا ولا يزالون يصبغون حكمهم بالصبغة الإسلامية الوهابية، ولأن آل سعود سوف يلعبون من بعد دورا بالغ الأهمية والاتساع فى دعم حركات الإسلام السياسى. والتقريب بينها وبين الولايات المتحدة).

وبطبيعة الحال أيضا لابد من التسليم بأن بروز جماعة الإخوان المسلمين على الساحة المصرية السياسية بعد الحرب العالمية الثانية قد استرعى انتباه السفارة الأمريكية فى القاهرة، وكذلك أجهزة صنع الدبلوماسية فى واشنطن، رصدا، ومتابعة، وتنبؤا، وهذا ما سوف نلاحظه فى تقارير السفير الأمريكى فى القاهرة (فى ذلك الوقت) جيفرسون كافرى الناصحة بقوة بالتحالف مع الإسلام السياسى ممثلا فى الإخوان المسلمين فى مكافحة امتداد الشيوعية إلى العالم الإسلامى، وكانت الحرب الباردة قد أصبحت هى قدر العالم.

فى هذا السياق جاء اللقاء الأكبر والأشهر والتأسيسى بين الولايات المتحدة، وجماعة الإخوان المسلمين.

فى سنة ١٩٥٣، وفى المكتب البيضاوى للبيت الأبيض، التقى الرئيس الأمريكى حينئذ دوايت آيزنهاور بالدكتور سعيد رمضان عضو مكتب الإرشاد، وزوج ابنة الشيخ حسن البنا، وساعده الأيمن، وذلك بين كوكبة من العلماء والناشطين والباحثين الإسلاميين، الذين كانوا قد دعوا إلى مؤتمر حاشد فتحت له أكبر قاعات جامعة برنستون بولاية نيو جيرسى،

www.ibtesama.com/vb

وهى قاعة ناساو، وكان الهدف المعلن للمؤتمر أكاديميا بحتا، كما وصفته الجهة المنظمة، وهى وكالة الإعلام الدولى التابعة لوزارة الخارجية الأمريكية، فهو يبدو "على السطح تدريبا تربويا وتعليميا فقط، وهذا مرغوب فيه، ولكن الهدف هو جمع خبراء مسلمين فى التربية، والعلوم والقانون، والفلسفة، ممن يكونون قادرين على التأثير فى السياسة، من أجل إحداث نهضة إسلامية تقاوم الشيوعية، عن طريق تقديم بديل مقبول لها فى أوساط المسلمين "، طبقا لعبارات مظهر الدين صديقى مؤسس مركز لاهور الإسلامى فى باكستان فى حديثه فى المؤتمر.

انعقد مؤتمر جامعة برنستون فى ذروة حملة السناتور جوزيف مكارثى (المكارثية) ضد انتشار النفوذ الشيوعى فى الأوساط الأكاديمية والثقافية الأمريكية.

آيزنهاور الذى كان يبلغ من العمر آنذاك ٦٣ عاما، واستقبل " سعيد رمضان " الذى لم يتجاوز السابعة والعشرين من العمر، وقربه إلى جانبه مباشرة فى الصورة التذكارية للقاء، فعل ذلك بنصيحة من كافرى سفيره فى القاهرة، الذى كتب يقول : "إن الإخوان المسلمين فى مصر، وحلفاءهم فى جماعة الإسلام بباكستان يمكن أن يكونوا حلفاء جيدين ضد الشيوعية، وضد حركة القومية العربية ذات المنحى اليسارى كحزب البعث".

وحول شخصية سعيد رمضان ودوره، قال جيفرسون كافرى: إنه - أى رمضان - واسع الصلات فى العالم الإسلامى فهو بمثابة سفير متجول للجماعة، وهو الذى أسس فرع الإخوان فى القدس الذى أصبح حماس، وفرعى عمان، وبيروت، وساهم فى تأسيس جماعة الإسلام تحت قيادة أبو الأعلى المودودى فى باكستان، وهو للذى مثل الجماعة فى مؤتمر العالم الإسلامى فى باكستان، وقد أقام فى باكستان بعد حل الجماعة فى مصر عام

www.ibtesama.com/vb

١٩٤٩، بقرار من حكومة محمود فهمى النقراشى إثر اغتيال القاضى أحمد الخازندار، وعاد إلى مصر عام ١٩٥٠ بعد تولى حزب الوفد السلطة.

(فيما بعد، وفى عام ١٩٥٥ ساهم سعيد رمضان فى تأسيس جيش التحرير الإسلامى ليكون " الجهاز السرى "للإخوان فى الأردن، ولكن هذا التنظيم تطور ليصبح حزب التحرير الإسلامى، الذى انتقلت قيادته إلى ألمانيا الغربية، ومنها، وبمساعدة واضحة من حكومتها، أقام خلايا نشيطة فى جمهوريات وسط آسيا الإسلامية التى كانت أجزاء من الإتحاد السوفيتى فى ذلك الوقت).

يلاحظ روبرت دريفوس مؤلف كتاب "لعبة الشيطان : كيف ساعدت الولايات المتحدة فى إطلاق الأصولية الإسلامية "؟فى تقارير السفير الأمريكى حول جماعة الإخوان فى ذلك الوقت، أنها لم تتطرق إطلاقا لأعمال العنف التى قامت بها الجماعة داخل مصر، وكانت قد اغتالت قاضيا، ورئيسا للحكومة ضمن أعمال عنف أخرى، ولم تتطرق هذه التقارير أيضا إلى وجود جهاز سرى يتبع هذه الجماعة لممارسة العنف السياسى، كما يلاحظ دريفوس أن تقارير وكالة المخابرات المركزية الأمريكية خلت هى الأخرى من أية معلومات أو تقويمات حول الاتجاهات العنيفة للجماعة، وهذا لا يعنى إلا أن الأمريكيين كانوا يعتبرون أن هذه المسألة ثانوية، أو أنها لا تعنيهم ،مادام العنف موجها ضد أهداف داخلية، وبعبارة أخرى ليس موجها ضد أمريكا ذاتها.

ومن كتاب دريفوس أيضا، فقد كان الذى أوصى كافرى بالرهان على سعيد رمضان هو الدكتور محمد البهى الأستاذ بجامعة الأزهر، ومديرها فيما بعد، والذى خلف الشيخ أحمد حسن الباقورى وزيرا للأوقاف فى مصر فى أواخر خمسينيات القرن الماضى.

www.ibtesama.com/vb

كذلك كان مؤتمر برنستون حول الدراسات الإسلامية ممولا من الحكومة الأمريكية، ومكتبة الكونجرس، وشركة آرامكو للبترول (فى السعودية) وشركة الخطوط الجوية الأم .T.W.A، وشركة بان أمريكان للخطوط الجوية الأمريكية، وكان رمضان نفسه من طراز الضيوف (مدفوعة النفقات بالكامل من حساب وكالة الإعلام الأمريكى).

(عند هذا الحد لابد من التوقف ليؤكد كاتب هذه السطور أنه لم يخطر بباله اتهام الدكتور سعيد رمضان، أو غيره من قيادات الإسلام السياسى ممن حضروا مؤتمر برنستون بأنهم عملاء لا للحكومة الأمريكية، أو لمخابراتها، ولكنه يعتقد أن توافق المصالح فى محاربة الشيوعية، ثم فى الصراع ضد قيادة جمال عبد الناصر التقدمية، والحركة القومية العربية هو الذى جمع بين هذه الأطراف، كما أنه هو الذى سخر إمكانيات المملكة السعودية المالية، ومكانتها الروحية، كمنزل للوحى الإلهى، ومهد لبعثة النبى الكريم محمد بن عبد الله، وأرض للكعبة المشرفة والمسجد النبوى - فى خدمة هذا التحالف، وإن كان روبرت دريفوس فى كتابه المذكور ينقل عن تقارير للمخابرات السويسرية أن رمضان عمل لحساب المخابرات الأمريكية، والألمانية، والبريطانية، وأنه أدى خدمات مهمة لأجهزة الأمن السويسرية ذاتها، وهو ما لم يجزم فيه دريفوس نفسه برأى).

على أية حال كان مؤتمر برنستون، ولقاء آيزنهاور ورمضان بداية لحقبة من الزواج العرفى بين الولايات المتحدة والإسلام السياسى، والملكيات العربية والإسلامية ممثلة فى شاه إيران، وملوك السعودية والأردن، والمغرب، فانطلقت جميع الأجهزة الأمريكية تعمل فى كل مكان، وكل اتجاه لتعزيز إستراتيجية الكفاح الإسلامى ضد الشيوعية.

www.ibtesama.com/vb

فما إن نجح الانقلاب الأمريكى ضد الدكتور محمد مصدق فى إيران، وأعيد الشاه إلى السلطة، حتى كان نواب صفوى زعيم منظمة " فدائيان إسلام " التى خانت مصدق، قد أصبح رجل واشنطن الثانى فى إيران بعد الشاه نفسه، واستقدم صفوى نفسه لزيارة مصر فى عام ١٩٥٤، والتقى بزعماء الإخوان، وهناك رأى - يرجحه دريفوس - يقول إن زيارة الزعيم الإسلامى الإيرانى ساهمت فى دفع الإخوان لمحاولة اغتيال جمال عبد الناصر المعروفة باسم حادث المنشية عام ١٩٥٤.

الخنزير الأحمر :

وفى ذلك الوقت صدر كتابان مريبان فى القاهرة، قيل إنهما صادران من السفارة السوفيتية، ليتبين فيما بعد أن المخابرات الأمريكية هى التى أصدرتهما، وكان الأول بعنوان "محمد لم يوجد قط"، والثانى بعنوان "أضرار الصوم فى رمضان"، وفى هذه الحرب الدعائية أطلق الأمريكيون ما سمى باسم برنامج " الخنزير الأحمر" حيث تظهر شخصية سينمائية كرتونية فى صورة خنزير يرتدى شعار " النجم الأحمر الشيوعى "، ويحاول افتراس رجل اسمه " الدين "، ليلقى الخنزير مصرعه فى النهاية على يد "الدين".

ومن جانبه بشر برناردلويس عميد المستشرقين الأمريكيين المشهور باحتقاره للمسلمين وثقافتهم، بأن أرض الإسلام لن تكون تربة خصبه للشيوعية، وأنه يجب على أمريكا أن لا تتوقع ديمقراطية علمانية فى العالم الإسلامى، ولكن يجب أن تساند مستبدا مستنيرا، لأن العالم الإسلامى لن يقبل طغيانا على طريقة أمريكا اللاتينية، أو الطغيان الأوروبى القديم.

www.ibtesama.com/vb

وبالرجوع إلى الماضى يظهر أن الصراع داخل أروقة السياسة الأمريكية كان يدور حول من هو الزعيم الذى يصلح لدور المستبد المستنير، فكان مايلز كوبلاند مؤلف كتاب لعبة الأمم يتزعم تيارا يحبذ إسناد الدور لجمال عبد الناصر، ومن ثم مساندته، وكان الآخر الذى انتصر يفضل ملك السعودية ملكا لكل الإسلام، إلا أن شخصية الملك سعود خذلت الخطة الأمريكية، وهى خطة كان يرعاها الرئيس آيزنهاور نفسه بتحريض من الأخوين دالاس، جون فوستر فى الخارجية، وآلان فى رئاسة المخابرات المركزية، ولكن هذه الخطة صادفت قدرا من النجاح فيما بعد مع شخصية الملك فيصل، وفى الحالتين كان لابد من روافع سواء لسعود أو لفيصل إلى جانب الإمكانيات المالية، وحيازة السلطة على الحرمين الشريفين.

الشيخ الشعراوى :

وكانت جماعة الإخوان المسلمين، وتنظيمها الدولى الناشئ من هذه الروافع، كما ظل الأمريكيون يبحثون - منذ أن كان دين آنشيسون وزيرا للخارجية فى رئاسة هارى ترومان عام من ٤٨ - ١٩٥٢، وبتوصية من آتشيسون نفسه - عن "بيلى جراهام" المسلم.... أى عن داعية دينى يناسب عصر الإذاعة والتليفزيون يحوز شعبية طاغية على مستوى العالم الإسلامى ككل على غرار شعبية المبشر الإنجيلى الأمريكى بيل جراهام، بحيث يستطيع تعبئة مشاعر جموع المسلمين ضد الشيوعية، من خلال إشعال الحس الدينى.

وبينما كان على الجميع أن ينتظروا ظهور الشيخ محمد متولى الشعراوى عقب حرب أكتوبر مباشرة، بعد فشل الرهان على رجل دين عراقى - لم يحدد روبرت دريفوس اسمه، ولعله أحد اثنين إما الألوسى

www.ibtesama.com/vb

السنى، أو القمى الشيعى، فإن العمل مع الإخوان سار على قدم وساق، وبنجاح كبير حيث خصص الملك فيصل الشيخ محمد سرور صبحان الذى أصبح وزيرا سابقا للمالية للإشراف على تمويل شبكة دولية للإخوان من إندونيسيا حتى المغرب، ومن صنعاء حتى ميونخ، (مرة أخرى ليس أى من هؤلاء عميلا للأمريكيين، أو لغيرهم، وإنما هو توافق المصالح، والذى جمع بينهم كمدافعين عن الإسلام ضد الشيوعية وبين المال السعودى، والخطط الأمريكية).

لم يتوقف أحد هنا ليسأل هل لا توجد أية حجية على الإطلاق لمقولة إن الخطر على العرب ليس الإتحاد السوفيتى البعيد، ولا الشيوعية غير المرحب بها قوميا ودينيا، وإنما الخطر الداهم والأقرب هو إسرائيل والصهيونية ؟

وعلى أيه حال فقد اخترع الإسلام السياسى مقولة إن الشيوعية هى الصهيونية، وأنهما معاً مؤامرة يهودية للقضاء على الأديان والسيطرة على العالم، وكان ذلك خداعاً مريحاً للنفس.

وكان الذى اكتشف الشيخ الشعراوى، وقدمه للجمهور المصرى بعيد حرب أكتوبر مباشرة الإذاعى والإعلامى أحمد فراج أمين عام إتحاد الإذاعات الإسلامية، ومقره جده، وكان فراج نفسه عضوا فى جماعة الإخوان المسلمين، وفى تاريخه أنه تزوج بالمطربة والممثلة لبنانية الأصل صباح فى مقتبل الستينيات من القرن العشرين، ويقول العارفون بظروف تلك المرحلة أنه تزوجها ليثبت لرجال جمال عبد الناصر أنه ابتعد بصورة نهائية عن الإخوان، وذلك حتى لا يُنقل إلى عمل غير إعلامى بسبب علاقاته أو ميوله الإخوانية.

www.ibtesama.com/vb

بالطبع لم يكن الشعراوى - وهو المسلم الملتزم، والداعية المفوه الموهوب - من اختراع أحد، ولا نقصد أنه عمل لحساب أحد، ولكن القصد هو أن الظروف نضجت لظهور بيل جراهام المسلمين، ولم تكن لتتوافر هذه الظروف فى ظل قامة جمال عبد الناصر الفارهة سياسيا، والالتفاف الجماهيرى حوله، وفى ظل وجود قامة مماثلة على رأس مشيخة الأزهر الشريف هو المرحوم الشيخ محمود شلتوت، امتداداً للشيخ محمد مصطفى المراغى قائد التجديد والإصلاح فى الأزهر، بعد الإمام محمد عبده.

وكان الشيخ الشعراوى قبل سفره إلى السعودية التى اكتشفه فيها أحمد فراج مديرا لمكتب شيخ الأزهر التالى للشيخ شلتوت، وهو الشيخ حسن مأمون، وكان الاثنان ينتميان للمدرسة التقليدية فى الأزهر الشريف، وهى مدرسة مجددة علميا، ومحافظة سياسيا، عمدتها الشيخ محمد الأحمدى الظواهرى، الجد الأكبر للدكتور أيمن الظواهرى، نائب أسامة بن لادن فى تنظيم القاعدة، وأحد مؤسسى تنظيم الجهاد الذى اغتال الرئيس أنور السادات.

وقد كان عداء هذه المدرسة للشيوعية لا يترك لحظة تفكير واحدة فى الإصلاح الاجتماعى والسياسى لمقاومتها، على نحو ما كان يؤمن به عبد الناصر وشلتوت، بل على نحو ما كان يؤمن مظهر الدين صديقى رجل جماعة الإسلام القوى فى باكستان، والذى شارك سعيد رمضان فى لقاء آيزنهاور سالف الذكر، وربما يعود ذلك فى جزء منه إلى الانتماءات الإخوانية القديمة للشعراوى، كما أنه يعود فى جزء منه بالقطع إلى الارتباط بالعائلة المالكة السعودية، ومما يؤكد ذلك قول الشيخ الشعراوى أنه سجد لله شكرا على هزيمة مصر فى عام ١٩٦٧ حتى لا

www.ibtesama.com/vb

تنتصر وهى فى أحضان الشيوعية على حد قوه، وذلك على الرغم من أنه اعتذر عن هذه الصدمة لمشاعر المصريين فيما بعد، وعلى الرغم من أنه هو نفسه أفتى بأن استنجاد الملك فهد بن عبد العزيز ملك السعودية بقوات غير مسلمة لطرد العراقيين "المسلمين " من الكويت حلال، لأن النبى محمد صلى الله عليه وسلم دخل مكة فى جوار مشرك بعد عودته من الطائف.

وكأن ما يحل للملك فهد لا يحل لجمال عبد الناصر، وكأن الصهيونية أهون شرا من الشيوعية، أو كأن هزيمة الصهيونية فى متناول اليد بعد الفراغ من الشيوعية، وبالطبع كان ذلك - كما قلنا - خداعا للنفس استجابة للهوى السياسى، وأولويات العروش !!!

***

لقد أفرد الكاتب الأمريكى روبرت باير كتابه " النوم مع الشيطان " لتفاصيل تعاون المخابرات الأمريكية والبريطانية مع الإخوان المسلمين ضد جمال عبد الناصر، ومن بين ما يقوله إن محادثات جرت بين البريطانيين والإخوان المسلمين فى جينيف عقب قرار عبد الناصر بتأميم قناة السويس ١٩٥٦ للاتفاق معهم على تولى الحكم فى مصر بعد إسقاط ناصر بغزو عسكرى، وهو ما لم يحدث لفشل العدوان الثلاثى.

(يذكر مايلز كوبلاند أن حلول الإخوان محل ناصر كان يراود الأمريكيين والإسرائيليين منذ عام ١٩٥٤، وأنه أبرق فى هذا العام إلى قيادة الوكالة من القاهرة ينصحها بأن تنصح إسرائيل بدورها أن لا تعول كثيرا على قدرة الإخوان على إسقاط ناصر)

www.ibtesama.com/vb

وكما ذكرنا آنفاً كان الرئيس آيزنهاور لديه فرصة لترميم علاقته مع مصر عبد الناصر بعد موقفه المعارض للعدوان الثلاثى، وإجباره إسرائيل على الانسحاب من سيناء، إلا أنه وتحت تأثير الأخوين دالاس، وهربرت هوفر وكيل الخارجية اختار "استكمال الرهان على ملك السعودية".. طبقا لرواية روبرت دريفوس، فشجع وزير خارجيته الملك سعود على إعادة بناء جماعة الإخوان المصرية، بعد الضربة الساحقة التى كالها لها جمال عبد الناصر فى عام ١٩٥٤.

وتقرر إنشاء لجنة عمل فى مجلس الأمن القومى " للإسلام السياسى " برئاسة دونالد ويبر منسق الانقلاب على مصدق فى إيران، وكان عمله الأساسى هو التنسيق مع جماعة الإخوان وفروعها من باكستان حتى المغرب لمكافحة الشيوعية، والقومية العربية، حتى تمهد الأرض، وتخصب من أجل تطبيق الخطة "أوميجا".

الحلف الإسلامى :

و لا يشك أحد من المؤرخين الآن فى أن إهمال آيزنهاور عن عمد لفرصة إعادة ترميم الجسور مع جمال عبد الناصر - بعد موقفه الشجاع والنبيل - ضد عدوان ١٩٥٦، إنما يعود بالدرجة الأولى إلى يأسه من أن يرضخ الرئيس المصرى لمطلب الصلح مع إسرائيل، وهو ما كان الرئيس الأمريكى يعطيه الأولوية على علاقته مع مصر، خاصة وأنه كان يعرف من السوابق أن ثمن اجتذاب عبد الناصر ليكون زعيم العرب والمسلمين ضد الشيوعية هو تسليح الجيش المصرى، وتقديم معونات التنمية، وقد رأينا فى الباب الأول القصة المحزنة للتلاعب بطلبات مصر من السلاح (رغم أنها

www.ibtesama.com/vb

طلبات تافهة بلسان آيزنهاور نفسه)، ورأينا أيضا أن واشنطن كانت تريد مقايضة تمويل السد العالى بالصلح مع إسرائيل.

أوميجا كان الاسم الرمزى لعملية أمريكية بريطانية تكتل العالم الإسلامى حول الملك فيصل بن عبد العزيز ملك السعودية، لضرب الشيوعية من ناحية، والقومية العربية ممثلة فى قيادة مصر عبد الناصر من الناحية الأخرى، وهكذا أطلق ما عرف فى منطقتنا باسم الحلف الإسلامى. وكان هذا المشروع واحدا من جبهات الصراع الإقليمى والدولى قبل حرب ١٩٦٧ التى هزم فيها عبد الناصر، ومشروعه القومى، ومشروعه النهضوى فى داخل مصر أمام إسرائيل، ويرى كوبلاند أن هذه الهزيمة " أثبتت أن القومية العربية، لم تكن إلا وهما، وأن مشروع عبد الناصر لن يعيش بعد موته الذى حدث فى سبتمبر ١٩٧٠، وكان البديل الوحيد المتاح هو الإسلام ".

بعد ١٩٦٧ انتهز أصدقاء واشنطن فرصة إحراق المسجد الأقصى فى عام ١٩٦٩، وأطلقوا مشروع المؤتمر الإسلامى فى فاس بالمغرب، بمبادرة من الملك فيصل، وشاه إيران، والحسن الثانى ملك المغرب، وانضمت إليه مصر التى كانت فى حاجة إلى المعونة المالية السعودية، "و كان المؤتمر الإسلامى ظاهريا قد تأسس ضد إسرائيل "، ولكنه وفقا لتحليل ديفيد لونج مدير البحث والتحليل فى مخابرات وزارة الخارجية الأمريكية سابقا" كان يستهدف تكوين كتلة إسلامية ضد السوفييت، وقد شجعنا الملك فيصل على مساندة الإخوان المسلمين للغرض نفسه، فلم نكن نرى الإسلام. وإنما كنا نرى السعودية والسوفييت "، والمعنى أن الإسلام لم يكن هو ما يعنيهم، وإنما ما كان يعنيهم هو استخدام المال والنفوذ السعودى ضد السوفييت.

www.ibtesama.com/vb

بوفاة عبد الناصر، وتولى أنور السادات حكم مصر، ونجاحه فى حرب أكتوبر يبدأ فصل جديد من فصول العلاقة بين الولايات المتحدة والإسلام السياسى.

تحولات السادات :

كان السادات يكره الشيوعية، وكان محكوما بعقيدة أن العداء مع الولايات المتحدة هو الذى جر على مصر نكسة ١٩٦٧، وكان يؤمن أن أمريكا هى وحدها القادرة على حل مشكلة الشرق الأوسط، وفى الوقت نفسه فقد كان صديقا وشريكا فى عدة أعمال، وفى الذوق الاستهلاكى مع السيد كمال أدهم رئيس جهاز المخابرات السعودية، وشقيق الملكة عفت زوجة الملك فيصل، كما كان السادات نفسه عضوا فى جماعة الإخوان قديما، واحتفظ بقدر من الثقة عندهم رغم خروجه منها، وكان هو مسئول الدائرة الإسلامية فى مجلس قيادة ثورة يوليو.

كل هذه العوامل تضافرت لإقناع السادات بإطلاق سراح معتقلى الإخوان من سجون عبد الناصر، والسماح لقيادتهم فى المنفى بالعودة، وإطلاق حرية الحركة لهم دون الاعتراف بالجماعة قانونا، وفى هذا الوقت ظهر أيضا الشيخ الشعراوى، وتشكلت الجماعات الإسلامية فى الجامعات، بمساعدات علنية من الدولة، إلى آخر ما هو معروف للكافة، وما كتب عنه الكثير، مما لا داعى لتكراره هنا، لكن يظل دور كمال أدهم رئيسيا فى الصفقة مابين السادات، وكل من واشنطن، والإخوان.

وكان مقتضى هذه الصفقة - كما يقول روبرت دريفوس - أن لا يستخدم الإخوان العنف فى داخل مصر، وأن لا تتصل بهم واشنطن من

www.ibtesama.com/vb

وراء ظهر السادات، وهو ما تعهد به هنرى كيسنجر وزير الخارجية الأمريكية للسادات فى أول لقاء لهما بعد حرب أكتوبر، ولذا يقول هيرمان آيلتس أول سفير للولايات المتحدة فى مصر بعد تلك الحرب إن "اتصالات الدبلوماسيين الأمريكيين بالإخوان فى تلك الحقبة كانت محدودة جدا، وإذا حدثت فإنها لا تكن مرتبة جيدا "

لكن العنف الذى أقلعت عنه جماعة الإخوان، ظهر بعد ذلك على أيدى منشقين عنها كونوا جماعاتهم الخاصة مثل التكفير والهجرة، وعشرات غيرها من السماويين إلى الفرقة الناجية، فالشوقيين، ثم الجماعة الإسلامية، وأخيرا تنظيم الجهاد الذى اغتال السادات نفسه عام ١٩٨١.

قبل اغتيال أنور السادات كان الرجل قد دخل فى أكبر تعاون مع السعودية والولايات المتحدة لرعاية وتشجيع الجهاد الإسلامى ضد الغزو السوفيتى لأفغانستان، وهو ما يفخر به زبيجنيو بريزنيسكى مستشار الرئيس الأمريكى الأسبق " جيمى كارتر " للأمن القومى، ومهندس هذا التحالف، رغم اعترافه بأن هذه الحرب هى التى جاءت بالانتحاريين والطائرات المختطفة لدك برجى مركز التجارة العالمى فى نيويورك، والسقوط فوق مبنى وزارة الدفاع الأمريكية بواشنطن يوم ١١ سبتمبر ٢٠٠١.

سئل بريزنيسكى : هل تندم على التحالف السرى مع الإسلاميين فى أفغانستان ؟ فأجاب : أندم.. على ماذا؟! لقد كان هذا التحالف فكرة ممتازة، فأيهما أهم فى تاريخ العالم ؟ مجئ طالبان ؟ أم انهيار الإمبراطورية السوفيتية ؟ بعض المسلمين المهتاجين أم تحرير أوروبا الوسطى، وانتهاء الحرب الباردة ؟

www.ibtesama.com/vb

ولكن لماذا اهتاج المسلمون ؟

الحكاية ببساطة أنه بعد انسحاب السوفيت مهزومين، من أفغانستان فى أواخر ثمانينيات القرن الماضى، ثم نشوب الثورات فى أوروبا الشرقية، فانهيار الاتحاد السوفيتي فى أوائل التسعينيات، انتهت الحرب الباردة بانتصار مؤزر لأمريكا التى كان يحكمها فى ذلك الوقت جورج بوش الأب رجل السياسة الواقعى المحافظ، ومع انتهاء الحرب الباردة، أصبح لسان حال واشنطن يقول " لقد انتهت حاجتى من جارتى "... ولم يعد للإسلام السياسى دور فى إستراتيجيات النظام العالمى الجديد.. ذلك الشعار الذى أطلقه بوش الأب، وهو تعبير مهذب عن مشروع الإمبراطورية الأمريكية... بل ربما أصبح الإسلام السياسى عدوا لهذا المشروع.

لم يمض طويل وقت حتى تركت أفغانستان نهبا للمجاعة، وتجارة المخدرات، وصراعات أمراء الحرب، وتدخلت باكستان لحماية أمنها، فنصبت حركة طالبان المتشددة فوق سدة السلطة فى هذه الدولة القبلية الجبلية التعيسة، وانصرف بوش يفكر فى ضربة افتتاحية لمشروع الإمبراطورية، بعد نجاح التحالف الدولى بقيادته فى دحر صدام حسين من الكويت، التى كان قد غزاها فى أول أغسطس فى عام ١٩٩٠، بغواية أمريكية غامضة... ووجد الرئيس الأمريكى فى الصومال ضالته.

كان الرئيس الصومالى حليف الأمريكيين (من خلال وساطة أنور السادات) محمد سياد برى قد أطيح به، ودخلت البلاد فى حالة حرب أهلية، وقررت الجامعة العربية الانعقاد فى صيف١٩٩٢ لبحث إرسال قوة حفظ سلام عربية إلى الصومال.

www.ibtesama.com/vb

وذات صباح فوجئ الدكتور عصمت عبد المجيد الأمين العام لجامعة الدول العربية، والسفير الدكتور سمير حسنى مسئول ملف الصومال بالجامعة بالسفير الأمريكى يطلب موعدا عاجلا، ليأتى بعد ساعة، ويبلغهما، أو لينذرهما - إن شئنا الدقة - بعدم عقد الجلسة الطارئة لوزراء الخارجية العرب، وكانت بعد يومين، لإرسال قوات عربية إلى الصومال، لأن مجلس الأمن الدولى يبحث القضية، ومن ثم فليس من حق منظمة إقليمية أن تبحث فى موضوع معروض على المنظمة الدولية (العكس هو الصحيح إذ يتلو دور المنظمة الدولية دور المنظمة الإقليمية)، ولكن هذا كان منطق النظام العالمى الجديد.

يومها قلت لزميلى عاطف صقر، وكان يغطى أخبار الجامعة العربية إن بوش سيرسل قوات إلى الصومال، ولم يصدقنى، واتصلنا سويا بالسفير سمير حسنى الذى أبلغنا (دون أن نسميه وقتها) بفحوى ما قاله السفير الأمريكى، ولكنه استبعد أيضا إرسال قوات أمريكية، آملا أن يرسل مجلس الأمن قوات دولية، لكن لو كان الحال كذلك فلماذا كان السفير الأمريكى هو الذى يطلب بلهجة إنذار عدم انعقاد جلسة طارئة لوزراء الخارجية العرب، وليس الأمين العام للأمم المتحدة، خاصة وأنه مصرى، وزميل للأمين العام للجامعة العربية ؟ أقصد الدكتور بطرس غالى بالطبع.

ما هى إلا بضعة أيام حتى انطلقت الحملة البحرية الأمريكية لاحتلال الصومال تحت مسمى " عملية استعادة الأمل "، وتشكلت أساسا من قوات أمريكية، وبضع فصائل من فيجى والرأس الأخضر، ودول صغيرة مماثلة، وقد جرى فيها ما يعرفه الجميع من التصدى بالقوة من جانب الميليشيات الصومالية لمشاه البحرية الأمريكية، وسحل العشرات منهم مقتولين فى شوارع مقديشيو على أيدى

www.ibtesama.com/vb

ميليشيات الجنرال محمد فارح عيديد، مما أنهى المهمة بسرعة مخزية بقرار من الرئيس الأمريكى الجديد بيل كلينتون، بعد حرب كلمات شعواء شنها بوش ووزير خارجية جيمس بيكر على الدكتور بطرس غالى لأنه " كان قيادة سياسية فاشلة لحملة استعادة الأمل فى الصومال " !!!

كان قرار غزو الصومال قرارا انفراديا من بوش تدثر بعباءة مجلس الأمن فى لحظة انكسار النظام العالمى القديم، وعدم قدرة أحد على منازعة واشنطن.

وكان نزول قوات أمريكية فى السعودية لتحرير الكويت قد أثار أيضا حفيظة بعض الفرق الإسلامية المتشددة، التى قامت بعدة أعمال مسلحة بعد ذلك ضد الوجود الأمريكى فى السعودية والكويت...

كانت الصومال المشرفة على القرن الأفريقى، والمحيط الهندى، ومدخل البحر الأحمر، ومن ثم شرق إفريقيا، والمياه الإستراتيجية الناقلة للبترول، والمتحكمة فى الطريق البحرى حتى الصين واليابان مرورا بالهند، مطلبا ملحا، وصيدا بدا سهلا للنظام العالمى الجديد، ولكن مثلما أثبتت الصومال أن عصر الإمبراطوريات التقليدية قد ولى إلى غير رجعة، فإنها أثبتت " للإسلاميين " أن واشنطن قد خانتهم خيانة جسيمة لا يغفرها إلا الدم أى دم الأمريكيين أنفسهم.

من شواهد تلك الخيانة أيضا الرواج المفاجئ للأدبيات السياسية المعادية للإسلام، من نوع كتاب الرئيس الأسبق ريتشارد نيكسون " الفرصة السانحة"، وكتاب صامويل هانينجتون "صراع الحضارات"، وكانت المحصلة هى اعتبار الإسلام هو العدو الجديد للولايات المتحدة والغرب الديمقراطى المسيحى بعد هزيمة الشيوعية.

www.ibtesama.com/vb

هنا فقط ثبت للإسلاميين أيضاً أن الصهيونية ليست هى الشيوعية، وأن الشيوعية ليست الصهيونية، ولكن الأوان كان قد فات.

إذن لقد خانت واشنطن شركاءها الإسلاميين فى الحرب ضد الشيوعية طوال أربعين عاما من ١٩٥٠ -١٩٩٠، ثم تحولت إلى اعتبار الإسلام نفسه عدوا... إذن فلتكن هى الحرب.

هنا ظهر أسامة بن لادن فى السودان أولا، ثم فى أفغانستان تاليا، وانطلقت الأعمال "الإرهابية " ضد الولايات المتحدة فى كل مكان فى العالم، فنسفت السفارتان الأمريكيتان فى نيروبى بكينيا ودار السلام فى تانزانيا، عام ١٩٩٦، وقتل السفير الأمريكى فى السودان، وتكررت هذه العمليات من وقت إلى آخر حتى أمكن نسف المدمرة الأمريكية كول على شواطئ اليمن عام ١٩٩٩، وقتل فى الحادث عشرات من جنود البحرية الأمريكية، وجرى تفجير مركز التجارة العالمى فى نيويورك من جانب أعضاء فى الجماعة الإسلامية التى نشأت فى مصر، وأدانهم القضاء الأمريكى مع مفتى الجماعة الشيخ عمر عبد الرحمن، وأصبحنا على مشارف ١١ سبتمبر. الذى تنقلنا أحداثه، وردود الفعل الأمريكية عليه مباشرة إلى فصل الارتباط البناء، بعد أن أثبتت حرب أفغانستان رغم سقوط طالبان، وغزو العراق رغم سقوط صدام حسين أن الحرب لن تكون الإجابة الوحيدة والنهائية على تساؤل واشنطن : ما العمل مع الإسلام السياسى ؟ !

www.ibtesama.com/vb

الفصل الثانى

التحالف الصليبى الجاهلى

فى أهدأ الأقوال هى الشر الذى لابد منه، لكن الهدوء ليس صفة دائمة للإسلام السياسى، كما أنه ليس صفه دائمة للبشر عموما.

لقد اختلفت توصيفات الحركيين والمنظرين الإسلاميين للولايات المتحدة الأمريكية منذ بداية احتكاكهم بها، ولكنها أجمعت على شئ واحد هو أنها أحد الأعداء الرئيسيين للأمة الإسلامية، وأصبحت هى العدو الأول للإسلام والمسلمين بعد انهيار الشيوعية، وانتهاء الحرب الباردة، ولا يستثنى من هذا الإجماع إلا الحكومات ذات الصبغة الدينية المتحالفة تقليديا مع الولايات المتحدة، وعلى الأخص السعودية ودول الخليج وباكستان، وتركيا المحكومة بحزب العدالة والتنمية ذى المرجعية الإسلامية مجددا... والتحق الإخوان المسلمون المصريون بالقافلة حديثا.

بطبيعة الحال كان لابد أن يخبو التناقض بين الإسلام السياسى والسياسة الأمريكية فى فترة التحالف بينهما ضد الشيوعية. لكن هذه

www.ibtesama.com/vb

الفترة عينها هى التى صاغ فيها المرحوم الأستاذ سيد قطب أكبر منظرى حركة الإخوان المسلمين فى مصر (وفى العالم جنبا إلى جنب مع أبو الأعلى المودودى فى باكستان، ولاحقا الدكتور حسن الترابى فى السودان) نظريته حول الحاكمية الإلهية، والجاهلية الجديدة، وقد سمى الأستاذ قطب النموذج الرأسمالى الذى تمثله الولايات المتحدة فى كتابه معركة الإسلام والرأسمالية بالجاهلية الحيوانية، ناظرا إلى التركيز على إشباع الحاجات المادية وسيادة النزعة الاستهلاكية فى المجتمع الأمريكى، ومن ثم فإن الولايات المتحدة بجاهليتها الحيوانية، أو الغرائزية، لا تختلف كثيرا عن الشيوعية الإلحادية فى كونهما معا النقيض البشرى للحاكمية الإلهية، التى تتمثل فى ضرورة سيادة منظومة القيم الإسلامية، وشريعة القرآن... كما يفهمها هو على الإنسانية قاطبة.

وعلى الرغم من ذلك، فإن الأستاذ سيد قطب أقر فى كتابه الأشهر معالم فى الطريق" أن هذه الأمة الإسلامية لا تملك الآن - وليس مطلوبا منها - أن تقدم للبشرية تفوقا خارقا فى الإبداع المادى، يحنى لها الرقاب، ويفرض قيادتها العالمية من هذه الزاوية، فالعبقرية الأوروبية قد سبقت فى هذا المضمار سبقا واسعا، وليس من المنتظر - خلال عدة قرون على الأقل - التفوق المادى عليها ".

وجاء آية الله الخمينى فى إيران ليصف الولايات المتحدة بأنها الشيطان الأكبر، ثم تلاه أسامة بن لادن مؤسس القاعدة، ونائبه أيمن الظواهرى بوصف أمريكا بأنها رأس الكفر، وقائدة الصليبية الجديدة.

وفى رأى أكثر الإسلاميين اعتدالا مثل المستشار طارق البشرى فالولايات المتحدة هى عدو الأمة بتحالفها مع الصهيونية، والأنظمة الفاسدة التابعة فى العالم الإسلامى، أما الدكتور أحمد كمال أبو المجد،

www.ibtesama.com/vb

وهو إخوانى سابق فيرى أن الولايات المتحدة هى مشكلة العالم كله، وليست مشكلة المسلمين فقط، وإن كان الأخير قد قال ذلك فى إبان الغزو الأمريكى للعراق.

قبل الاستطراد فى تفصيل رؤية الإسلام السياسى "المنظم" للولايات المتحدة، نود أن نقول كلمتنا فى التوصيفات السابقة لكبار مفكرى الإسلام السياسى المحدثين فى الولايات المتحدة، ونجد أننا أقرب إلى تشخيص المستشار البشرى منه إلى أى تشخيص آخر، فالولايات المتحدة تبقى عدوا للأمة لأسباب عملية، هى التحالف مع الصهيونية وإسرائيل وحمايتها للنظم السياسية التابعة لها حفاظا على مصالحها شبه الاستعمارية فى بلداننا، أما مقولة الأستاذ سيد قطب، فهى وليدة لحظتها التاريخية، مثلما هى وليدة المزاج الفكرى العنيف للأستاذ قطب.

لقد نظر الأستاذ سيد قطب إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وإلى الحضارة الغربية عموما، وكذلك إلى النظام الرأسمالى من ثقب إبرة، وفتش فى أكثر أركانه ظلاما، وهو الإشباع المادى والنزعة الإستهلاكية، والتنافس الاقتصادى المحموم، وكانت اللحظة التى أخرج فيها كتابيه : "معالم فى الطريق"، و "معركة الإسلام مع الرأسمالية"، هى لحظة الأزمة الكبرى للرأسمالية العالمية أمام الجاذبية الهائلة للنظرية الشيوعية متحالفة مع ثورات التحرر الوطنى ضد الرأسمالية، والاستعمار التقليدى الذى ارتبط بها تاريخيا.

من ثقب الإبرة هذا، وفى لحظة التأزم هذه لم يسع الأستاذ سيد قطب أن يرى أن النزعة الإستهلاكية، والتركيز على الإشباع المادى، ليسا شرا مطلقا، فقد حفزا التنافس بتوسيع السوق، ومن ثم تحفيز البحث والابتكار، فضلا عن أن هذه النظرية خرجت إلى الوجود قبل تبلور عصر الجماهير ممثلا

www.ibtesama.com/vb

فى ثورة الاتصالات التى أدخلت الناس العاديين فى صلب العملية السياسية، وكذلك قبل تبلور الثورة الإلكترونية، وقبل غزو الفضاء، وقبل اكتمال النضال ضد التفرقة العنصرية داخل الولايات المتحدة وخارجها، وإقرار الحقوق والحريات المدنية للجميع وبلا رجعة، وكذلك، وبطبيعة الحال، قبل هزيمة الشيوعية أمام روح الحرية والابتكار فى الغرب الرأسمالى. وقبل نضج واكتمال نموذج دولة السوق الاجتماعى، أو دولة الاشتراكية الديمقراطية فى أوروبا الغربية، وهو النموذج الذى يناضل من أجله التقدميون الأمريكيون، وأخيرا وليس آخرا قبل الثورة الطبية، من المضادات الحيوية إلى عمليات نقل الأعضاء البشرية.

إن كل هذه المنجزات ليست من فعل الجاهلية الحيوانية، ولكنها من فعل الإرادة الحرة، والنضال الواعى لجيوش من المفكرين، والعلماء، والعاملين، والناخبين الذين حركتهم، ولا تزال تحركهم أعلى القيم المعرفية والإنسانية احتراما وتجريدا على مدار أكثر من نصف قرن من الزمان، امتداداً للنضال المستمر ضد قوى الرجعية، والعنصرية، والاستغلال فى الغرب الأوروبى والأمريكى، بغض النظر عن دور "الإسلام السياسى"، ورأيه فى الحضارة الغربية، ومن ثم فلا محل للإيمان "الدينى" بأن الولايات المتحدة، وفلسفة حياتها، وسلوك مواطنيها يمثل بالضرورة نقيض حياة أو موت للإسلام والمسلمين، لابد لأى منهما أن يستأصل الآخر أو يسود عليه، ليسير التاريخ إما نحو توازن الإنسان المسلم ما بين أشواق الروح، واحتياجات الجسد، امتثالا لحاكمية الله، وإما نحو الجاهلية الحيوانية التى لا ترى فى الإنسان سوى مجموعة غرائز.

أما رأى الخمينى، والثورة الإيرانية فى الولايات المتحدة، فليس إلا انعكاسا للعداء الأمريكى للثورة الإيرانية فى طورها الديمقراطى

www.ibtesama.com/vb

الاجتماعى بقيادة الدكتور محمد مصدق، وفى طورها الإسلامى بقيادة الخمينى نفسه.

وقد قلنا إن وصف الدكتور أبو المجد لأمريكا بأنها مشكلة العالم كله جاء فى أثناء حملة بوش الإبن ومحافظيه الجدد لاستئناف المشروع الإمبراطورى الذى تحطم فى عهد أبيه بوش الكبير فى الصومال، وذلك من خلال غزو العراق، لكن هذا المشروع تحطم هو الآخر، وأطاح به الناخب الأمريكى نفسه، ليس فقط باختيار الحزب الديمقراطى للبيت الأبيض، والكونجرس فى خريف عام ٢٠٠٨، ولكن منذ لانتخابات النصفية عام ٢٠٠٦ حين خسر الجمهوريون بقيادة بوش معظم المقاعد فى الكونجرس الفيدرالى، وفى الولايات.

أما الحديث عن الصليبية الجديدة فهو حيلة نفسية ابتكرها بعض الإسلاميين، ممن كانوا حلفاء أمريكا والغرب فى الماضى ضد الشيوعية، للانتقام من خيانة أمريكا لهم بعد هزيمة الشيوعية، ولحفظ توازنهم النفسى والأخلاقى بعد ثبوت زيف مقولة أن الصهيونية والشيوعية شئ واحد، وإن انتهاء الشيوعية سيؤدى إلى هزيمة الصهيونية تلقائيا.

كان هذا استهلالا لابد منه فى نظرنا للتعمق فى نظرة الإسلام السياسى مؤطرا فى تنظيمات حركية مثل الإخوان المسلمين للولايات المتحدة الأمريكية قبل الوصول إلى لحظة الارتباط البناء بين الطرفين.

ولا خلاف -فيما نظن - على أن الولايات المتحدة التى ورثت من أوروبا نظرتها الأولى للإسلام والمسلمين، كان لابد أن ترث أيضا نظرة المسلمين والثقافة الإسلامية إلى أوروبا.

ويكاد الإجماع ينعقد بين المؤرخين والباحثين على أن العلاقات الإسلامية - الغربية عموما، وعلاقة الإسلام السياسى بأوروبا ومن ثم

www.ibtesama.com/vb

أمريكا خصوصا إنما تشكلت من خبرتين تاريخيتين كبيرتين، الأولى هى الحروب الصليبية، والثانية هى حملة نابليون الفرنسية على مصر مقدمة للاستعمار الأوروبى الحديث للعالم الإسلامى قلبا وأطرافا.

هذا الإجماع لا يعدوالحقيقة فى شئ، فلا جدال فى أن كل ما حدث فى العالم الإسلامى من تطور فكرى، وحركات إصلاح، منذ القرن التاسع عشر على الأقل كان بمثابة استجابة للتحدى المتمثل فى الاستعمار والهيمنة الأوروبية، ثم الأمريكية... هكذا كانت تجربة محمد على فى مصر، وإصلاحات السلطان محمود الثانى فى تركيا، وهكذا ولدت الحركة المهدية فى السودان، والدور السياسى للحركة السنوسية فى شمال إفريقيا والصحراء الأفريقية الكبرى، وهكذا ظهر مشروع الجامعة الإسلامية على يد جمال الدين الأفغانى، ثم تحول إلى مشروع للإحياء الثقافى والنهضة الشاملة، والحكم الدستورى على يد تلميذه محمد عبده، الذى انقسم تلاميذه إلى سلفيين على يد الشيخ رشيد رضا، ليخرج من بين صفوفهم الشيخ حسن البنا مؤسس جماعة الإخوان المسلمين، والى إصلاحيين تحديثين بقيادة سعد زغلول، وأحمد لطفى السيد لتولد على أيديهم فكرة الدولة الوطنية الحديثة فى مصر، ثم تمتد إلى بقية الأقطار العربية.

بدايات الصحوة :

فى ذلك السرد السريع السابق.... كان العالم الإسلامى فريسة، ولكنها فريسة تقاوم، أى لم تزهق روحها قط، وإن ظلت منهكة القوى.. غير قادرة على الخلاص نهائيا من ذلك الوحش الذى ينهش أجزاءا من جسدها، وهذا هو القفص الذى دخلته الشعوب الإسلامية بعد عصر الحروب الصليبية.

www.ibtesama.com/vb

يقول الأستاذ عباس محمود العقاد فى كتابه الإسلام فى القرن العشرين" بعد شرحه لآثار الحروب الصليبية .. "ولكننا نعنى الأثر الذى عاد بالضرر الوخيم بعد عصر الحروب الصليبية بقرنين أو ثلاثة قرون، وهذا الأثر الوخيم العقبى هو إفراط المسلمين فى الثقة بأنفسهم، وإفراطهم فى سوء الظن فى الأمم الأوروبية وكل ما يأتى من نحوها، حتى أوشكوا أن يوقنوا أنها لا تأتيهم يوما بشئ يحتاجون إليه.

مثل هذا الشعور قد يحيك بصدور الأمم فى أوقات كثيرة، فلا يضيرها، بل يمد فى قوتها إذا خامرها فى إبان النمو والصعود، ولكن الظروف التى تطورت إليها الحروب الصليبية لم تكن من هذه الأوقات، بل صادفت - على النقيض - فترة ذات وجهين من قبل الشرق ومن قبل الغرب، فكانت فى الشرق فترة هبوط، وكانت فى الغرب فترة صعود فى النهضة العلمية الحديثة، قامت بعدها أوروبا مقام القيادة على هذه النهضة، وتخلف الشرق زمنا عن اللحاق بها، وليس أخطر على الأمم من الاكتفاء بالذات، والاعتزاز بالرجحان فى مثل هذه الظروف."

ويستطرد الأستاذ العقاد : "جاءت المدارس العصرية فى البلاد الإسلامية من جانبين، كلاهما مظنة للتهمة، وكلاهما موضع للحذر والاتقاء".

"جاءت المدارس العصرية على أيدى الحكومات التى بلغ التنافر بينها وبين المحكومين حد العداء والاتهام بلا بحث ولا روية، فكان الناس يحسبون التلميذ المطلوب للمدرسة كالعامل المطلوب للسخرة، أو كالجندى الذى يساق إلى المشقة والوبال فى غير مصلحة أو كرامة".

وجاءت المدارس العصرية أيضا على أيدى رسالات التبشير التى صارحت الناس - فى ظل الامتيازات الأجنبية بغرضها من فتح المدارس

www.ibtesama.com/vb

وقبول التلاميذ بغير أجر فى كثير من البلدان (وهـذا الغـرض هـو تحـويلهم من الإسلام إلى المسيحية، وهـذا توضـيح مـن المؤلـف لمـا يقصـده العقـاد)، فأحجم المسلمون عن تعلـيم أبنـائهم فى مدارسـها، وجـاوزوا ذلـك إلى سـوء الظن بالعلم نفسه، وسوء الظن بنية المعلمين، وإيمان بالمتعلمين ".

إلى هنا انتهى اقتباسـنا مـن الأسـتاذ العقـاد... ويضـيف المؤلـف مـا سمعه من والده (وكان من مواليد آخـر القـرن ١٩) مـن أن الجـد منـع ابنه الأكبر من الذهاب إلى مدرسة عصرية طلب إليها فى المنوفيـة خوفـا من أن يتعود على أن يبول واقفا كما يفعل الخواجات.

كان هذا هو حال المسلمين عندما جاءهم الاستعمار الأوروبى غازيـا ومستغلا... وهو من الأصل موضع سوء ظن، وزاد الوضع سوءا على سوء وقاحة كثير مـن المسـتشرقين والرحالـة والتجـار والقـادة العسـكريين فى تهجمهم على الإسلام، والمسلمين، والتصريح بقرب نهاية الإسـلام نفسـه " لفساد فى بنيته الاعتقادية حسب زعمهم "، بل ومجافاة المـنهج العلمـى فى الكتابة عن نبى الإسلام الكريم، وعن أحداث التاريخ الإسلامى، وأخيرا إبداء كثيرين منهم روح الثأر من هزيمة الحروب الصليبية، والتشـفى فى المسلمين المحدثين.

الإسلام الدفاعى :

مـن هنـا ظهـرت حركـات الإصـلاح السـياسى الإسـلامى مـن أرضـية الدفاع... والـدفاع فقـط، ومـا كـان ممكنـا سـوى ذلـك، فـما كـان لـدى المسلمين أية أدوات للهجوم، واتخذ الدفاع مناهج شتى..

- المقاومة المسلحة ضد الحملة الفرنسـية فى مصر، والحملـة الفرنسـية بعد ذلك بثلاثين عاما على الجزائـر، ثـم الثـورة المهديـة فى السـودان بعد ذلك بنصف قرن تقريبا.

www.ibtesama.com/vb

- الحفاظ على الهوية، واستنهاض همة الاستمساك بالدين كجمعية العلماء فى الجزائر، والحركة السنوسية فى شمال إفريقيا والصحراء الإفريقية.
- اللحاق بركب الحضارة الحديثة كمحاولة محمد على فى مصر، والسلطان محمود العثمانى.
- الجامعة الإسلامية كمشروع لتجميع طاقات الأمة خاصة ضد روسيا المتحفزة بالمسلمين فى وسط آسيا، وشمال القوقاز، والبلقان، والنهمة إلى الوصول إلى المياه الدافئة، والطامحة إلى استعادة "القسطنطينية بوصف أسرة رومانوف القيصرية الروسية هى وريثة أباطرة بيزنطة التى أزالها العثمانيون من الوجود، ومن ثم فهى وريثة الإيمان الرومى الأورثوزوكسى.
- النهضة الشاملة داخليا... تعليم عام، وحكم ديمقراطى، ونهضة اقتصادية والاشتباك فى حوار حضارى مع الثقافة الغربية، وهو منهج الإمام محمد عبده فيما بعد.
- الانغماس بقوة فى حركة التحرير الوطنى، والوعى القومى، وحدث ذلك فى الثورة الهاشمية ضد العثمانيين، وبواكير الفكر العروبى فى سوريا، ولبنان، وبدايات حزب البعث، وقيادة جمال عبد الناصر للتيار القومى، وكان حضور الإسلام السياسى قويا أيضا فى حركة التحرير الوطنى الجزائرى، وحركة فتح الفلسطينية.
- العودة إلى تقاليد السلف الصالح من المسلمين الأوائل حتى تصلح آخرة الأمة، بما صلح بها أولها وفى القلب من ذلك إحياء الجهاد، واستعادة الخلافة العظمى.. وهذا هو المنهج الذى اختاره الشيخ حسن البنا، لكنه

www.ibtesama.com/vb

تحول به من دعوة وإحياء فكرى إلى تنظيم جماهيرى مغلق وشبه عسكرى، يسعى إلى السلطة السياسية، ويرفض بقوة إلى حد العنف كل الأفكار الحديثة من ديمقراطية، وحزبية، وقومية، واشتراكية، وصراع طبقى، وتحليل اجتماعى ' بل ويتهم كل من يدعو إلى أى من هذه الأفكار بالخروج على الإسلام، أو على الأقل بأنه "مستلب" لمصلحة المستعمر الغربى الصليبى.

***

هكذا كان موقف هذا التنظيم، وخلفيته الفكرية من أحمد لطفى السيد، وعلى عبد الرازق، وطه حسين، وعباس العقاد، ومحمد حسين هيكل، ومنصور فهمى، وغيرهم من المسلمين، ناهيك عن الموقف من سلامة موسى، ولويس عوض رغم تحفظ المؤلف شخصيا على حرص الكاتبين الأخيرين على نفى كل ما هو إسهام أصيل ونافع للإسلام والمسلمين وللثقافة العربية عموما فى الحضارة الإنسانية، وعلى النقيض من ذلك فقد رحبوا بالمحافظين من المثقفين من أمثال مصطفى صادق الرافعى، وطنطاوى جوهرى، ومحمود شاكر.

باختصار اتخذ الإسلام السياسى موقف الرفض المطلق للغرب، وكل ما يأتى من الغرب مرتكبا رذيلة الاكتفاء بالذات التى وصفها العقاد آنفا بأن ليس هناك ما هو أخطر منها على الأمم فى مثل هذه الظروف، لكن الغرب هنا فى كل مكان : احتلال وثقافة، وصناعة وتجارة.. وإسرائيل، وأمريكا هى حامل لواء القيادة فى كل ذلك.

الشيخ حسن البنا كرجل سياسة عملية - من الناحية الأخرى - لم يكن يمانع فى الاتصال بالقوى الغربية الرئيسية فى الساحة المصرية،

www.ibtesama.com/vb

وعلى الأخص بريطانيا والولايات المتحدة، مثلما لم يكن لديه مانع من الاتصال والتفاوض أحيانا مع القصر الملكى، وزعيم الوفد مصطفى النحاس باشا، وزعيم الديكتاتورية فى العصر الليبرالى إسماعيل صدقى باشا... مادام أن مثل هذه الاتصالات والمفاوضات سوف تفيد حركته، وهكذا اتصل مبكرا بالدبلوماسيين البريطانيين، والأمريكيين، ولكن على مستوى خفيض، ودون تواتر، مما هو ثابت فى كتب ومصادر أخرى، كما روى هيرمان آيلتس، وأشرنا إليه فى الفصل السابق.

لينفتح الباب على اتساعه فيما بعد للتعاون المشترك ضد الشيوعية على نحو ما فصلناه فى الفصل السابق.

وفى الحقيقة لم يكن البنا يفكر فى مواجهة على نطاق عالمى ضد كل من الرأسمالية والشيوعية، وكان تركيزه على تحرير مصر من الاحتلال الأجنبى، وتحرير الشعب من الظلم الداخلى، وصولا إلى قيادة الأمة نحو الخلافة العظمى فيما بعد، ولذا انصب عداء الإخوان فى مرحلتهم الأولى على الشيوعيين المصريين، وعلى الاحتلال البريطانى فى الداخل، ولم يطوروا موقفا فكريا معاديا لأمريكا، كما حدث فيما بعد، فى كتابات سيد قطب الذى انشغل بالمواجهة الفكرية على النطاق العالمى، وفى إطار فهمه وتحليله لحركة التاريخ، كما سبق القول.

جاء النفوذ الأمريكى قويا وسريعا فى الشرق الأوسط قلب العالم الإسلامى فى أعقاب الحرب العالمية الثانية، ولكنه جاء مع قيام إسرائيل التى رأينا أنها حلم النخبة الأمريكية البروتستانتية منذ البداية، ولذا وقع الإسلام السياسى فى معضلة التوفيق بين التحالف مع الصديق الأمريكى ضد الشيوعية الملحدة وضد القومية الزنديقة، والعمل ضد العدو الأمريكى الصليبى حليف الصهيونية، وراعيها، وحاميها.

www.ibtesama.com/vb

كيف يمكن تسوية هذه المعضلة ؟

اخترع الإسلام السياسى الحل الذى سبقت الإشارة إليه، فلتكن الشيوعية هى الصهيونية، أو لتكن الصهيونية هى الشيوعية.

فالصهيونية هى التى ابتكرت الشيوعية لهدم الأديان والأوطان لحساب اليهود أصحاب "بروتوكولات حكماء صهيون "للسيطرة على العالم، رغم ثبوت زيف انتساب هذه البروتوكولات لليهود، وثبوت أن الذى وضعها هو البوليس السياسى القيصرى فى روسيا.

لكنه حل يريح ضمائر الإخوان المسلمين والملوك العرب والمسلمين الذين يحتضنونهم، ويقدمونهم للولايات المتحدة كحليف فى الحرب ضد الشيوعية.. حماية للإسلام. لأنهم عندما يحاربون الشيوعية، فإنهم يقنعون أنفسهم بأنهم يحاربون الصهيونية فى حقيقة الأمر، وفى نهاية الشوط.

لقد كتب هنرى كيسنجر وزير الخارجية الأشهر كثيرا فى مذكراته يعجب من محاولات الملك فيصل ملك السعودية رحمه الله إقناعه بهذه النظرية، ولم يكن كيسنجر نفسه الذى كان الأكثر والأمهر عداء للشيوعية بين الساسة الأمريكيين سوى صهيونى، وكذلك كان الكثيرون من زملائه، وأغلبية الرأى العام فى بلاده، ولكن لا الملك فيصل اقتنع، ولا الإخوان المسلمون اقتنعوا بالفصل بين الشيوعية والصهيونية.

الآن انهارت الشيوعية، وبقيت الصهيونية، ولا يزال ولاء الولايات المتحدة لها كما هو.. فكيف سيرد الإسلام السياسى على هذه الخدعة الكبرى - التى انخرط فيها باختياره الحر، وإرادته الكاملة، وكان آخر ما تجرعه من كؤوسها المرة فى أفغانستان.

اتخذ الرد ثلاثة أشكال :

www.ibtesama.com/vb

١- الأول تزعمه بن لادن القادم من السعودية المؤمنة بتطابق الشيوعية والصهيونية، وسائر التنظيمات الجهادية وهو اكتشاف أن أمريكا هى العدو، وهى رأس الكفر، وقائد الصليبية، ولا بد من الجهاد ضدها فى كل مكان، دون تمييز ما بين مدنى وعسكرى، طبقا لفهم بن لادن وأتباعه للآية فى سورة التوبة التى تقول " وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة " وجاءت الذروة يوم ١١ سبتمبر ٢٠٠١.

٢- قصر الجهاد على فلسطين كما فهمت حماس والجهاد الفلسطينى وحزب الله اللبنانى.

٣- التفاهم على التعاون البناء مع الغرب وقيمه الديمقراطية مع هدنة طويلة الأجل حول إسرائيل.

نظرية الترابى :

كان الاختيار الثالث هو اختيار الإخوان المسلمين، وهذا ما وضع الأساس النظرى له الدكتور حسن الترابى زعيم الإخوان المسلمين فى السودان، وأكبر العقول المفكرة فى حركة الإخوان منذ الراحلين سيد قطب، وأبو الأعلى المودودى.. وهذا هو الدستور الذى يحكم موقف حماس الفلسطينية، وحزب الحرية والعدالة المصرى المنبثق عن الجماعة. وهذا هو الذى يدخل فى صلب موضوع كتابنا.

كان الترابى يجلس إلى مائدة مستديرة يوم ١٠ مايو ١٩٩٢ مع خبراء ومفكرين ودبلوماسيين، وسياسيين أمريكيين فى واشنطن، وقدم الرجل رؤية الإخوان المسلمين لقضايا الديمقراطية، والدولة الوطنية، والعلاقة مع الغرب، والموقف من إسرائيل، فقال فى هذه المسألة الأخيرة : إن التساؤلات حول

www.ibtesama.com/vb

الموقف الإسلامى من القضية الفلسطينية لا يمكن تناولها إلا فى عموميات، فالإسلاميون يشعرون بارتباط عميق مع الفلسطينيين، ولكن ليس أمامهم الكثير ليفعلوه على المدى القصير، أما عندما تصبح كل الحركات الإسلامية موحدة فى دولة إسلامية، فإن الميزان سوف يتغير، وعلى أية حال فإن السياق الشامل للقضية الفلسطينية يتغير، ليصبح أكثر إسلامية داخليا وخارجيا، ومدينة القدس تخص جميع المسلمين، وهم مستاءون لأن العرب يستبعدونهم من هذه القضية.

"وفيما يتعلق بالحل الممكن، فإنه يتعين على الإسلاميين أن لا يعلنوا موقفا محددا، ولذا يستطيعون الاستمساك بمبدأ أن طرد الفلسطينيين من أرضهم عمل غير مشروع، وإذا كانت الدول العربية الآن قد أصبحت أضعف، وأكثر انقساما، فهى إذن مستعدة لالتقاط أى شئ يلقى به إليها، لكن ما مضى من التاريخ لا يكفى لجعل تشريد الفلسطينيين أمرا مشروعا، ولقد قالت السودان -كدولة إسلامية- لا لمؤتمر مدريد، ولكنها ظلت صامته فيما بعد، ورغم ذلك فإن كل الأشياء ممكنة شرط أن لا تتم التسوية على أساس الأمر الواقع المتمثل فى التشريد القهرى، ولنتذكر أن الحقوق الجماعية أعطيت لليهود فى المدينة المنورة التى هى نموذج الدولة الإسلامية التى أدارها النبى محمد صلى الله عليه وسلم بنفسه، فلقد أعطى القبائل اليهودية الثلاث التى عاشت فى المدينة استقلالها الذاتى وحقوقها الثقافية، وحقوقها كجماعة، وكذلك منحها الاختصاص القضائى فى بعض شئونها، ومع ذلك فإنك إذ أجبرت الناس على شئ فإنهم سوف يقاتلون من أجل أقل امتياز (يحرمون منه).. وهذه هى المسألة".

انتهى الاقتباس من حديث المائدة المستديرة للترابى، الذى نشر فى مجلة ميدل إيست بوليسى العدد الأول لسنة ١٩٩٢، والذى يشكل كما

www.ibtesama.com/vb

قلنا الأساس النظرى لإستراتيجية الإخوان المسلمين نحو القضية الفلسطينية، ومن ثم موقفهم من الولايات المتحدة وإسرائيل.

وسوف نرى توا أن ما قاله الترابى هو ما قاله تقريبا كل من موسى أبو مرزوق نائب رئيس المكتب السياسى لحركة حماس، والمرحوم إسماعيل أبو شنب عضوها القيادى فى غزة، وهو ما تطبقه حماس، وما تطبقه جماعة الإخوان المسلمين فى مصر قبل وصولها إلى الحكم، وبعد وصولها إليه.

فى عام ١٩٩٨ تحدث المرحوم إسماعيل أبو شنب أحد مؤسسى حماس (اغتالته إسرائيل فيما بعد) إلى المجلة نفسها... أى بعد ٦ سنوات من مائدة الترابى المستديرة، وقال إننا فى حماس نتحدث عن شيئين : الأول حقوقنا بصفة عامة، والثانى هو الاحتلال، فلا جدال فى أن الأرض التى تقوم عليها إسرائيل حاليا هى أرضنا، وقد أخذت منا بالقوة، وأجبرنا على الخروج منها، ولا أحد من الفلسطينيين يقول غير ذلك، ولكن نظرا للموقف الراهن، وبالنظر إلى ما نحتاجه، فإن الشيخ أحمد ياسين (مؤسس حماس انبثاقا من الفرع الفلسطينى للإخوان المسلمين) يقول، وكذلك يقول كل من فى حماس أنه إذا انسحب الإسرائيليون من أرضنا المحتلة فى عام ١٩٦٧، فإننا سنوافق على وقف لإطلاق النار، حتى يتوقف القتال، ونحن لا نوافق على حل الدولتين باعتباره حلا نهائيا، لأنه يعنى إقامة فلسطين على جزء من أرضها، وليس على كامل أرض فلسطين التاريخية، التى هى أرض إسلامية وليس من حق أحد التنازل عنها فى أية صيغه لحل وسط، ولكننا حين نقبل قيام دولة على جزء من هذه الأرض (حاليا)، فإننا نترك بقية الأمر للأجيال القادمة.

إنهم إذن الترابى، وأبو شنب، والشيخ ياسين، ثم محمد مرسى رئيسا إخوانيا لمصر.. يتحدثون عن دولة فلسطينية فى الضفة وغزة، ولكن دون

www.ibtesama.com/vb

اعتراف "إسلامى " بإسرائيل فى انتظار المستقبل، أى انتظاراً لقيام الدولة الإسلامية العظمى، تحت قيادة الخلافة، أو عندما تصبح كل الحركات الإسلامية موحدة فى دولة كبرى، بلغة الترابى نفسه.

ولكن إذا كان مثل هذا الموقف يكفى الأمريكيين والإسرائيليين من حماس، فإنه لا يكفيهم من مصر، لأن هناك فى مصر، وفى بقية العالم الإسلامى أجنحة أخرى للإسلام السياسى لا تزال تعتبر التفاهم مع الولايات المتحدة حول بقاء إسرائيل خيانة لصحيح الإسلام، ومن هؤلاء تيار قوى داخل جماعة الإخوان المسلمين نفسها، ومن هذا التيار الرئيس مرسى الذى سبق أن تحدث عن أبناء القردة والخنازير، بل والمرشد العام الدكتور محمد بديع الذى تحدث عن وجوب حل دولة إسرائيل لتقوم دولة فلسطين مكانها، ويصبح من يريد البقاء فيها من اليهود مواطنا فلسطينيا، وكذلك إبراهيم منير، ورشاد البيومى، وسوف نقرأ ما قالاه فى فصل تال، وهكذا يعودون مرة أخرى إلى التفرقة بين ما هو عملى، وما هو "عقدى" فى موقف الإسلام السياسى من الولايات المتحدة الأمريكية وريثة الاستعمار، وراعية المشروع الصهيونى، وكأنهم ضمنوا التحكم بنسبة مئة فى المئة فى ديناميكيات العلاقة مع الغرب، وأن الآخرين فى إسرائيل وأوروبا والولايات المتحدة ليسوا واعين لهذه الخطة، وسيتركونهم يقيموا دولة الخلافة، لتمحو إسرائيل، وتفرض أستاذيتها على العالم.

إن أفضل من يعبر عن هذا الموقف "العقدى" للإسلام السياسى من أمريكا هو باحث وناشط إسلامى فى الوقت نفسه، لكنه غير منتم للإخوان تحديدا (ومن ثم لا يتحرج من الحديث الصريح الذى لا يميل إليه الإخوانيون كثيرا)... هذا الرجل هو الدكتور كمال حبيب أحد

www.ibtesama.com/vb

مؤسسى تنظيم الجهاد المصرى.. يقول كمال حبيب فى كتاب له بعنوان : تحولات الحركة الإسلامية، والإستراتيجية الأمريكية...

"للحق فإن التيار الإسلامى انتبه منذ البداية لأهمية معركة الحضارة، والتى يقع الدين فى قلبها، أما العلمانيون الذين قادوا معارك الاستقلال فى العالم الإسلامى وكانوا متأثرين بالنموذج الغربى الحضارى فقد اعتبروا قضايا الدين والثقافة قضايا هامشية، يهتم بها دراويش التيار الإسلامى، ومع تراجع النظرية السياسية الغربية التى تأسست على جعل الدين قوة غيبية لا صلة لها بالواقع، أو الحياة، وإعادة الاعتبار للدين بوصفه قوة محركة للشعوب بدأ النظر للدين والحركات الإسلامية بوصفها جزءا من علم السياسة والاجتماع، لكننا نتحدث اليوم عن اعتبار الدين والثقافة والحضارة هى صلب السياسة والعلاقات الدولية.

الجديد فى الموضوع أن الصراع الثقافى والحضارى الذى يقع الدين فى قلبه كان يقوم به دوائر ثقافية مثل الكنائس والجامعات، أو الإدارات الثقافية فى وزارات الخارجية، وحتى أجهزة المخابرات، أما اليوم فإن الذى يقود المعركة هو قلب الإدارة الحاكمة فى أمريكا..... وهى تتقدم بخطى واسعة وناجزة وبيدها القوة والقرار.

(ويفهم من كلام حبيب أنه يقصد جميع الإدارات الأمريكية، وليش إدارة بوش الابن وحدها، كما سيتضح تواً).

تسعى أمريكا فى إستراتيجيتها الجديدة نحو العالم الإسلامى إلى تحقيق مجموعة من الأهداف الخطيرة منها:

١ - القضاء على الإسلام السنى الذى يلتزم المنهج السلفى الصحيح، والتأسيس لإسلام أمريكى مستنير، لا يعترف بعقيدة الولاء والبراء،

www.ibtesama.com/vb

ولا يعترف بقتال الكفار، أو جهاد الأعداء، ولا يلتزم بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، ولا يقول بأن المسلمين أمة واحدة يسعى بذمتهم أدناهم، وهم يد على من سواهم.

(وهذا ما قبل الإخوان ببعضه صراحة مثل الالتزام بالاتفاقات الدولية، والديمقراطية الانتخابية، بل والعلمانية المعتدلة، كما سنرى فى فصل لاحق، وما سكتوا عن بعضه الآخر عمداً، مثل الولاء والبراء، وما اتخذوا فيه موقفاً ملتبساً، كرفض العنف والإرهاب، ليتركوا الأمريكيين يفهمون أن الإخوان يرفضون الجهاد، دون أن يقولوها مباشرة).

٢ - هدم النظام الاجتماعى الإسلامى، عن طريق عولمة المرأة، وتعزيز انطلاقها، وإباحيتها، وهدم قوامة الرجل.
٣ - البحث عن ما يطلق عليه الأمريكيون القواسم المشتركة بين الإسلام والنصرانية، وتدعيم الجانب الصوفى والروحى الذى يجعل من الإسلام الجديد طاقة سلبية ".

انتهى الاقتباس من كتاب الدكتور كمال حبيب، ولكن نظرة سريعة فى أدبيات الإخوان قبل "الارتباط البناء" مع الولايات المتحدة سوف تكشف أنه لا يقول إلا ما كان يقوله مفكرو الإخوان الأول، وما يقوله الإخوان اليوم داخل الغرف المغلقة، أما الارتباط البناء فهو سياسة عمليه صرفة، سينفضون أيديهم منها، بعد التمكين لهم فى جميع الدول الإسلامية طبقا لنظرية الترابى المشار إليها منذ عدة فقرات، وهكذا يعودون إلى التراث الخالد لجماعتهم، فقد حاولوا استخدام الملك فاروق، ولكنه هو الذى

www.ibtesama.com/vb

استخدمهم ضد الوفد، وحاولوا استخدام جمال عبد الناصر، فاستخدمهم ضد الأحزاب، وحاولوا استخدام أمريكا ضد جمال عبد الناصر، فاستخدمتهم ضد القومية، وضد الشيوعية ثم تخلت عنهم، وحاولت غزو أراضيهم فى الصومال والعراق وأفغانستان لإقامة إمبراطوريتها، وطورت نظرية أن الإسلام هو العدو، حتى إذا أخفق كل ذلك عادت إلى احتوائهم بالنصح والمشورة الودية والارتباط البناء مع المعتدلين منهم، سعياً وراء تهميش وإضعاف المتطرفين !!، وحاولوا أيضا استخدام جعفر النميرى فى السودان، فاستخدمهم ضد الجميع.

ويبقى ما يقال للأتباع شئ، وما يمارس فى دوائر صنع السياسة قد يكون مختلفا فى كثير من الحالات، ولننتقل إلى الباب الثالث الذى يثبت كم هو مختلف حقا ما يقال فى العلن عما يقال وراء الأبواب والنوافذ المغلقة بأقوى الأرتاج.

www.ibtesama.com/vb

عصير الكتب
www.ibtesama.com/vb
منتدى مجلة الإبتسامة

www.ibtesama.com/vb

الباب الثالث
الارتباط البناء

فى هذا الباب سوف يرى القارئ كيف التقى المتوازيان : الأمريكى الصهيونى من ناحية، والأمريكى الإسلامى من ناحية أخرى ليكونا معا تيارا جديدا فى السياسة الخارجية الأمريكية، ورافدا جديدا - كذلك - فى حياة الشرق الأوسط عموما، وفى مصر على وجه الخصوص، وليشق هذا الرافد مجرى سيأخذ فى الاتساع لحقبة مختلفة تماما فى العلاقات بين واشنطن، وبين الإسلام السياسى ممثلا بالدرجة الأولى فى جماعة الإخوان المسلمين " المصرية "، وفروعها فى الولايات المتحدة، وفى أوروبا لاسيما ألمانيا وبريطانيا وفرنسا، وفى بعض الدول العربية والإسلامية الأخرى، أهمها سوريا، وقطر، والكويت، وباكستان، وماليزيا.

الإستراتيجية الأمريكية الجديدة نحو الإسلام السياسى أطلق عليها - كما ذكرنا قبلا - اسم الارتباط البناء مع الإخوان المسلمين. وقد تطور هذا " الارتباط البناء " من الحوار، إلى التعاون الأمنى، إلى التفاهم، ثم - وهذا هو الأهم لأنه بيت القصيد فى هذا الكتاب تطور كل ذلك إلى الانفتاح "

www.ibtesama.com/vb

الإخـوانى " عـلى اليهـود الأمـريكيين أولا، ثـم إلى الاقـتراب غـير المبـاشر مـن الصهيونية، فإسرائيل، وأخيرا إلى القبول بكل المطالب الأمريكية مـن الإسـلام السياسى حول إسرائيل والمشروع الصهيونى.

ينقسم هذا الباب إلى خمسة فصول : الأول يركز على استئناف الحـوار، ثم تجديد التفاهم الأمريكى الإخوانى : وقائعـه، ومضـمونه، وأبطالـه، والثـانى يتنـاول : الحـوار ثـم التفـاهم بـين اليهـود الأمـريكيين ملحقـا بهـم بعـض الإسرائيليين، وبين الإخوان المسلمين فى المهجر الأمـريكى والأوروبى، ويتحـدث الفصل الثالث عن ما جرى بين الإخوان وواشنطن بعـد نشـوب ثـورة ينـاير المصرية عـام ٢٠١١، حتـى وصـول أول رئـيس إخـوانى إلى المنصـب الأول فى مصر. أما الفصل الرابع فيـدور داخـل مثلـث العلاقـات المصريـة الأمريكيـة الإسرائيليـة، بعـد اعـتلاء الإخـوان قمـة السـلطة فى مصر، وينظـر الفصـل الخامس فى الدور القطرى الاستثنائى فى هذه الصفقة الكبرى.

www.ibtesama.com/vb

الفصل الأول
تجديد النذور

انكسر صليب جورج بوش الإبن فى أفغانستان، وفى العراق، وانكسرت معه المحاولة رقم (٢) لإقامة الإمبراطورية الأمريكية فى حقبة ما بعد الحرب الباردة.

وكان الاقتصاد الأمريكى قد بدأ يدخل مرحلة الركود، وكانت مقدمات الأزمة المالية العاتية توشك على الظهور. بسبب الإنفاق الضخم فى حربى أفغانستان والعراق، وتكلفة الحرب ضد الإرهاب " الإسلامى " داخل وخارج أمريكا، وهى حرب لم يكن يلوح فيها نصر نهائى برغم المكاسب الهائلة التى تحققت فيها، وخشى مخططو السياسة الأمريكية أن مثل هذا النصر- إن تحقق - فقد يكون خادعا، مادامت النار كامنة تحت الرماد، والنار هى ما يسمى فى الأدبيات السياسية الأمريكية المعتدلة بأحزان المسلمين من السياسة الأمريكية خاصة فى فلسطين، وما يسمى فى الأدبيات السياسية الأمريكية اليمينية "المتشددة " كراهية المسلمين لقيم العصر، وللحضارة الحديثة.

www.ibtesama.com/vb

وانتهت إلى لاشئ كذلك مشروعات الشرق الأوسط الموسع، والشرق الأوسط الكبير التى بشر بهما على التوالى دونالد رامسفيلد وزير دفاع بوش، وكوندوليزا رايس مستشارته للأمن القومى، ووزيرة خارجيته بعد ذلك، ثم تحطم مشروع الشرق الأوسط الجديد الذى توقعت رايس قيامه بغزو إسرائيل للبنان عام ٢٠٠٦ بهزيمة هذا الغزو على يدى المقاومة الإسلامية لحزب الله.

إذن لا مفر من تجربة بديل الحرب، والتحول من الصراع الصليبى ضد الإسلام والمسلمين، إلى البحث عن شركاء من المسلمين، يقبلون قيم العصر، ويمكن إدماجهم فى النظام العالمى سياسيا وثقافيا واقتصاديا، وحبذا إذا كان هؤلاء الشركاء من المنتمين للإسلام السياسى ذاته.... فهو الدواء، مثلما هو الداء فى هذه الحالة، سيما وأن الشركاء الحاليين من الحكومات العربية أصبحت جزءا من المشكلة وليست جزءا من الحل، وأن تجربة حزب العدالة والتنمية، وحكومة رجب طيب أردوغان المنبثقة عنه فى تركيا تبدو واعدة لشعبها، وللإقليم، ولأوروبا، وللعالم أجمع... **فى هذه اللحظة اتخذ القرار الإستراتيجى الأمريكى..**

فى ذات الوقت كانت الحركة الإسلامية العالمية، والمصرية فى قلبها قد وصلت إلى طريق مسدود، فالجهاديون تلقوا ضربات قاصمة فى أفغانستان، وأمكن احتواء محاولتهم اصطياد الوحش الأمريكى فى العراق، وخسر الإسلام نفسه كدين، وكثقافة الكثير بسبب التصاق تهم الإرهاب والعنف والتخلف به، لدى قطاعات عريضة من الرأى العام، ليس فى أمريكا وأوروبا فقط، ولكن أيضا فى آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية، وأصبح كل مسلم مشتبها فيه لمجرد أنه مسلم.

www.ibtesama.com/vb

وداخليا كان "الإسلاميون" قد خسروا محاولة تغيير حكومات بلادهم بالقوة، فأصابت معركة حماة 1982 الإخوان المسلمين السوريين بضربة قاصمة، أقنعتهم بالعزوف نهائيا عن استخدام العنف.

وفى مصر خسر الجهاديون، ومن حذا حذوهم من فصائل الإسلام السياسي الأخرى فى انتهاج العنف معركتهم ضد النظام، والتى كانت قد بدأت منذ منتصف السبعينيات، بما يسمى حادث الكلية الفنية العسكرية، وعملية اختطاف وقتل الشيخ محمد حسين الذهبى، ثم اغتيال الرئيس أنور السادات، وسلسلة الاغتيالات ومحاولاته، والتفجيرات، والعدوان على السياح الأجانب، ودخلت مصر الألفية الجديدة، وقد قضت تقريبا على كل التنظيمات الإرهابية.

وفى الجزائر، نجح نظام جبهة التحرير الوطنى محققة الاستقلال فى إصلاح نفسه بعض الشئ، وأمكنه بعد انقلاب عسكرى أطاح بالمسار الانتخابى حصر نشاط جبهة الإنقاذ، بعد أنهار من الدماء، ودفع الجهاديين إلى جيوب معزولة فى الجنوب.

وفيما حاول الإخوان فى مصر بنجاح النأى بأنفسهم عن جماعات العنف، فإن النظام لم يرفع عنهم الحظر القانونى، واتبع معهم إستراتيجية الاحتواء المزدوج، حيث كان يسمح لهم أحيانا بالنشاط والمشاركة السياسية العلنية "كأفراد " انتماؤهم معروف ومعلن، ويوجه إليهم الضربات أحيانا، ليدور الطرفان، ومعهما مصر فى هذه الحلقة المفرغة.

وكما أثبتت ثورة ٢٥ يناير، فقد عجز نظام الرئيس السابق حسنى مبارك عن تجديد شرعية نظام ٢٣ يوليو ١٩٥٢، كما طوره الرئيس السادات بتعدديته الحزبية المقيدة، وبانفتاحه الاقتصادى، رغم بعض التحفظات على تطبيقاته، وأضاف مشروع توريث الحكم للابن جمال

www.ibtesama.com/vb

مبارك وقودا إلى النيران الكامنة تحت التراب، وكان تبلد هذا النظام أمام مطالب وضغوط الولايات المتحدة من أجل الإصلاح فرصة أمام الإخوان، أولا لإثبات جدارتهم بثقة الشعب، كما ظهر فى الانتخابات البرلمانية لعام ٢٠٠٥، ولاجتذاب الرهان الأمريكى عليهم كبديل مدنى محتمل لهذا النظام المتداعى، كمنزل آيل للسقوط.

وفى جبهة أخرى على الجانب الآخر من الأطلنطى، كان المسلمون الأمريكيون، قد انتبهوا إلى وطأة كل هذه المعضلات عليهم، وأصبح عليهم أن يختاروا ما بين أن يكونوا مواطنين أمريكيين صالحين، وما بين أن يكونوا طابورا خامسا للنسخة العنيفة المتخلفة من الإسلام السياسى، وعندما لا يكون مطلوبا منهم أن يتخلوا عن عقائدهم، ولا شعائرهم لكى يكونوا أمريكيين صالحين، فماذا ينتظرون إذن ؟

على كل تلك الجبهات، ووفقا للمعطيات السابق شرحها، أصبح جميع الأطراف مهيئين لحفلة تجديد النذور، وهذه الحفلة هى - لمن لا يعلمون - تقليد أمريكى لإعادة تبادل عهود الوفاء والحب بين الأزواج، من أجل تجديد مشاعر الارتباط داخل الأسرة، وليس بين الزوجين فقط، وقد كان هناك بالفعل تعاون طويل وحار بين الولايات المتحدة، وبين الإسلام السياسى ممثلا فى جماعة الإخوان، والملكيات العربية، ومسلمى باكستان عموما ضد الشيوعية وحركة القومية العربية فى حقبة الحرب الباردة..... فلم لا يعاد وصل ما انقطع لمصلحة الجميع ؟

القـــرار :

فى يوم ٢٨ يونيو ٢٠٠٧ اعتمدت وزيرة الخارجية الأمريكية كوندوليزا رايس سياسة جديدة، ترخص لدبلوماسييها الاتصال الرسمى

www.ibtesama.com/vb

بـالإخوان المسـلمين فى مصر والعـراق وسـوريا، وبقيـة الـدول العربيـة، واشترطت تعليمات رايس لسفرائها، ومساعديها أن تكـون البدايـة هـى الاتصال بممثلى الجماعة المنتخبين فى البرلمانـات، والنقابـات المهنيـة، ثـم تمتد الاتصالات لتشمل الزعماء الآخرين للجماعة.

جاءت هذه الخطوة بعد نشر مقال مهم لأستاذ العلوم السياسـية (الباحث فى مركز نيكسون للدراسات السياسية) روبرت ليكـين فى مجلـة فورين أفيرز، وكان ليكين المقرب من فروع الإخوان فى الولايات المتحـدة - كما سنتبين فيما بعد - يدعو فى هـذا المقـال إلى التمييـزيين المعتـدلين والمتطـرفين فى الحركـة الإسـلامية عالميـا - وإقليميـا فى الشرق الأوسـط - وداخليا فى الولايات المتحدة.

كان ليكن يساعده باحث شاب قد أمضى أسبوعا كـاملا فى لنـدن فى أواخر عام ٢٠٠٦ مع الدكتور كمال الهلباوى، ممثـل جماعـة الإخـوان فى أوروبا، وشهد محاضراته، وخطبه الدينية، وندواتـه، وفى نهايـة الأسـبوع، طلب ليكن مـن الهلبـاوى - كـما حـكى لى الرجـل - تقديمـه إلى قيـادات الاعتدال فى الجماعة بالقاهرة، وهو ما حدث فعلا، ليعـود باحـث مركـز نيكسون، ويكتب ذلك المقـال، ولا يشـك الأسـتاذ الهلبـاوى فى أن لـيكن كان فى مهمة استطلاعية منسقة مع الحكومة الأمريكية.

كما أن قرار رايس جاء بعد النتـائج المـبشرة للنـدوة السـنوية لمركـز الدراسات العربية المعاصرة بجامعة جـورج تـاون الأمريكيـة بواشـنطن، وقد نظـم النـدوة وأدارهـا الـدكتور جـون سـبوزيتو الأسـتاذ بالجامعـة، والمستشـار السـابق فى إدارة التخطـيط السـياسى بـوزارة الخارجيـة الأمريكيـة، والناشـط فى مجـال الاتصـال بـالإخوان المسـلمين مـن خـلال المعهد الدولى للفكر الإسلامى بواشنطن.

www.ibtesama.com/vb

حضر هـذه النـدوة ممـثلا لجماعـة الإخـوان المسـلمين المصريـة وفـد برئاسة الدكتور سـعد الكتـاتنى الأسـتاذ بجامعـة المنيـا، ورئـيس أول برلمـان مصرى بعد ثورة ٢٥ يناير، ثم رئـيس حـزب الحريـة والعدالـة المنبثـق عـن جماعة الإخوان خلفا للدكتور محمد مـرسى أول رئـيس إخـوانى للجمهوريـة المصرية، وكان لـب مـا أدلى بـه الـدكتور الكتـاتنى مـن مـداخلات فى نـدوة مارس ٢٠٠٧ بجامعة جورج تاون الأمريكية هو " أن تأييد الولايات المتحـدة لنظم الحكم غير المحبوبة فى البلدان العربية هو أحد أسـباب تزايـد شـعبية الإسلاميين "، وهذا هو الخبر السار، أما الخـبر المحـزن فهـو : " أن كثـيرا مـن النـاس فى بلادنـا سـوف يسـتمرون فى التحـول الراديكـالى (أى نحـو العنـف ورفض الآخر... وهذا كلامنا وليس كلام الكتـاتنى) بسـبب هـذه الحكومـات القمعيـة، وهـذا هـو الأمـر الأكـثر إضرارا بـالأمن الغـربى، بشـقيه الأمـريكى والأوروبى، ولكن الجماعات الإسلامية المعتدلة مثل الإخوان المسلمين سـوف تستمر فى النضال السلمى".

الائتلاف الكبير :

وفى ٢٤ يونيـو ٢٠٠٧ أى قبـل أربعـة أيـام فقـط مـن قـرار الـوزيرة كوندوليزا رايس بالترخيص للدبلوماسـيين الأمـريكيين بالاتصـال الرسـمى بجماعة الإخوان المسلمين، تأسـس الائـتلاف الإخـوانى الكبـير فى أمريكـا، وهو تجمع يضـم كـل فـروع الجماعـة فى أنحـاء الولايـات المتحـدة مـن بحثية، وخيرية، ودينية، وسياسية تحت مظلة واحدة أطلـق عليهـا اسـم "المسلمون الأمريكيون للارتباط البناء ".

وأطلق هذا التجمع الجديد مبادرة للتعاون مع الحكومة الأمريكيـة فى مكافحة الإرهاب الدولى، وقـد صـاغ مشروع هـذه المبـادرة كـل مـن

www.ibtesama.com/vb

المعهد الدولى للفكر الإسلامى، والمركز الدولى للدين والدبلوماسية (وهما كما سنعرف تَوا) منظمتان إخوانيتان، أما الهدف من هذه المبادرة فهو كما تنص هى نفسها : تعزيز الأمن القومى للولايات المتحدة، وتعزيز المصالح القومية الأمريكية.

تكوَّن هذا الائتلاف الكبير من الجمعية الإسلامية لأمريكا الشمالية(إسنا)، ومجلس العلاقات الإسلامية الأمريكية(كير)، وجمعية المسلم الأمريكى، والدائرة الإسلامية لشمال أمريكا(إكنا)، ومجلس الشئون الإسلامية العامة (مباك)، وقيل فى معرض التعليق على بيان التأسيس إن " قيام هذا الائتلاف الكبير يعكس الثقة المتنامية فى أن الانفتاح والتعامل الأمريكيين مع الإخوان المسلمين أصبحا وشيكين"... وهو ما ثبت صحته بعد أربعة أيام بالضبط حين اتخذت السيدة رايس قرارها المذكور أعلاه.

شهادة شخصية :

يذكر المؤلف أنه فى أثناء إقامته فى ألمانيا لمدة خمس سنوات، وفى بريطانيا لمدة سنة، وفى أثناء زياراته للولايات المتحدة، كانت الشكوى الدائمة من المسئولين، والمثقفين فى هذه البلدان هى أنهم عندما يريدون الحوار والتعاون مع المسلمين الذين يحملون صفة المواطنة لا يجدون جهة موحدة تمثلهم أو تمثل أغلبيتهم، فى حين أن عندما يريدون مخاطبة أتباع الأديان الأخرى يجدون جهة تمثلهم مثل الكنيسة بالنسبة لأتباع كل مذهب، والمعبد بالنسبة لليهود المتدينين، أو التنظيمات العلمانية المنتخبة لليهود المشتغلين بالسياسة، وحين كنت أرد بأن المسلمين يرون - عن حق - أن من مزايا عقيدتهم عدم وجود وسيط بين المؤمن وبين الله، كانوا يردون بأن هذا يشكل عقبة أمامهم، لأن

www.ibtesama.com/vb

معناه أن ما سوف تلتزم به جماعة لا يلزم الجماعات الأخرى، وكان ردى أن هذا يحدث أيضا مع الكنائس فى القضايا المختلف عليها مذهبيا، وأن الحاجة سوف تضطر المسلمين إلى تنظيم أنفسهم سياسيا واجتماعيا، دون الحاجة إلى قيادة كهنوتية، أو روحية.

وطبقا لهذه الملاحظة الموضوعية، فمن المؤكد أن وحيا أو طلبا أمريكيا رسميا، هو الذى أسرع بقيام الائتلاف الإخوانى الكبير فى الولايات المتحدة ليشكل قيادة سياسية لغالبية مسلمى أمريكا، وليكون جسرا للتواصل مع الإخوان المسلمين فى الدول الأم، وبينها، أو وفى مقدمتها مصر بطبيعة الحال.

كانت مبادرة الائتلاف الإخوانى للتعاون مع الحكومة الأمريكية لمكافحة الإرهاب، وتعزيز الأمن والمصالح القومية الأمريكية، وقرار الوزيرة كوندوليزا رايس بالاتصال رسميا بجماعة الإخوان إيذانا بانطلاق سلسلة موسعة ورفيعة المستوى من الفعاليات لرسم خطوط التفاهم المتجدد بين الولايات المتحدة والجماعة، أو لتجديد النذور بين الطرفين كما ذكرنا.

ففى الشهر التالى، أى فى يوليو ٢٠٠٧ نظمت مجلة نيوزويك وصحيفة واشنطن تايمز منتدى لمن أسمتهم بالمعتدلين الإسلاميين، ودام الملتقى أسبوعا كاملا، وحضره من هؤلاء المعتدلين، رجل الدين الشيعى اللبنانى الشيخ محمد حسين فضل الله، والزعيم الإخوانى الأمريكى من أصل باكستانى مزمل صديقى، والسفير الألمانى الأسبق فى المغرب " المسلم " مراد هوفمان، وهو مقرب جدا من جماعة الإخوان، والدكتور طه جابر العلوانى من المفكرين المصريين المقربين من الجماعة، والشيخ راشد الغنوشى مؤسس وزعيم حركة النهضة التونسية (وهى فرع

www.ibtesama.com/vb

لجماعة الإخوان)، والدكتور طارق رمضان الأستاذ بالجامعات السويسرية، والبريطانية، وحفيد الشيخ حسن البنا (مؤسس الجماعة) ونجل الدكتور سعيد رمضان أحد كبار مؤسسى التنظيم الدولى للإخوان، ونشرت وقائع المنتدى، ومقالات لجميع هؤلاء المشاركين لمدة ٧ أيام متتالية فى المجلة والصحيفة، وكان جوهر المنشور هو أن الجهاد (أى العنف) فى الإسلام لا يشرع إلا لأغراض دفاعية هى مقاومة عدوان خارجى، أو طغيان داخلى.

مقال مارك لينش :

وسرعان ما جاء وقت البروفسور مارك لينش، وهو بدوره كان مسئولاً سابقاً عن التحليل فى وزارة الخارجية الأمريكية، الذى أحدث مقال له فى مجلة فورين بوليسى فى شهر أغسطس التالى نقلة نوعية فى فكر جماعة الإخوان، ويبدو أنه كان بداية العد التنازلى لإقصاء الأستاذ مهدى عاكف من موقع المرشد العام، كما سنرى.

كان هذا المقال بعنوان مذكرة إلى المرشد العام.. كيف تتحدث إلى أمريكا ؟ وجعلت المجلة والكاتب العنوان الفرعى للمقال عبارة : "إخوة فى السلاح " ثم قدمت المجلة والكاتب للمقال بالنص على أن الولايات المتحدة وجماعة الإخوان المسلمين لديهما مشتركات أكثر مما يعتقدان، وإذا أرادت الجماعة أن تتغلب على الشكوك الأمريكية فإن أعمالها يجب أن تتوافق مع كلماتها، ثم يمضى لينش فيقول مخاطبا المرشد العام إنك وعدت فى عام ٢٠٠٤ عندما أصبحت مرشدا عاما بأن تضع الحرية على رأس جدول أعمالك، وإن دعوتك إلى الشفافية وإلى

www.ibtesama.com/vb

المسئولية الحكومية تمثل فتحا جديدا فى الحياة السياسية المصرية، لكن استمرار غموضكم حول قضايا أساسية يجعل مؤيديكم فى شك من نياتكم، أما القضايا التى لا يزال موقفكم غامضا منها فهى عدم الرفض الحاسم لهجمات حماس على إسرائيل، واستمرار موقفكم المتقلب من العلاقة مع المتطرفين الإسلاميين.

أضاف لينش موجها الحديث إلى عاكف : إنكم شكوتم مؤخرا من أن الولايات المتحدة لا تعرف سوى لغة العنف والدماء والدمار، وإنها لا تعرض الحوار كأحد البدائل، **ولكنكم اليوم تملكون فرصة تاريخية للدخول فى مثل هذا الحوار مع أمريكا، لأن الأمريكيين يعترفون الآن أنهم خسروا حرب الأفكار فى العالم العربى، وأن التطرف الإسلامى مستمر فى الصعود، وأن الترويج للديمقراطية فى الشرق الأوسط قد ذهب مع الريح، وقال لينش للمرشد فى ذلك المقال إن نقاشا كبيرا يدور فى واشنطن حول جماعة الإخوان المسلمين، وأن البعض يرى فيهم قوة معتدلة، وشريكا محتملا فى النضال من أجل الديمقراطية، وفى الكفاح ضد التطرف الإسلامى.**

ثم وجه نصيحة شخصية إلى عاكف بأن يخفف من اندفاعاته اللفظية، خاصة فى حديثه عن خطط الهيمنة الأمريكية على المنطقة، لأن هذه الاندفاعات، وإن كانت ترضى أعضاء الجماعة، فإنها تمحو أثر البيانات التصالحية لنوابه، وتجعل من الصعب على الأمريكيين المهتمين بإقامة علاقة جديدة مع الإخوان المسلمين الدفاع عن قضيتهم.

فور نشر المقال تلقى الدكتور لينش دعوة من جماعة الإخوان لزيارة القاهرة، وعقد المرشد، وأعضاء مكتب الإرشاد حوارات مطولة معه، واستمرت الزيارة ٤ أيام التقى خلالها - كما كتب فيما بعد - ٢٥ من

www.ibtesama.com/vb

قيادات الجماعة، وباحثين من خارجها منهم الأستاذ ضياء رشوان بمركز الأهرام للدراسات السياسية والإستراتيجية، والأستاذ خليل العنانى.

كما كتب لينش يقول : إن المرشد العام الأستاذ عاكف قال له فى نهاية الزيارة إنه يشكره على هذه النصيحة الجيدة المبذولة له فى مقاله، وأضاف لينش إن هذه هى الجملة الوحيدة التى نطقها عاكف باللغة الإنجليزية.

من الواضح الآن أن طبيعة عاكف الشخصية، أى اندفاعاته اللفظية وراء سجيته، لم تكن لتسمح له بالالتزام بنصيحة لينش طويلا، ولذلك كان لابد أن يترك موقعه حتى لا يضيع الأثر الطيب لبيانات نوابه التصالحية نحو الولايات المتحدة، وحتى لا يصعب على الأمريكيين الحريصين على علاقة جديدة مع الإخوان الدفاع عن قضيتهم، لاسيما وأن الرجل كان يتورط كثيرا فى امتداح عمليات حماس، وفى الثناء على أسامة بن لادن، وهو ما كان يعيد العلاقة بين الإخوان وبين واشنطن إلى المربع رقم واحد، فكان من الضرورى أن يأتى رجل قادر على ضبط حماسه، وعلى النجاة من الأفخاخ الشعبوية ضد الولايات المتحدة وإسرائيل، حتى تنجح الإستراتيجية الجديدة، فجاء الدكتور محمد بديع.

وكان الأقرب للتوقع هو الدكتور محمد حبيب، الذى قام بعمل المرشد بعد استقالة عاكف، لأنه منضبط الانفعالات مثل بديع، إلا أنه أكثر عصرية نسبياً، وأكثر ارتباطاً بإخوان المهجر، وبشباب الجماعة فى الداخل، ولكن يبدو أن رؤيته المطالبة بالتأنى فى طلب السلطة أضاعت فرصه، فضلاً عن أن نفوذ رجل الجماعة القوى - خيرت الشاطر - عمل لصالح بديع ضد حبيب، ليخرج الأخير من الجماعة نهائياً.

www.ibtesama.com/vb

أليس إقصاء مرشد عام، لأول مرة فى تاريخ الجماعة (و لو تحت مسمى الاستقالة) حرصا على الارتباط البناء بالولايات المتحدة هو تحول وتنازل تاريخيين فى مسيرة الإخوان، بكل ما فى الكلمة من معان، وظلال، وتبعات ؟!

أليس الجود بالمرشد غاية الجود ؟!

وهل كان الدكتور محمد حبيب، والدكتور عبد المنعم أبو الفتوح الذى لم ينفصل عن الجماعة إلا بعد ثورة يناير بعيدين عن هذه الأجواء ؟

إن حبيب يجلس على بئر من الأسرار، (طبقاً لحديث الأستاذ ثروت الخرباوى للمؤلف)، أما أبو الفتوح فكان على الأغلب مُبعداً عن هذه الأجواء منذ عام ٢٠٠١، بشهادة الخرباوى أيضاً، فكان لا يشهد إلا الاجتماعات الروتينية لمكتب الإرشاد، وتُعقد اجتماعات أخرى سرية لبحث هذا النوع من القضايا، والبت فيها فى غيبته.

على أيه حال نتمنى أن يقدم حبيب وأبو الفتوح شهادتيهما للتاريخ، فذلك حق الدين والوطن، وبقية أعضاء الجماعة عليهما.

***

ومن الواضح كذلك أن اتصال عاكف بى فى ذلك الضحى الخريفى من عام ٢٠٠٧ - كما ذكرنا فى المقدمة - كان تعبيرا عما يحيك فى صدره من توتر بين نصيحة لينش وضغوط المتقاربين مع واشنطن من قيادات الإخوان، وبين سجيته، ورؤيته الإخوانية الكلاسيكية للولايات المتحدة وإسرائيل، بعد انهيار الشيوعية.

www.ibtesama.com/vb

تذكرنى قصة لينش وعاكف بقصة مماثلة بطلها الكاتب الصحفى الأمريكى توماس فريدمان، حين كتب خطابا مفتوحا إلى الملك عبد الله بن عبد العزيز ملك السعودية فى صحيفة نيويورك تايمز فى عام ٢٠٠٢ يقترح عليه فيه قيادة مبادرة للاعتراف والتطبيع الكاملين مع إسرائيل من جانب جميع الدول العربية والإسلامية، وعددها يربو على خمسين دولة، مقابل الانسحاب الإسرائيلى الكامل من الضفة وغزة والجولان السورية، وإقامة الدولة الفلسطينية، فاستقبله العاهل السعودى، وقال له - كما كتب فريد مان - :"كأنك تقرأ أفكارى"، وكانت مبادرة بيروت العربية عام ٢٠٠٣ هى النتيجة، وتضمنت مقترحات توماس فريدمان، مضافا إليها إيجاد حل تفاوضى لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين.

حوالى هذا الوقت حل موعد الدورة السادسة لمنتدى العالم الإسلامى، واستضافته واشنطن، ليشارك فيه مسئولون حكوميون أمريكيون، حاليون، وسابقون، وليبحث الجوانب السياسية والاقتصادية للخلافات بين أمريكا والمسلمين، إلى جانب قضايا أكاديمية، وإعلامية، وقضايا تتعلق بالمجتمع المدنى هنا وهناك.

وهذا المنتدى أسسته أطراف ثلاثة هى معهد بروكينجز للدراسات السياسية والإستراتيجية بواشنطن، ومركز سابان لدراسات الشرق الأوسط (الذى يشكل وحدة خاصة فى إطار معهد بروكينجز) ومركز الدراسات التابع للحكومة القطرية...

(مؤسس مركز سابان هو المليونير اليهودى المصرى الأصل المهاجر من بورسعيد (حاييم صبان) الذى هاجر إلى الولايات المتحدة فى أواخر خمسينيات القرن الماضى، وعمل فى البداية فى مؤسسة سينمائية لإنتاج أفلام الرسوم المتحركة، ثم ابتكر شخصيات سلاحف النينجا ترتلز التى

www.ibtesama.com/vb

اشتهرت لدى الأطفال فى كل مكان فى العالم، ودرت عليه أرباحا طائلة استخدم بعضها فى تأسيس هذا المركز للعمل من أجل السلام بين العرب والإسرائيليين، عن طريق الجمع المنتظم بين مثقفين وخبراء عرب ومسلمين وبين نظرائهم من اليهود والإسرائيليين).

وكان من المسئولين الأمريكيين البارزين (حاليا وسابقا) الذين شاركوا فى أعمال هذا الملتقى كل من مادلين أولبرايت وزيرة الخارجية الأمريكية فى إدارة كلينتون الثانية (وهى التى سوف ترأس الطاقم الأمريكى فى الحوار مع الإخوان بعد تولى أوباما الحكم)، وكيث اليسون عضو مجلس النواب الأمريكى المسلم عن ولاية مينيسوتا، ويريان بيارد عضو مجلس النواب عن ولاية أيوا، كما شارك فى أعماله من وصفوا بأنهم أعضاء بارزون فى القيادة الوسطى (العسكرية) الأمريكية، وبينهم الجنرال ديفيد بيتريوس، القائد الأعلى لهذه القيادة، والذى سيتولى فى إدارة أوباما الأولى منصب مدير وكالة المخابرات المركزية، قبل أن تضطره فضيحة نسائية للتقاعد.

أما المسلمون الذين شاركوا فى أعمال هذه الدورة فهم السادة أنور إبراهيم، زعيم المعارضة الإسلامية فى ماليزيا، وطارق رمضان (حفيد الشيخ حسن البنا)، وجمال بارزينجى من المعهد الدولى للفكر الإسلامى، وأحمد يونس من مجلس الشئون الإسلامية العامة، ووليام وين ويب من الجمعية الإسلامية لشمال أمريكا، وداليا مجاهد (المعروفة بعلاقاتها الوثيقة بالإخوان، والتى ستعمل كمستشارة فى وزارة الخارجية الأمريكية فى إدارة أوباما) وأنس على من الفرع البريطانى للمعهد الدولى للفكر الإسلامى، وأمينة رسول من فرع جماعة الإخوان المسلمين بالفيليبين.

www.ibtesama.com/vb

وفى جملة واحدة بالغة الدلالة والدقة وصفت مجلة تايم نتائج هذه الدورة السادسة لمنتدى العالم الإسلامى بأنها " خلت من البلاغة المعتادة من المسلمين ضد أمريكا ".

فى ذلك الصيف الحافل، بدأ أيضا، وفى يوم ٢٥ يوليو تحديدا أول حوار بين ممثلين لمجلس الأمن القومى الأمريكى ووزارة الخارجية الأمريكية، وبين ممثلين لجماعة الإخوان المسلمين السورية لبحث مستقبل سوريا، ونشر تقرير مطول عن هذا الحوار فى صحيفة وول ستريت جورنال.

جوائز مستحقة :

بعد ذلك توالت الاجتماعات على نطاقات أضيق، وعلى مستويات أكثر رسمية وخبرة عملية، وكانت كل الاجتماعات العلنية للمنظمات الإسلامية، تدعو مسئولين أمريكيين خاصة من الخارجية، ومكتب التحقيقات الفيدرالى، وكانوا يلبون الدعوات بكل سرور، وتجرى بالطبع محادثات مهمة على هامشها.

وبدأ المسلمون الأمريكيون المنخرطون فى الارتباط البناء مع الحكومة الفيدرالية يحصدون الثمار، ومعهم بالطبع جماعة الإخوان الأم فى مصر، وكانت أولى تلك الثمار تعليمات حكومية أمريكية : من الخارجية، ومن وزارة الأمن الداخلى ومن المركز القومى لمكافحة الإرهاب، بوقف استخدام التعبيرات التالية فى المكاتبات الرسمية، وفى البيانات العلنية [المتطرفين الإسلاميين، الجهاديين، المجاهدين، الفاشية الإسلامية، الإرهاب الإسلامى] ولم يقتنع المسئولون الأمريكيون بإطلاق وصف مرتكبى جريمة " الحرابة " على من كانوا يوصفون سابقا بتلك الأوصاف التى أوقف استخدامها، وهو

www.ibtesama.com/vb

ما كان يطلبه المفاوضون المسلمون، واتفق على الاكتفاء بإطلاق صفة "المجرمين " على كل مرتكب لعمل عنيف وإرهابي حتى إذا كان مسلما، دون إرداف وصف " المجرم "بكلمة الإسلامى، وإذا اقتضت الضرورة يقال وهو مسلم من أصل كذا، أو هو مسلم أمريكى من ولاية كيت.

وكان من الضرورى إقناع صقر الصقور فى الكونجرس الأمريكى المؤيد لحرب بوش الإبن الصليبية، أى السناتور الجمهورى جون ماكين بهذه التحولات وجدواها... وكان " منير فريد" أحد قيادات الجمعية الإسلامية لشمال أمريكا قد أجرى أول اتصال "للإخوان " بالسناتور ماكين، واقتنع الرجل فى النهاية، وأصبح فيما بعد المدافع الرئيسى فى الكونجرس عن الارتباط البناء مع الإخوان المسلمين ضد الحملات على كل من داليا مجاهد، وهوما عابدين، وهى مستشارة مسلمة لوزير الخارجية، وأمثالهما فى الإدارة الأمريكية، ثم كان هو نفسه فيما بعد مبعوثا لأوباما مرتين إلى القاهرة بعد ثورة ٢٥ يناير، كانت إحداها لإطلاق سراح المحبوسين الأمريكيين على ذمة قضية التمويل الأجنبى الشهيرة، وذلك فى بدايات صيف عام ٢٠١٢.

كان ما تبقى من عام ٢٠٠٧، وعام ٢٠٠٨ بأكمله مخصصا كما يبدو إلى مد مظلة الارتباط البناء لتحتوى تحت رحابها الشريك الثالث، أى اليهود الأمريكيين، يليهم الإسرائيليون، وهو ما سنتناوله فى فصل مستقل.

الجيش الأمريكى على الخط :

ويبدأ عام ٢٠٠٩ بنشر دراسة أحدثت دويا لا لشئ إلا لأنها صادرة عن كلية الحرب التابعة للجيش الأمريكى، وكانت الدراسة بتوقيع الدكتورة شريفة زهور أستاذة الدراسات الإقليمية بمعهد الدراسات

www.ibtesama.com/vb

الإستراتيجية التابع لكلية الحرب، وخلاصة هذه الدراسة أن الإخوان المسلمون معتدلون، بما فى ذلك كل فروعها، حتى إن حركة حماس الفلسطينية نفسها يجب تصنيفها بوصفها حركة معتدلة.

والإخوان معتدلون لأنهم يرفضون العنف، ويؤمنون بالدعوة والتعليم للترويج لقضيتهم، أما حماس فهى معتدلة، لأنها وإن استخدمت العنف ضد الإسرائيليين (وكان أغلب ذلك فى الماضى) ليست معنية بالجهاد العالمى مثل تنظيم القاعدة.

ونصحت الدكتورة زهور بضرورة الشروع فى اتصالات مع حماس، مع استمرار الاتصال مع بقية فروع الإخوان بالطبع، كما أوصت الحكومة الأمريكية " بأن تدرس، وتهتم بوجهات نظر التيار الرئيسى من المسلمين الأتقياء، الذين يعتبرون الدين محور حياتهم، وليس فقط وجهات نظر أولئك الذين يرفضون الإسلام باعتباره البؤرة الأولى فى اهتماماتهم الحياتية "

بذلك حان الوقت للانتقال بالارتباط خطوة أخرى كبيرة، أى حان الوقت للدخول إلى الكونجرس من باب رسمى واسع.

وفى الشهر التالى مباشرة كان السناتور جون كيرى رئيس لجنة العلاقات الخارجية لمجلس الشيوخ (وزير الخارجية الأمريكية فى إدارة أوباما الثانية) ينظم سلسلة من جلسات الاستماع حول العلاقات الأمريكية الإخوانية، ودعى إليها الشخصيات الأمريكية التى تقود برنامج الارتباط البناء مع الإخوان، وهم مادلين أولبرايت وزيرة الخارجية السابقة، والأدميرال ويليام فالون وداليا مجاهد مديرة الدراسات الإسلامية فى معهد جالوب، وإيبوباتل مدير برنامج " شباب من كل الأديان "، وزينيو باران الزميل الكبير فى معهد هدسون، وتغيب

www.ibtesama.com/vb

عن المشاركة كل من ريتشارد آرميتاج نائب أولبرايت فى وزارة الخارجية، ودنيس روس مبعوث البيت الأبيض فى الشرق الأوسط أيام كلينتون، وهو من أصل يهودى كما نعلم.

أما آرميتاج فيحكى صديقنا حافظ أبو سعده المحامى والناشط الحقوقى أنه التقى به فى أحدى حفلات السفارة الأمريكية بالقاهرة فى هذه الفترة، وكان الدكتور سعد الكتاتنى يحضر هذا الحفل، وسرعان ما انسحب الاثنان إلى غرفة جانبية، حيث عقدا اجتماعا استمر ساعة كاملة، وقد نشرت صحيفة المصرى اليوم هذا الخبر فى حينه، بعد أن توثقت من الأستاذ أبو سعده من صحة المعلومة.

توصيات الكونجرس :

وقد خلصت جلسات الاستماع فى مجلس الشيوخ الأمريكى إلى التوصيات التالية :

إعادة تسمية الجماعات الإسلامية - مثل الإخوان - بالناشطين الإسلاميين، بدلا من المتطرفين، أو الأصوليين.

- تصنيف جماعة الإخوان كجماعة تنبذ العنف.
- وقف استخدام تعبير الجهاديين، لأنه يربط الإسلام بالعنف.
- إشراك المسلمين الأمريكيين فى الحوار كجسر للتواصل مع العالم الإسلامى.

أما الذى أعلن هذه التوصيات للرأى العام الأمريكى فكان السيدة أولبرايت نفسها.

هذه التوصية الأخيرة هى فى صلب موضوع كتابنا هذا... فكما ذكرنا فى المقدمة فقد كان " المسلمون الأمريكيون " هم حقا حلقة الوصل،

www.ibtesama.com/vb

ومنشط التفاعل الذى أرسى عهود الارتباط البناء على أسس راسخة، وسوف نكتشف فى فصل تال - كما سبق القول أيضا - أن هؤلاء المسلمين الأمريكيين كانوا جسر الاتصال أيضا بين الإخوان المسلمين فى مصر، وبين اليهود الأمريكيين، ملتحقا بهم فيما بعد الصهيونيون والإسرائيليون.

عند هذه النقطة فمن المفروغ منه أن دور المسلمين الأمريكيين بهذا المضمون، سوف يتعزز إذا انضم إليهم المسلمون الأوربيون أيضا، ولذا فقد نشطت اتصالات موازية بين الحكومات الأوروبية الرئيسية، وبين القيادات الإسلامية فى دول هذه الحكومات، وعلى الأخص بريطانيا، وألمانيا وفرنسا، وشارك فى هذه الاتصالات مسئولون كبار بارزون، كان واضحا أنهم مفوضون من حكوماتهم، لأن التقاليد الديمقراطية تحتم على الرؤساء السابقين، ورؤساء الوزراء المتقاعدين، وكذلك على الوزراء السابقين الإبلاغ عن الاتصالات من هذا النوع، والحصول، على تقدير موقف حكومى مقدما، ثم الإبلاغ عن النتائج لاحقا.

وكالعادة لعبت بريطانيا الدور التالى للولايات المتحدة فى هذه الإستراتيجية القائمة على الارتباط البناء، فأسس توني بلير رئيس الوزراء الأسبق فى عام ٢٠٠٧ مؤسسة (الإيمان أوFAITH) وهو العام نفسه الذى أقرت فيه رايس إستراتيجية الاتصال الرسمى بالإخوان، وضمت فى مجلس مؤسسيها إسماعيل الشطى مرشد الإخوان فى الكويت، ومصطفى سيريتش من قيادات الإخوان فى البوسنة والهرسك، وعضو مجلس الإفتاء الأوروبى الذى يرأسه - مرجعياً - الشيخ يوسف القرضاوى، لكن الأكثر أهمية من ذلك أنها تضم رجال الدين اليهود إلى جانب رجال الدين المسيحيين، وأبرز أعضائها من اليهود الحاخام ديفيد روزين الذى يحمل الجنسية الإسرائيلية مع الجنسية الأيرلندية، كما أنه

www.ibtesama.com/vb

عضو فى اللجنة اليهودية الأمريكية، وتهدف مؤسسة بلير وفقا لميثاق تأسيسها إلى توسيع مجالات التفاهم بين الأديان، لكن الصبغة السياسية ظاهرة، فالمسلمون فيها من الإخوان، أو قريبون منهم، واليهود يمثلهم حاخام "إسرائيلى"، وهو فى الوقت نفسه ناشط سياسى على المستوى العالمى وكأنه لا توجد مؤسسات أو شخصيات دينية ليست ذات صبغة سياسية بعينها تستطيع توسيع مجالات التفاهم بين الأديان، لكن الهدف سياسى بالدرجة الأولى، وليس ثقافياً.

وبالطبع كان لألمانيا نصيبها من المحاورين، وهى التى شهدت تأسيس التنظيم الدولى إنطلاقا من المركز الإسلامى فى ميونيخ، ولعب دور حلقة الوصل بين الألمان وجماعة الإخوان والتنظيم الدولى كل من الطبيب عصام الحداد العضو السابق بمجلس إدارة غرفة التجارة المصرية الألمانية، بوصفه رئيسا لمجلس إدارة شركة متخصصة فى تنظيم المعارض، وهى صناعة مزدهرة فى ألمانيا، وصديقه الطبيب إبراهيم الزيات، نجل أحد القيادات التاريخية للجماعة والتنظيم الدولى.

(أصبح الحداد مساعدا لرئيس الجمهورية للسياسة الخارجية بعد تولى الرئيس محمد مرسى منصب الرئاسة).

وفى هذا العام ٢٠٠٩، الذى بدأ بتولى الرئيس باراك أوباما منصب الرئاسة فى العشرين من الشهر الأول فيه أى فى شهر يناير، كان من قراراته الأولى تعيين السيدة داليا مجاهد مستشارة خاصة، وعضوا فى المجلس الاستشارى للرئيس حول الأديان، ومجاهد التى تحدثنا عنها من قبل هى تلميذة الدكتور جون سبوزيتو الأستاذ بجامعة جورج تاون وأحد أبرز الناشطين فى الارتباط البناء، وقد مر بنا طرف من جهوده - وكانت تعمل فى الوقت ذاته مديرة للشئون الإسلامية فى معهد جالوب لاستقصاءات الرأى العام.

www.ibtesama.com/vb

ولم يمر سوى أقل من شهرين على تولى إدارة أوباما الحكم، حتى قبلت وزيرة الخارجية الأمريكية الجديدة السيدة هيلارى كلينتون الدعوة لإلقاء الخطاب الرئيسى فى مؤتمر مركز دراسات الإسلام والديمقراطية، وهو إحدى وحدات المعهد الدولى للفكر الإسلامى، ويديره إخوانى تونسى هو الدكتور رضوان المصمودى. وتأسس هذا المركز كمبادرة مشتركة بين المعهد الدولى للفكر الإسلامى، وجامعة جورج تاون، بفضل جهود الدكتور سبوزيتو نفسه.

مكتب التحقيقات الفيدرالى :

وتستمر جهود الارتباط البناء بين الوكالات الحكومية، والمنظمات الإسلامية، فيصدر فى ٢٥ يونيو ٢٠٠٩ قرار من مكتب التحقيقات الفيدرالى باعتماد الجمعية الإسلامية لشمال أمريكا حلقة اتصال رسمية بين المكتب، وبين المواطنين الأمريكيين المسلمين، وفى يوم ٢٧ تصدر ثلاث منظمات إسلامية (إخوانية) قائمة من ٦٥ اسما هم الذين يقبل بهم المسلمون كخبراء مؤهلين للحديث عن الدين الإسلامى، وشئون المسلمين، وتوصى هذه المنظمات الحكومة، والصحف، ومحطات التليفزيون، ومراكز الأبحاث بالرجوع إلى أى من هذه الشخصيات الخمس والستين عند الحاجة لأى استفسار يتعلق بالإسلام، والمسلمين.

أما الشخصيات فكلها من الإخوان المسلمين أو المقربين منهم، وفى الصفوف الأولى من هؤلاء هشام الطالب من المعهد الدولى للفكر الإسلامى، وروبرت كرين أستاذ العلوم السياسية الذى اعتنق الإسلام، وتولى منصب مدير النشر فى المعهد نفسه، والدكتور جون سبوزيتو بالطبع، والسيد جمال بارزينجى، وقد مر بنا ذكره من قبل، والأستاذ محمد نمر، والأستاذ سيد سعيد، والدكتور جون فول من زملاء سبوزيتو فى جامعة

www.ibtesama.com/vb

جورج تاون، أما المنظمات التى أصدرت هذه القائمة بالشخصيات المذكورة وغيرها فهى المعهد الدولى للفكر الإسلامى نفسه، ومعهد منارة الحرية، وجمعية العلماء الاجتماعيين الإسلاميين لأمريكا الشمالية.

فى الشهر التالى استضافت العاصمة البلجيكية بروكسل (التى هى أيضا عاصمة الإتحاد الأوروبى) مؤتمرا مثلث الأطراف : أمريكا وأوروبا والإخوان المسلمون، وبمناسبة هذا المؤتمر تحدثت السيدة فرح باندیت ممثلة وزارة الخارجية الأمريكية لدى الجالية المسلمة إلى موقع "جلوبال مسلم برذارهود ديلى ريبورت "معلنة أدق وأفصح محتوى لإستراتيجية الارتباط البناء مع الإخوان المسلمين بالألفاظ التالية :

"إن الحكومة الأمريكية سوف تستمر فى التركيز على العمل على بناء شبكة الإخوان على جانبى الأطلنطى، لاتخاذ موقف موحد من الاغتراب والتطرف، ولتعبئة المعتدلين الإسلاميين فى تيار رئيسى يهمش المتشددين الميالين للعنف، وقد طلبت السيدة هيلارى كلينتون وزيرة الخارجية من " المتحدثة" تعميم ما فعلته فى أوروبا (بناء شبكة إخوانية) على مستوى العالم"، وأضافت : "أنها نجحت فى أوروبا لأن المسلمين فى أمريكا ساندوها، ولأن مثل هذا العمل لا يمكن أن تنجح فيه وحدك".

برمنجهام وكمبردج :

واستطرادا للنجاح على الجانب الشرقى (الأوروبى) من الأطلنطى أصدرت جامعة برمنجهام فى شهر نوفمبر ٢٠٠٩، تقريرا حول التفاعل والمشاركة بين الشرطة والمسلمين لمكافحة الإرهاب، وبعد ثلاثة أشهر أى

www.ibtesama.com/vb

فى مارس ٢٠١٠ أصدرت جامعة كمبردج البريطانية (أيضا) نتائج دراسة استغرقت ٩ أشهر وجرت فى مركز الدراسات الإسلامية بالجامعة حول " دمج الإسلام فى السياق البريطانى ".

فى التقرير ألأول قال فريق البحث الذى أشرفت عليه الدكتورة سلوى العوا (حرم الدكتور محمد سليم العوا نائب رئيس الإتحاد العالمى لعلماء المسلمين، والمرشح الرئاسى المصرى بعد ثورة يناير) :

"إن الدين يمكن أن يلعب دورا إيجابيا فى مكافحة الإرهاب، وأن أفضل حل فى مواجهة القاعدة هو تقديم بديل للناس " المتدينين " لتغيير أفكارهم، وأوصى التقرير" بأن المعرفة اللازمة لبلوغ هذا الهدف يمكن أن تقدمها مجموعات معتدلة أبرزها الإخوان المسلمون".

وكان من نتائج هذه الدراسة تمكين "الإخوان " فى بريطانيا من السيطرة على مسجد فينسبرى، بقى القول أن تمويل هذا البحث جاء من المجالس البريطانية للأبحاث العامة، وعقدت ندوة موسعة لمناقشة نتائجه وتوصياته، بحضور برلمانيين، وقيادات الشرطة، وخبراء من مراكز الأبحاث، وممثلين للجاليات الدينية المختلفة.

أما من قدم تمويل دراسة جامعة كمبردج فكان مجلس العموم نفسه مع مساهمات من جامعتى إكستر، وويستمينيستر، وعقد مؤتمر فى شهر مارس ٢٠١٠ لمناقشته فى مبنى البرلمان البريطانى، وشارك فى إعداده ممثلا لجماعة الإخوان المسلمين الدكتور أنس الشيخ رئيس المعهد الدولى للفكر الإسلامى، والدكتورة عالية أبو سليمان ابنة السيد / عبد الحميد أبو سليمان أحد مؤسسى التنظيم الدولى للجماعة (وهو أردنى) والدكتور عمر توتونجى.

www.ibtesama.com/vb

"وخلاصة هذا التقرير أن الإسلام لا يتصادم مع العلمانية المعتدلة، ويتوافق مع الديمقراطية، وحقوق الإنسان، والمواطنة، وقد وصف المعهد الدولى للفكر الإسلامى هذه الدراسة بأنها " أفضل تعبير عن إيديولوجية الإخوان المسلمين".

استطرادا نتساءل : ترى هل أقر مكتب الإرشاد هذا التطور فى فكر إخوان المهجر، وتبنى التوافق، أو عدم التعارض مع العلمانية المعتدلة ؟ وهل أبلغ المكتب هذه الرؤية لأعضاء الجماعة، وللحلفاء السلفيين والجهاديين ؟ وإذا كان تقرير كمبردج هو أفضل تعبير عن إيديولوجية الإخوان المسلمين، فلماذا يستمر شبابهم المتحمس فى وصف الليبراليين، والعلمانيين، معتدلين، ومتشددين بالكفر والإلحاد ؟!

الخطاب المزدوج مرة أخرى .. بالخارج شئ، ولأعضاء الجماعة فى الداخل، خاصة شباب الجماعة الريفى شئ آخر.

تقوية أمريكا :

قبل ثورة يناير المصرية وطوال ٢٠١٠ بدأت النتائج " الإيجابية "للارتباط البناء فى التدفق من الجانبين الإسلامى الأمريكى، والحكومى الأمريكى، ففى أواخر ديسمبر ٢٠٠٩ أقر مجلس الشئون العامة الإسلامى الأمريكى مشروعا بعنوان تقوية أمريكا، وأصدر تقريرا مفصلا حول المشروع يؤكد أن هدفه هو :

"تأسيس مشروع فعال لمكافحة الإرهاب بالتعاون بين المسلمين الأمريكيين وبين سلطات تطبيق القانون الأمريكى، ويطالب المجلس فى مشروعه جميع المنظمات الإخوانية على الأرض الأمريكية بتقديم بديل للراديكالية الإسلامية، ويضرب مجلس الشئون العامة الإسلامى الأمريكى -

www.ibtesama.com/vb

فخورا بنفسه - مثالا بالتعاون البناء مع السلطات فى مكافحة الإرهاب بكشف واعتقال خلية من خمسة إرهابيين خطرين فى باكستان (فى الشهر نفسه) بناء على معلومات قدمتها الجالية المسلمة الأمريكية لسلطات البلاد، ويضيف المجلس " أن هذه الحالة تثبت أن الجالية يمكن أن تكون مصدرا لمعلومات تحبط أعمالا إرهابية".

ولا يكتفى المجلس بهذا الدور السلبى، أى الإبلاغ عن الإرهابيين، ولكنه يرى أن الجالية يمكن أن تلعب دورا مهما فى مكافحة الراديكالية بأداء خدمات، وإطلاق مبادرات ثقافية واجتماعية تخلق بيئة معادية للإرهاب.

تطبيقا لهذا المشروع يشهد شهر فبراير ٢٠١٠ لقاء بين جون برينان مساعد الرئيس أوباما لشئون الأمن الداخلى (ومدير المخابرات المركزية فيما بعد) وزعماء الجمعية الإسلامية لشمال أمريكا (إسنا) لبدء حوار حول الأمن القومى، ومساعدات المسلمين الأمريكيين فى إحباط الأعمال الإرهابية الداخلية، وتحسين العلاقات المتدهورة مع الدول الإسلامية.

كانت الدعوة إلى عقد هذا اللقاء صادرة من البيت الأبيض، وشارك فى رعايته المركز الإسلامى بجامعة نيويورك، ورابطة باحثى القانون المسلمين بالجامعة، ومكتب البيت الأبيض للارتباط العام.

وفى المؤتمر السنوى التالى للمعهد الدولى للفكر الإسلامى، ارتفع عدد ومستوى المشاركين من الجانب الأمريكى الرسمى، بدءا من السناتور جون كيرى، وإميل نخلة مسئول البرنامج الإسلامى فى وكالة المخابرات المركزية ورشاد حسين المبعوث الأمريكى إلى منظمة التعاون الإسلامى (المؤتمر الإسلامى سابقا)، وفرح باندیت ممثلة الخارجية الأمريكية لدى الجالية المسلمة الأمريكية، ودانيال بروبيرج مدير الأبحاث فى معهد

www.ibtesama.com/vb

الولايات المتحدة للسلام، وفى الثامن من إبريل التالى نقلت وكالة أسوشيتدبرس أن البيت الأبيض بنفسه هو الذى أصدر هذه المرة توجيهات بحذف "الأوصاف الدينية " من الوثائق الحكومية حول الأمن القومى، فلا يقال بعد ذلك الإرهاب الإسلامى، أو الإرهابيين الإسلاميين، وإنما الإرهاب، والإرهابيون فقط.

ثم يردف البيت الأبيض هذه التعليمات باستحداث مكتب جديد باسم "إدارة الارتباط العالمى" وتسند رئاسته إلى باراديب راماميرثى، وهو عضو فى مجلس الأمن القومى، ويعمل معه أربعة مساعدين، يتقدمهم نائبه جينى أوريزار الذى تخصص فى عمله الدبلوماسى فى التعاون مع الإسلاميين، ليس فقط فى مكافحة الإرهاب، ولكنه تعاون معهم فى عدد كبير من الملفات من المشروعات الاقتصادية، إلى التغير المناخى، إلى برامج مكافحة شلل الأطفال، **وقد حددت المهمة الرئيسية والوحيدة لهذا المكتب فى "التفاهم" مع الإخوان المسلمين فى جميع بقاع الأرض.**

وهكذا يدخل عام ٢٠١١، وقد ترسخت أسس الارتباط البناء بين الحكومة الأمريكية، وبين الإخوان المسلمين داخل الولايات المتحدة، وفى أوروبا، ومنهما إلى مصر، وبقية أنحاء العالم، وقد أوفى الجانبان - كل من ناحية - بما التزم به فى طقس تجديد النذور.

فالإخوان ينبذون الإرهاب، ويقبلون الديمقراطية، وحقوق الإنسان، والعلمانية المعتدلة، ويتعاونون لإحباط الأعمال الإرهابية، والحكومة الأمريكية تصنف الإخوان جماعة معتدلة، وتخصص إدارات، ومبعوثين للتواصل معهم، وتحذف الأوصاف الدينية للأعمال الإرهابية ومرتكبيها.

ولكن ثورة يناير المصرية كانت على الأبواب، ويتبقى هناك ملف لم يتم البت فيه بعد بما يكفى لاكتمال التفاهم الأمريكى - الإخوانى...إنه

www.ibtesama.com/vb

اليهود.. والصهيونية، وإسرائيل، ورغم أن هناك تقدما قد حدث، فإنه كان يتعين الانتظار حتى تشتعل الثورة فى مصر، ليحسم هذا الملف كشرط مسبق لقبول أمريكا والعالم بحكومة إخوانية فى مصر، وهذا موضوع الفصل التالى.

www.ibtesama.com/vb

عصير الكتب
www.ibtesama.com/vb
منتدى مجلة الإبتسامة

www.ibtesama.com/vb

الفصل الثانى
وثالثهما إسرائيل

أنت مواطن أمريكى.. فأنت إذن قطعة صغيرة فى طبق السلاطة الكبير، لأنك فى الأصل مهاجر من بلاد أخرى مثل جميع الذين سبقوك إلى حمل لقب مواطن أمريكى منذ أن وطئت قدما أول مستوطن أوروبى أرض هذا العالم الجديد.

وهؤلاء جميعا حاولوا الانصهار معا فى بوتقة واحدة MELTING POT أسموها الولايات المتحدة، ولكنهم اكتشفوا أن الانصهار الكلى مستحيل، ومن ثم قبلوا بفكرة احتفاظ كل مجموعة بهويتها أو خصائصها الفرعية ثقافيا وتنظيميا، ولكن فى إطار الوعاء الواحد الذى اسمه الولايات المتحدة الأمريكية أو الديمقراطية الأمريكية، ولذا فقد حلت نظرية طبق السلاطة Salad pot - وهو هنا ذلك الوعاء الكبير السابق ذكره - محل نظرية بوتقة الانصهار.

و مثلما أن كل قطعة فى سلاطة الخضروات الطازجة تكمل الأخرى ليكون الطبق صحيا ومفيدا، فالمطلوب من كل مواطن أمريكى أن يكمل

www.ibtesama.com/vb

الآخر، لكى يكون الوعاء الأمريكى الأكبر صحيا لمعيشة جميع أفراده، ومفيدا لهم وللعالم... وعليه فلا محل للكراهية، أو الحملات المتبادلة، فضلا عن العدوان.

فماذا إذن عن المسلمين واليهود الذين يتبادلون الكراهية والعداء بسبب القضية الفلسطينية، أو لنقل بسبب استلاب الصهيونية أرضا إسلامية أقامت عليها دولة إسرائيل ؟ وهل يمكن إقامة ارتباط بناء مع الإخوان المسلمين : الأمريكيين منهم أولا، ثم بقيتهم فى جميع أنحاء العالم، دون أن تحل المشكلة الإسلامية اليهودية أولا على الأرض الأمريكية ؟

بالطبع هذا هو الوجه الأمريكى الداخلى للعملة، أما وجهها الخارجى فإن ملامحه الرئيسية تتجسد فى اتفاقية السلام المصرية الإسرائيلية، واتفاقية السلام الأردنية الإسرائيلية، وما سيتلوها من اتفاقيات، فضلا عن وقف العمليات الاستشهادية أو الإرهابية أو الانتحارية (وليسمها كل امرئ كما يفضل) ضد إسرائيل. ووقف حملات الكراهية ضد اليهود، كيهود، إن لم يكن القبول فى نهاية المطاف بالصهيونية ذاتها، وبالطبع وقف العمليات العسكرية ضد إسرائيل من قطاع غزة الواقع تحت سيطرة حركة حماس (الإخوانية)، ومن جنوب لبنان الواقع تحت نفوذ حزب الله الشيعى، ومحاصرة ما يسمى بالتهديد الإيرانى لإسرائيل.

إذن فلكى يكون الارتباط الأمريكى البناء مع الإخوان بناء، فلا يكفى نبذ العنف ضد أمريكا نفسها، وضد أوروبا فى الداخل والخارج، ولا يكفى اعتناق قيم الاعتدال والديمقراطية، ولكن لا بد أن يشمل ذلك الارتباط بالتوازى، (وربما أولا) إسرائيل واليهود، واليهودية، ولأن البدء بإسرائيل مستحيل، فلتكن البداية بالإخوة فى المواطنة الأمريكية... أى يهود أمريكا.

www.ibtesama.com/vb

توأمة المسجد والمعبد :

قرأنا فى الفصل السابق أن الارتباط البناء مع جماعة الإخوان المسلمين اعتمد كسياسة رسمية أمريكية فى يوليو ٢٠٠٧، ورأينا وقائعه تترى وتطرد بعد ذلك التاريخ، ولم ينتظر امتداده إلى العلاقة بين مسلمى أمريكا بقيادة فروع الإخوان أساسا وحصريا وبين اليهود الأمريكيين طويلا.

فى ١٩ ديسمبر من العام نفسه وقع أول اتفاق من نوعه فى التاريخ الأمريكى والتاريخ الإسلامى اليهودى الحديث للتعاون الثقافى بين الجمعية الإسلامية لشمال أمريكا، وبين إتحاد اليهود الإصلاحيين، وينص الاتفاق على التزامات متبادلة بين الطرفين الموقعين : فيلتزم المسلمون بمقاومة إنكار الهولوكوست النازية ضد اليهود بين صفوف المسلمين الأمريكيين، بينما يلتزم اليهود الإصلاحيون بمقاومة ظاهرة الإسلاموفوبيا أى الخوف المرضى من الإسلام بين يهود أمريكا، واتفق على عقد منتدى سنوى مشترك للجانبين الموقعين لدعم التفاهم، وتوسيع مجالاته.

وفى تعليق على هذا الاتفاق قال الحاخام إريك يوف رئيس إتحاد اليهود الإصلاحيين إنه اختار هذه الجمعية الإسلامية لتكون شريكته، لأن موقعها عند المسلمين الأمريكيين يماثل موقع إتحاده عند يهود أمريكا، **ولأنها تدين الإرهاب بقوة، وقد أدانت بالفعل أعمال حركة حماس، وأعمال حزب الله، وهى تعترف بإسرائيل كدولة يهودية، وتؤيد حل الدولتين بالنسبة للقضية الفلسطينية.**

أما انجريد ماتسون وهى أمريكية مسلمة تنتمى إلى الجمعية (وهى متزوجة من أحد زعماء الجمعية) فقالت إن جمعيتها تعهدت

www.ibtesama.com/vb

بمقاومة إنكار الهولوكوست في العالم الإسلامي كله، ولكنها أدانت ممارسات إسرائيل ضد الفلسطينيين بوصفها مماثلة للهولوكوست.

كان الحاخام يوف هو أول يهودي يتحدث أمام هذه الجمعية الإسلامية منذ تأسيسها قبل ٤٠ عاما، وفي هذه المناسبة تحدث أيضا هوارد دين رئيس اللجنة القومية للحزب الديمقراطي الأمريكي، وبول برينكلي مساعد نائب وزير الدفاع الأمريكي، وبريان فلورا ممثلا لوزارة الخارجية، ودانيال ساذرلاند مسئول الحقوق والحريات المدنية في الخارجية، وهشام إسلام المساعد الخاص لنائب وزير الدفاع للشئون الإسلامية، وممثلون لوزارات الصحة والنقل والعدل.

إن هذا الحضور الكثيف لمسئولين حكوميين أمريكيين، وسياسيين من وزن هوارد دين يؤكد الدور الرسمي الأمريكي في التوصل إلى ذلك الاتفاق التاريخي.

ويبدو أن الاتفاق حقق نجاحا سريعا، إذ قبل أن يكتمل عام على توقيعه، فإنه تطور يوم ٣٠ أكتوبر ٢٠٠٨ إلى اتفاقية توأمة بين مساجد الإخوان، ومعابد اليهود الإصلاحيين في الولايات المتحدة وكندا، وتضمن الاتفاق زيارات متبادلة في إطار برنامج زيارات عطلة نهاية الأسبوع، وإلقاء محاضرات مشتركة لمقاومة إنكار الهولوكوست، ومقاومة الإسلاموفوبيا طبقا لمنطوق الاتفاق الأول.

النجاح بالنجاح يغرى.... فاستضافت وزارة الخارجية لقاء ل ٢٨ من رجال دين مسلمين ويهود من ١٠ دول أوروبية، وذلك يوم ١٨ أغسطس ٢٠٠٩، في إطار برنامجها المسمى Interfaith، وتواضعت الوزارة فقالت إنها تريد أن تتعلم كيفية تشجيع التفاعل بين المسلمين واليهود على

www.ibtesama.com/vb

الأرض الأمريكية، وبالطبع شارك فى اللقاء زعماء من إخوان أمريكا على رأسهم ممثلون للجمعية الإسلامية لشمال أمريكا والإمام محمد شمس على رئيس المركز الثقافى الإسلامى فى نيويورك (أكبر مساجد المدينة) ومزمل صديقى رئيس مجلس الفقه الإسلامى فى شمال أمريكا (وابن مظهر الدين صديقى رفيق سعيد رمضان فى لقاء آيزنهاور الذى أسلفنا ذكره)، ومن زعماء اليهود الأمريكيين شارك الحاخام جاك مولان رئيس جماعة آجوداس آخييم، ثم قام الجميع - إثباتا لحسن النيات والالتزام باتفاق ديسمبر عام ٢٠٠٧ - بزيارة متحف الهولوكوست.

وأسرعت العجلة فى دورانها : فى أكتوبر ٢٠٠٩ وقع زعماء اليهود، وقادة من فروع الإخوان فى الولايات المتحدة رسالة مفتوحة للسياسيين والكتاب المسلمين فى العالم الإسلامى، وداخل الولايات المتحدة وأوروبا، يطالبون فيها بأن لا يستخدموا فى خطاباتهم العامة التشبيهات، والتعبيرات المجازية، التى تصم " إسرائيل " بالنازية، وإتباع أساليب الهولوكوست "ضد الفلسطينيين"، ووردت العبارة التالية مثالا على ما لا يجب استخدامه (هذا النظام النازى الذى ارتكب واحدة من أكثر المذابح الجماعية ترويعا فى التاريخ " فى إشارة إلى مذابح صابرا وشاتيلا فى بيروت عام ١٩٨٢.

و كان من بين الموقعين من المسلمين مهدى البرعى، وسيد سعيد من الجمعية الإسلامية لشمال أمريكا، والحاخام دافيد سابير شتاين مدير مركز العمل الدينى للإصلاح اليهودى، والحاخام جاك مولان رئيس معبد آجوداس آخاييم، والحاخام ديفيد جليفاند رئيس معبد إسرائيل فى نيويورك.

www.ibtesama.com/vb

الإخوان فى داخاو و أوشفيتز :

لكن المشهد الأكثر إثارة فوق كل ما سبق، كان رحلة نظمتها وزارة الخارجية الأمريكية إلى معسكرات الاعتقال النازية لليهود فى داخاو بألمانيا وأوشفيتز فى بولندا، وشارك فى الرحلة ثمانية من زعماء الإخوان المسلمين فى الولايات المتحدة، وكان يقود الوفد الزائر السيدة حنا روزنتال مبعوثة الرئيس الأمريكى باراك أوباما لمكافحة العداء للسامية، والسيد رشاد حسين (باكستانى الأصل) مبعوث الرئيس الأمريكى إلى منظمة التعاون الإسلامى (المؤتمر الإسلامى سابقا). والسيدة نسرين بادات مسئولة الحريات الدينية فى وزارة الخارجية الأمريكية.

وشارك فى الوفد مارشال بيرجر المسئول سابقا فى إدارة ريجان للاتصال باليهود، وسهيل خان مسئول الاتصال بالمسلمين فى إدارة بوش الأب.

ومن المسلمين انضم إلى الوفد عبد الله العنتبلى إمام وخطيب مسجد جامعة ديوك، وسيد النجفى مدير مركز الحوار بين الأديان بواشنطن، والشيخ ياسر القاضى عميد المعهد المغربى فى نيوهافن، والسيدة ليلى محمد ابنة إمام وخطيب مسجد شيكاغو، وصهيب الديب من أعضاء مجلس إدارة الجمعية الإسلامية لشمال أمريكا، والسيدة سانتا كلارا من مسلمى كاليفورنيا، وسيد سعيد المدير القومى لمكتب الحوار بين الأديان وخدمات الجالية بالجمعية الإسلامية لشمال أمريكا، والإمام محمد ماجد من الجمعية الإسلامية لعموم منطقة دالاس فى ولاية فيرجينيا، ومزمل صديقى إمام وخطيب منطقة أورانج فى كاليفورنيا، ورئيس المجلس الفقهى لشمال أمريكا.

وكان على رأس المشاركين من يهود أمريكا فى الرحلة الحاخام جاك بيمبوراد من ولاية نيوجيرسى، وشارك فى تمويل هذه الرحلة مركز

www.ibtesama.com/vb

التفاهم بين الأديان برئاسة الحاخام بيمبوراد نفسه، ومؤسسة كونراد أديناور الألمانية التابعة للحزب الديمقراطى المسيحى.

وفى نهاية الرحلة وقع جميع المشاركين على بيان مشترك يدين العداء للسامية، ويرفض إنكار الهولوكوست، والاضطهاد الدينى...

وعقبت السيدة روزنتال على نتائج الزيارة قائلة : "إن أحدا لا يزور هذه الأماكن، ويعود منها كما كان قبل زيارتها، ولقد شاهدت انهيارهم (تقصد المسلمين) بنفسى، مثلما أنهم شاهدوا انهيارى لأنهم كانوا يعلمون أن داخاو تضم رفات جميع أفراد عائلتى الذين قضوا فى المحرقة".

من هنا سوف يتذكر الفلسطينيين، ودير ياسين، وعيلبون، وصابرا، وشاتيلا، والخليل... الخ ؟؟؟؟؟

لقد خلا البيان هذه المرة من أية إشارة إليهم، ولو من باب المطالبة " بالأمانى المشروعة للشعب الفلسطينى " ذرا لرماد داخاو فى عيون بقية المسلمين الذين لم يكونوا فى العير ولا فى النفير أيام داخاو وأوشفينز، وإنما صاروا من بعدها ضحايا للضحايا بمساندة مرتكبى الجريمة الأصليين من اليمين الأوروبى العنصرى.

إلى أمريكا اللاتينية :

فى الثانى عشر من نوفمبر ٢٠١٠ عقد المنتدى السنوى الثالث للإخوان المسلمين، واليهود الإصلاحيين، وكان الرعاة هم مؤسسة التفاهم بين الأعراق برئاسة الحاخام مارك شناير، والمؤتمر اليهودى العالمى، والجمعية الإسلامية لشمال أمريكا، وقد ضم هذا المنتدى أضخم تجمع للمسلمين واليهود جنبا إلى جنب، إذ ضم طلابا من الجانبين، وقيادات شابة عملت معا فى برامج مشتركة للاتصال والمصالحة والتعاون.

www.ibtesama.com/vb

وتم فى هذا الملتقى توقيع بروتوكول للاستمرار فى ذذتنفيذ هذه البرامج، وخاصة الزيارات المتبادلة للمساجد، والمعابد اليهودية.. تحت مسمى برنامج نهاية الأسبوع..

ثم اتفق فى إبريل عام ٢٠١١ - وكانت ثورة يناير قد نجحت فى إسقاط حسنى مبارك - على توسيع اتفاق التوأمة بين المساجد والمعابد اليهودية ليمتد إلى جميع دول أمريكا اللاتينية، وأصبح عناق الهلال ونجمة داوود حارا ونهائيا على الأرض الأمريكية.

و كان توني بلير رئيس وزراء بريطانيا الأسبق قد نجح من قبل فى إجلاس إخوان مسلمين، ليس مع حاخامات يهود فحسب، وإنما مع حاخام إسرائيلى هو ديفيد روزين الذى يحمل جنسية أيرلندا إلى جانب جنسية إسرائيل كما سلف البيان فى الفصل السابق،

مر نوفمبر، وأعقبه ديسمبر، وأقبل يناير عام ٢٠١١، وكان الجميع على مقربة من ثورة يناير المصرية... التى ستظهر معها الفرصة لكى تشارك جماعة الإخوان المسلمين فى السلطة لأول مرة فى تاريخها... وربما تتولاها بالكامل.... ولذا وجب نقل المسألة برمتها إلى المستوى الأعلى والأعلى !!! فقد حُرثت الأرض، وألقيت البذور، ليمتد الارتباط البناء بين الإخوان المسلمين واليهود الأمريكيين - تحت رعاية الإدارة - إلى ارتباط "بالوكالة" مع إسرائيل، من خلال تقديم التعهدات إلى المبعوثين الأمريكيين، الذين توافدوا تباعاً على جبل المقطم.

www.ibtesama.com/vb

الفصل الثالث

بعد الثورة ... الغلبة هى الحل

هناك عبارة شهيرة للرئيس المصرى السابق حسنى مبارك، قالها لصديقه الحميم، وقاتل الأسرى المصريين فى حرب ١٩٦٧ ديفيد إلعازر الوزير الإسرائيلى السابق، ونقلتها جميع وسائل الإعلام العالمية عن إلعازر... قال مبارك : لقد خاننى الأمريكيون، وخذلنى جيشى...

نحن لا نبكى على مبارك....فما بكت عليه السماء ولا الأرض... وما كان يستحق إلا ما حدث له، وربما أكثر، ولكن بالقانون... وليس هذا موضوعنا على أية حال، ولكن الشاهد فى هذه العبارة هو أن مطالبة الرئيس الأمريكى باراك أوباما له علنا فى الأيام الأولى للثورة بإجراء انتقال هادئ للسلطة قرر مصيره، أو على الأقل أضعف من عزيمته على قمع الثورة، وقوى عزيمة القوات المسلحة على عدم الاستجابة لرغباته القمعية، وكانت هناك رغبات من هذا النوع يقينا .

ولكن هل كان أوباما وقتها يخطط لنقل السلطة إلى الإخوان كلية كما جرى فيما بعد؟أم أنه كان يسعى إلى إصلاح النظام من دون مبارك

www.ibtesama.com/vb

نفسه، وذلك لكى يتسنى إشراك الإسلاميين - رسمياً - ممثلين فى الإخوان فى الحياة السياسية، وفى السلطة بالضرورة ؟؟؟

الإجابة فى رأينا هى نعم، ولكن على السؤال الثانى، أما ما جرى بعد ذلك من تخلى الإخوان عن تعهدهم بالمشاركة بدلا من المغالبة، وعن التزامهم بعدم ترشيح أحد رجالهم لمنصب رئيس الجمهورية، فقد أتت به تفاعلات ما بعد انشطار قوى ثورة يناير حول محاكمة مبارك، على نحو ما شرحناه فى كتابنا السابق " الثورة التائهة.. صراع الخوذة واللحية والميدان "، وما سوف نستكمله فى سياقه الزمنى فى هذا الفصل.

إذن كان مؤكدا أن الإخوان سوف يكونون لاعبا كبيرا فى حياة مصر السياسية بعد الثورة. إن بالمشاركة كما وعدوا، وإن بالمغالبة كما ستفرض الحوادث من بعد... فكيف سيتحول الارتباط البناء بالولايات المتحدة إلى سياسات تطبقها حكومة مصرية، يشارك فيها الإخوان ؟و ما هو الطريق إلى هذه المشاركة؟

كانت الضربة الاستهلالية يوم ٣١ يناير٢٠١١، أى فى الأيام الأولى للثورة.

فالإخوان شاركوا يوم ٢٨ يناير، ولا أحد يدرى بالضبط ماذا جرى فى مكتب الإرشاد ليلة ٢٥ ويومى ٢٦ و٢٧ يناير، بمن اتصل الإخوان ؟ وماذا قيل لهم ؟ لكنهم نزلوا بقوة يوم ٢٨.

وبعد ثلاثة أيام، وحين لم يكن احتمال سقوط مبارك واردا بقوة خرج إدوار جيبس المتحدث باسم البيت الأبيض يقول إن شروط واشنطن للاتصال بالإخوان المسلمين فى مصر هى الحصول على ضمانات باحترامهم للقانون، ونبذ العنف، وأن يقبلوا التحول إلى جزء من عملية ديمقراطية.

www.ibtesama.com/vb

أليس لافتا للنظر أن يختص البيت الأبيض جماعة الإخوان بهذه الرسالة المبكرة والعلنية، دون بقية قوى الثورة المصرية ؟ وهل أطلق البيت الأبيض هذه الرسالة عفو الخاطر، أو بناءا على تقويم من جانب واحد ؟!

لم يتطرق المتحدث باسم البيت الأبيض فى هذه المرحلة المبكرة إلى اتفاقية السلام مع إسرائيل، لأن صناع السياسة الأمريكية افترضوا أن أية إشارة إلى إسرائيل فى هذه المرحلة لن يخدم قضية الثورة، ولن يخدم الإخوان، وقد يفيد مبارك بطريقة غير مباشرة.

[وكان الفريق سامى عنان رئيس أركان حرب القوات المسلحة وقتها فى زيارة لواشنطن، وتشاور مع الأمريكيين حول ما يحدث فى مصر، وما يجب أن يحدث فى المستقبل، وقطع زيارته ليعود إلى القيادة العامة للقوات المسلحة بنتائج هذه المشاورات، وهذا معروف].

وكان الإخوان المسلمون قد أعلنوا بغتة يوم ١٠ فبراير ٢٠١١، أى قبل تنحى مبارك، أنهم لن يدفعوا بمرشح منهم لمنصب رئيس الجمهورية بعد رحيل الرئيس الحالى، ونحن نذكر الآن أنه فى مساء ذلك اليوم قالت مصادر مصرية إن مبارك سيوجه بيانا يعلن فيه التنحى هذا المساء، ثم أكد المتحدث باسم وزارة الخارجية الأمريكية هذه الأنباء بصفة رسمية، حتى فاجأتنا قناة العربية التليفزيونية برواية مختلفة لمضمون البيان المتوقع من مبارك، وتؤكد أنه باق فى المنصب، وهو ما حدث فعلا، ثم ثبت من مذكرات الدكتور حسام البدراوى آخر أمين عام للحزب الوطنى أن مبارك كان قد اقتنع بمغادرة المنصب نهار ذلك اليوم، ثم عاد تحت ضغوط ابنه جمال والسيدة سوزان مبارك وأنس الفقى وزير الإعلام وقتها، وقرر مواصلة التحدى، فهل كان إعلان

www.ibtesama.com/vb

الإخوان فى ذلك اليوم أنهم لن يدفعوا مرشحا من بينهم للرئاسة جزءا من صفقة لم تكتمل يوم ١٠ فبراير، وذلك تسهيلا لمهمة الضاغطين على مبارك للرحيل، وتسهيلا على المجلس الأعلى للقوات المسلحة للتخلى عن الرجل ؟

كل الشواهد تؤكد ذلك، لاسيما وقد ثبت فيما بعد أن وفدا من الإخوان كان قد اجتمع سرا - من وراء ظهر ميدان التحرير - بعمر سليمان نائب مبارك قبل صدور بيان الجماعة بالتعهد بعدم المزاحمة على منصب الرئاسة، وكان هذا الاجتماع السرى من الأسباب التى أقلقت قياديا إخوانيا بارزا مثل الدكتور كمال الهلباوى من تصرفات مكتب الإرشاد.

كان المنطقى ان يعهد مبارك بالسلطة - عقب تنحيه - إلى نائبه عمر سليمان، الذى كان قد فوضه فى اليوم السابق فى سلطات رئيس الجمهورية، ولكن تفويضه المجلس الأعلى للقوات المسلحة يثير تساؤلاً حول دور الولايات المتحدة فى إبعاد عمر سليمان فى اللحظة الأخيرة، لأنه ربما كانت لديه النية والقدرة على جعل مشاركة الإخوان فى النظام الجديد محدودة، ومن المعروف أن المشير محمد حسين طنطاوى وزير الدفاع والقائد العام للقوات المسلحة، والفريق سامى عنان رئيس الأركان رفضا صراحة تفويض السلطة كاملة لـ عمر سليمان كرئيس جمهورية انتقالى.

"طبعاً كان الدستور ينص على تولى رئيس مجلس الشعب منصب الرئاسة فى حالة خلو المنصب، فإن لم يكن مجلس الشعب قائماً، يُسند المنصب إلى رئيس المحكمة الدستورية العليا، وقد ضُرب بكل ذلك عرض الحائط، مثلما ضُرب بمنصب نائب الرئيس عرض الحائط، وما كان ذلك إلا من مقتضيات التفاهم الأمريكى الإخوانى، ومن مقتضيات العلاقة الخاصة بين القوات المسلحة المصرية والمصدر الأمريكى لسلاحها".

www.ibtesama.com/vb

وتمثلت أولى نتائج المشاورات بين الفريق عنان، وبين المسئولين الأمريكيين، عقب تنحى مبارك مباشرة - فى حل لجنة التعديلات الدستورية التى كان مبارك نفسه قد شكلها برئاسة الدكتور يحي الجمل، وكان قد اختير نائبا لرئيس الوزراء فى حكومة أحمد شفيق، وهى نفسها حكومة أنشأها مبارك كمناورة للتهدئة، لكن الأهم ليس إلغاء هذه اللجنة، ولكن تشكيل لجنة جديدة للتعديلات الدستورية، ولكن هذه المرة برئاسة الفقيه النبيل، والقاضى الشريف، والإسلامى المستنير المستشار طارق البشرى نائب رئيس مجلس الدولة الأسبق، والمفكر والمؤرخ فى ذات الوقت، وضمت اللجنة فى عضويتها محاميا إخوانيا، وعضوا فى برلمان ٢٠٠٥ هو الأستاذ صبحى صالح.

وعلى الرغم من أن معرفة المؤلف الشخصية الوثيقة وقديمة العهد بالمستشار البشرى تجعله فوق أى شبهة تحيز أو مجاملة فضلا عن التواطؤ حتى لنصرة أفكاره ومعتقداته، فإن هذا الاختيار أصاب أغلب من تحدثت إليهم فى هذا الوقت بالوجوم والقلق، ليس لعيب فى شخصية البشرى، وليس لشك فى نزاهته، ولم يكن أحد قد عرف بعد الكثير عن شخصية المحامى صبحى صالح التى ثبت فيما بعد أنها مثيرة للجدل، إن لم تكن مثيرة للمشاكل، وإنما كان الوجوم والقلق يرجعان إلى أن هذه اعتبرت إشارة على أن المجلس الأعلى للقوات المسلحة التزم تجاه آخرين، أو ألزم نفسه متطوعا بوضع خاص للإسلام السياسى فى عملية بناء النظام الجديد على أنقاض نظام مبارك، لكن أحدا لم تكن لديه معلومات موثقة، ولا المستشار طارق البشرى نفسه.

أذكر أننى سألته إبان الحملة ضده بعد إقرار التعديلات الدستورية فى ١٩ مارس ٢٠١١ عن كيفية وقوع الاختيار عليه لرئاسة اللجنة، وعن

www.ibtesama.com/vb

حدود التكليف الصادر إلى اللجنة، وعن أسباب اختيار المحامى صبحى صالح الذى كان قد بدأ يثير الجدل..."أو المشكلات" (حسب ما يرتأى القارئ)، فقال إن الترشيح جاء من إدارة التشريع بوزارة العدل، بناء على طلب من المجلس الأعلى للقوات المسلحة، وأن حيثيات ترشيح صبحى صالح تعود إلى أنه كان عضوا فعالا وجيدا فى اللجنة التشريعية فى مجلس الشعب المنتخب عام ٢٠٠٥.

لكن إجابة المستشار البشرى (وقد نشرتها فى حينها فى الأهرام) لا تنفى الافتراض بأن المجلس العسكرى قصد من خلال اختياره - هو وصالح - أن يطمئن "الإسلام السياسى" فى مصر على إفساح مكان مريح له فى المستقبل السياسى لمصر، وكان هذا هو السبب الأصلى فى حل لجنة يحيى الجمل، وتشكيل لجنة البشرى، وإلا فلو كان الجمل مغضوبا عليه لأخرج من الحكومة، التى ظل فيها حتى مع رئيس الوزراء الجديد عصام شرف.

وكذلك فكان الأكثر منطقية أن تعفى لجنة يحيى الجمل لو كان المطلوب ما هو أكثر من تعديلات محدودة على دستور ١٩٧١، وهو نفس ما كلف به المستشار البشرى ولجنته.

إذن الرسائل المبكرة من واشنطن تهيئ الإسلاميين لدور فى مصر، وأول القرارات المهمة للمجلس الأعلى القوات المسلحة تؤكد التخطيط والعمل فى هذا الاتجاه.

جماعة الإخوان من جانبها تلقفت الرسائل، وبادرت بالرد على رسالة البيت الأبيض العلنية، وذلك فى اليوم الثانى لتنحى مبارك، الذى حدث ليلة ١١ فبراير، فقال زعماء فى الإخوان لصحيفة وول ستريت

www.ibtesama.com/vb

جورنال ١٣ فبراير أنهم ينتظرون إقرار التعديلات الدستورية، وتعديل قانون الأحزاب، لإعلان قيام حزبهم.

لماذا اختاروا وول ستريت جورنال ؟

إلى جانب مهارة ونشاط مراسلها فى القاهرة، فقد كان اختيار صحيفة أمريكية كبرى مقصود به الرد على رسالة المتحدث باسم البيت الأبيض حول شروط الاتصال الأمريكى بالإخوان، يوم ٣١ يناير السابق.

حزب الإخوان :

و فى يوم ٢٨ فبراير صدر أول حديث منسوب لمصدر معلوم عن الحزب، وكان المصدر هو الدكتور سعد الكتاتنى أول أمين عام لذلك الحزب الذى سمى "بالحرية والعدالة"، ثم رئيس الحزب بعد ذلك خلفا للدكتور محمد مرسى الذى انتخب رئيسا لمصر، قال الكتاتنى إن الحزب سيكون مستقلا عن الجماعة، لكنه سيطبق إيديولوجيتها.

نحن نعرف أن الجماعة حاولت تشكيل حزب عام ٢٠٠٦، وعزفت عن المحاولة بعد أن جوبهت برفض عارم لنص فى الميثاق الأساسى المقترح للحزب (وقتها) على تشكيل هيئة من كبار العلماء تجيز القوانين من الناحية الشرعية الإسلامية، وعلى إجراء استفتاء شعبى على بقاء أو إلغاء اتفاقية السلام مع إسرائيل، وعلى ما هو مؤكد من مختلف المصادر، فقد استقر مكتب الإرشاد على أنه لا داعى لتفجير الجماعة من داخلها ما بين الحرس القديم، الذى يرفض التخلى عن شعار تطبيق الشريعة، ويرفض الاعتراف بإسرائيل وبين الأجيال الشابة المطالبة

www.ibtesama.com/vb

بالمرونة والبراجماتية، ما دامت لا تلوح فرصة حقيقية للمشاركة فى الحكم، فضلا عن تولى هذا الحكم بالكامل.

وعندما اختير مرسى رئيسا للحزب الجديد، فإنه أيضا اعتنى منذ البداية بأولوية مخاطبة الأمريكيين، فدعا الكونجرس الأمريكى يوم ١٩ إبريل ٢٠١١ إلى عقد جلسة خاصة للاستماع من الإخوان أنفسهم عن أنفسهم، بدلا من الاستماع عنهم من غيرهم، وقال فى حديثه ذاك إلى محطة تليفزيون الجزيرة، إن مخاوف الكونجرس من الإخوان ليس لها أساس، ولكنه لم ينس أن يتفوه بعبارة تحمل البلاغة الإخوانية المعتادة ضد الأمريكيين (للاستهلاك المحلى على ما يبدو) فاتهم الأمريكيين بأنهم يريدون السيطرة على المنطقة من أجل ثروتها من المواد الخام، خاصة البترول، وكأن فى الأمر اكتشاف !

وبدأت المغازلات العلنية - فأعلن ويليام تايلور المنسق الخاص للتحول فى الشرق الأوسط يوم ١١ مايو ٢٠١١ ردا على رسالة مرسى : إن الولايات المتحدة سوف تشعر بالرضا إذا فاز الإخوان فى الانتخابات المصرية المقبلة، وهو يريد منحهم الفرصة، ولسوف تقيمهم واشنطن على أساس ما يعملونه، وليس على أساس ما يقولونه.

ويشغل تايلور - إلى جانب تفويضه بمسئولية المنسق الخاص للتحول فى الشرق الأوسط - منصب نائب رئيس معهد الولايات المتحدة للسلام، وهو معهد أنشأه الكونجرس على أساس غير حزبى، ومهمته هى منع تطور النزاعات إلى استخدام العنف، ويرتبط الرجل بعلاقات وثيقة مع الدكتور جون سبوزيتو الأستاذ بجامعة جورج تاون، ومحلل السياسات فى الخارجية الأمريكية سابقا، وأحد مهندسى إستراتيجية

www.ibtesama.com/vb

الارتباط البناء مع الإخوان المسلمين، والعضو الناشط فى المعهد الدولى للفكر الإسلامى بواشنطن.

وتعزز هذا الرد فى يوم ٢٩ يونيو فى صورة تصريح لمسئول أمريكى كبير لوكالة رويتر، يقول : "قررنا استئناف الاتصالات مع جماعة الإخوان المسلمين فى خطوة تعكس الوزن السياسى الجديد للجماعة بعد الثورة، مع علمنا بأن ذلك سوف يقلق إسرائيل ومؤيديها فى الولايات المتحدة "، ثم وصف المسئول الأمريكى هذه الخطوة بأنها" تطور بارز وليس تغيرا راديكاليا "، وأضاف أن شروطنا هى نبذ العنف، واحترام حقوق الأقليات، وانخراط النساء فى العملية الديمقراطية.

رحبت الجماعة بالقرار الأمريكى على لسان الدكتور الكتاتنى، وقال إنه مهم لتوضيح كافة المواقف، وأضاف إلا "أن لدينا شروطا نحن أيضا وهى عدم التدخل فى شئوننا الداخلية، وأردف أنه لم تجر بعد أية اتصالات بين الجماعة أو الحزب وبين الولايات المتحدة...

[هل سوف تصدر واشنطن مثل هذا البيان، وتتخذ هذا القرار دون اتصال ؟ !

لقاء سرى :

وبعد عطلات الصيف فى الغرب عقد أول لقاء رسمى (سرى) بين وفد أمريكى، ووفد إخوانى على رأسه الدكتوران مرسى والعريان وكان ذلك فى شهر أكتوبر، وقال دبلوماسى أمريكى كبير شارك فى اللقاء لوكالة رويتر للأنباء إن مرسى والعريان أبلغا بالشروط الأمريكية، وفى اتصال للوكالة بكل من مرسى والعريان أنكرا عقد هذا اللقاء (دون سبب معروف كما تقول الوكالة نفسها)، وفى مناسبة هذا اللقاء قال

www.ibtesama.com/vb

الدبلوماسى الأمريكى "لرويتر" إن الولايات المتحدة ليس لديها سياسة تفرق بين حزب الحرية والعدالة، وبين جماعة الإخوان المسلمين.

وتأتى الجائزة يوم ٩ نوفمبر عام ٢٠١١، أى قبل الانتخابات البرلمانية المصرية بقليل، فتعلن السيدة هيلارى كلينتون وزيرة الخارجية الأمريكية بنفسها وفى خطاب رئيسى أمام المعهد الديمقراطى بواشنطن : " إن الولايات المتحدة سوف تتعامل مع الأحزاب الإسلامية شريطة احترامها للديمقراطية، ولحقوق المرأة، ولسائر القيم الأساسية للحضارة الحديثة ".

نـزول الـوحـى :

ثم يفوز الإخوان بأغلبية مقاعد الجولة الأولى فى انتخابات مجلس الشعب المصرى، ويظهر أن العجلة لن يوقفها أحد، أو يعكس اتجاهها، فيأتى السناتور جون كيرى إلى القاهرة، ويذهب بصحبة السفيرة آن باترسون إلى مقابلة مرسى والكتاتنى والعريان، ليلة١٠ديسمبر ٢٠١١، وهذه هى الليلة الفاصلة، أو ليلة نزول الوحى من واشنطن كما نسميها نحن : فماذا جرى فيها ؟

اتصلت ليلتها، وفى وقت متأخر بالدكتور عصام العريان، الذى لم يزد عن قوله إنه جرت مناقشة عامة، وتم التأكيد خلالها على التزام حزب الحرية والعدالة بالاتفاقات الدولية، وعلى الحاجة إلى التعاون الاقتصادى لتنمية مصر، ونشرت ذلك التصريح المقتضب وقتها فى الأهرام ".

لكن ذلك ليس إلا جزءا يسيرا للغاية من حقيقة ما جرى، وهذه هى المؤشرات التى ستتجمع لترسم ملامح الصورة الكاملة.

www.ibtesama.com/vb

كيرى صرح لموقع "الإخوان أون لاين" : إن فوز الإخوان بهذه النسبة الكبيرة من مقاعد الجولة الأولى لم يكن مفاجئا، ولكن ما الذى فاجأ كيرى ؟ كما فاجأ جميع المصريين، وجميع المراقبين فى الخارج ؟

إنه حلول حزب النور السلفى فى المرتبة الثانية ؟

أضاف كيرى إن المناقشات دارت حول الأزمة الاقتصادية، وحول الاتفاقات الدولية.

لاحظ التطابق بين أقوال كيرى" للإخوان أون لاين "، وأقوال العريان للأهرام...مما ينبئ أن الجانبين اتفقا على صيغة واحدة تبلغ للإعلام، وهذا طبيعى، ويحدث كثيرا فى المفاوضات الدولية، ولكنها المفاوضات التى يسودها الاتفاق، وليست تلك التى تشهد خلافات...

وما هو المقصود بالاتفاقات الدولية ؟

طبعا ليس المقصود مثلا اتفاقية الدفاع العربى المشترك، ولا أية اتفاقية أخرى، وإنما المقصود أولا وثانيا وثالثا وعاشرا إلى ما لا نهاية اتفاقية السلام مع إسرائيل، وهذا أيضا منطقى، لكننا لا ندرى سببا لعدم النص عليها صراحة فى تصريح السناتور الأمريكى، ولا فى تصريح الدكتور عصام العريان.

من جانبه قال الدكتور محمد مرسى، إنه أبلغ الضيفين الأمريكيين أن مصر بحجمها فى العالمين العربى والإسلامى سوف تحترم كافة المعاهدات، ولكن واشنطن لديها دور أساسى فى تحقيق الاستقرار السياسى، والانتعاش الاقتصادى فى كثير من دول الشرق الأوسط.

www.ibtesama.com/vb

حتى نستكمل بناء أجزاء الصورة... نتذكر ونذكر تصريحا للسيدة آن باترسون (السفيرة الأمريكية آنذاك فى المنطقة) قالت فيه إن مقابلتها السابقة (فى شهر أكتوبر) مع زعماء الإخوان لم تكن مريحة تماما لها فيما يتعلق باتفاقية السلام مع إسرائيل، وفيما يتعلق بحقوق النساء.

الآن هى مرتاحة إذن، والسناتور كيرى مرتاح هو الآخر، وكذلك مرسى والكتاتنى والعريان مرتاحون، رغم أن هناك ما يقلق... وهو تقدم السلفيين (حلفاء الإخوان) الذين قدموا من المجهول، ليفاجئوا الجميع بهذه القوة السياسية الكبيرة، والذين لم تكن واشنطن قد دخلت معهم فى ارتباط بناء، أو غير بناء، والمعروف عنهم تشددهم الدينى، " وعزوفهم عن المرونة والبراجماتية "، والذين لم تتطرق برامجهم السياسية إلى اتفاقية السلام مع إسرائيل، ليس تسليما بها، وإنما رفضا لها فى حقيقة الأمر، وتركا " لهذه المهمة الشائنة" لجماعة الإخوان.

[مصدر قريب طلب منى عدم ذكر اسمه أبلغنى أن كيرى : سأل الإخوان ماذا سوف يحدث إذا دفع السلفيون بمرشح لرئاسة الجمهورية؟ وهل تضمنون الفوز لمرشح تؤيدونه، ويقبل باتفاقية السلام مع إسرائيل ؟.

وكانت إجابة الإخوان هى نعم، ولكن فى هذه الليلة تقرر أن تدفع الجماعة بمرشح لها للرئاسة فى الوقت المناسب، إذا تعذر وجود مرشح يحظى بقبول الشارع والإخوان والأمريكيين، ومن ثم الإسرائيليين، وعليه جرى التفكير - بعد ذلك- فى عدة بدائل، فمن المدنيين - وكما سبق الذكر - عرض المنصب بالتوالى على المستشارين طارق البشرى وحسام الغريانى ومحمود مكى، ولكنهم رفضوا، فاتجه التفكير إلى الفريق سامى عنان، ولكن المشير محمد حسين طنطاوى رفض ذلك، وحاول هو نفسه أن يجرب

www.ibtesama.com/vb

حظه، ولكن سمعة العسكريين كانت قد ساءت، وانهارت فرص المشير فور التفوه بها،

ثم رسا المزاد على المرحوم منصور حسن رئيس المجلس الاستشارى (فى ذلك الوقت) ووزير إعلام السادات صانع اتفاقية السلام مع إسرائيل، شريطه أن يكون المهندس خيرت الشاطر نائب المرشد العام للجماعة نائبا له، وهو ما لم يقبله الرجل، لأنه كان سيصبح مجرد "مُحلل" للجماعة فى علاقتها بإسرائيل، دون أن يكون له دور حقيقى فى السلطة بين نائب إخوانى، يقال إنه القائد الحقيقى للجماعة، ورئيس حكومة إخوانى، وكان مقررا أن يكون هو الدكتور محمد مرسى، ومعهما برلمان إخوانى سلفى.

(كنا قد شرحنا بعضا من هذه التفاصيل فى الطبعة الثانية من كتابنا "الثورة التائهة").

وهكذا تقرر فى هذه الليلة المسار الذى ستحشر إليه مصر.

إنه التغلب أو الغلبة، وليس حتى المغالبة ودعك من المشاركة..

التغلب على الليبراليين، ثم السلفيين فيما بعد..

أما المشاركة فتستبقى لتكون مع القوات المسلحة، من طرف خفى فى الداخل، ومع الولايات المتحدة بالأصالة عن نفسها، وبالنيابة عن إسرائيل فى الخارج، مع بقاء واشنطن ضامنة للعلاقة بين الإخوان والجيش المصرى، باعتبارهما قطبى المعادلة الحالية.

بذلك تخلى الإخوان عن الصيغة العملية التى طرحوها فى البداية... المشاركة لا المغالبة.... ليخسر الجميع، وتكسب إسرائيل وحدها، ولكن كيف ؟

www.ibtesama.com/vb

إن المشاركة بمعنى انتخاب رئيس جمهورية غير إخوانى، وقوى بما يكفى لئلا يكون رئيساً صورياً، مع وجود حكومة إخوانية، وبرلمان ذى أغلبية من الجماعة أو الاتجاهات الإسلامية، كانت سوف تعفى الإخوان والإسلاميين عموما من تقديم تنازلات فورية، وبلا ثمن فى العلاقات مع إسرائيل، لأن هذه العلاقات تبقى دستوريا وعُرفيا اختصاص الرئيس، الذى سوف يكون فى موقف أقوى يسمح له بأن يطالب (وأن يسمع له الآخرون) بتعديل الشروط المجحفة فى الاتفاقية، وبأن يضغط من موقف قوى لمصلحة الفلسطينيين، وذلك لأن برلمانه الإخوانى أو الإسلامى يضغط عليه، ولابد من تكيف الأمريكيين والإسرائيليين مع هذه الأوضاع الجديدة حرصا على السلام، ولن يستطيع الأمريكيون فى هذه الحالة الضغط على البرلمان كله لوقف ضغوطه على الرئيس، ولن يستطيعوا الضغط على الرئيس لإقصاء الإخوان، وإلا عدنا إلى نظام مبارك الذى ساهموا فى إسقاطه.

كذلك، ومن باب الاستطراد، كان الإخوان سوف يكتسبون خبرة الحكم، دون أن يكونوا مسئولين مسئولية كاملة عن الفشل إذا حدث، كما ثبت بعد أشهر معدودات من فوز مرسى بالرئاسة، فى حين كان النجاح سينسب لهم فى الأغلب، لأنهم القوة الجديدة فى الحكم.

لكن الخوف لدى الإخوان أيضا من انتزاع السلفيين زمام قيادة الإسلاميين فى مصر إذا هم فازوا بالرئاسة.... قدمهم لقمة سائغة إلى كيرى وباترسون فى الليلة الكبيرة لنزول الوحى من واشنطن.

ما سبق ليس استنتاجا، ولكنه تركيب فقط لأجزاء الصورة كما وردتنا من مصادرها المعلنة والسرية من داخل ومن خارج الحركة الإسلامية فى مصر.

www.ibtesama.com/vb

ونعود إلى السياق العلنى للارتباط البناء بين الولايات المتحدة (وإسرائيل بالتبعية) وبين جماعة الإخوان المسلمين بعد الثورة المصرية، وخلع مبارك.

جاء ويليام بيرينز نائب وزير الخارجية الأمريكية إلى لقاء زعماء الإخوان يوم ١١ يناير للتأكيد على ما يبدو على الاتفاق مع كيرى، وبعد شهر تقريبا من زيارة كيرى جاء الرئيس الأمريكى الأسبق جيمى كارتر، وقابل المرشد العام للجماعة يوم ١٥ يناير ٢٠١٢، وتوقع الرجل بعد المقابلة آفاقا جديدة للسلام فى الشرق الأوسط، وأضاف فى تصريح لوكالة رويترز (المتعهد الأكبر للتصريحات الأمريكية حول العلاقات مع الإخوان على ما يبدو) إنه ليست لديه، ولا لدى الإدارة الأمريكية مشكلة فى تولى الإسلاميين السلطة فى مصر، لأن النتائج جاءت تعبيرا دقيقا عن إرادة الشعب..

مؤسسة راند :

وقد لعبت مؤسسة "راند" وهى من أهم مؤسسات البحوث السياسية والإستراتيجية فى الولايات المتحدة دورا رئيسيا فى التفاهم الإخوانى الأمريكى، ونصفها بأنها من أهم - إن لم تكن الأهم على الإطلاق - لأنها تتبع القوات الجوية الأمريكية، وقد أسست لغرض توفير الخلفية المعرفية الإستراتيجية لدور القوات الجوية فى أنحاء العالم، ثم تطورت لتصبح مؤسسة مستقلة مع روابط وثيقة بسلاح الطيران، وما يسمى بالمجمع الصناعى العسكرى (الذى يشكل دور المحرك فى قاطرة السياسة الخارجية والداخلية الأمريكية).

www.ibtesama.com/vb

وقد أقامت راند مركزا دائما لها فى قطر، كانت مهمته الوحيدة تقريبا هى الحوار، ثم بناء جسور التفاهم والثقة بين الإدارة الأمريكية ومستشاريها فى مجال البحث الإستراتيجي، وبين الإخوان المسلمين فى شتى الأنحاء مع تركيز خاص على مصر، وتولت قيادة هذا الجهد السيدة شيريل بينار.

وفى يوم ٨ نوفمبر ٢٠١٢ أصدرت "راند" ملخصا تنفيذيا لدراسة عنوانها الإستراتيجية الأمريكية فى العالم الإسلامى بعد ١١ سبتمبر، وتضمن الملخص إحدى عشرة توصية هى على النحو التالى :

١-الترويج لخلق شبكات من الإسلاميين المعتدلين لمكافحة الخطابات الراديكالية.

٢-تخريب الشبكات الإسلامية الراديكالية.

٣-دعم إصلاح المدارس والمساجد.

٤-توسيع الفرص الاقتصادية أمام المعتدلين.

٥-مساندة الإسلام ذى التوجه المدنى (أى الإسلام المعتدل الذى يقبل الحداثة).

٦-تجفيف الموارد المالية للمتطرفين.

٧-الموازنة بين متطلبات الحرب على الإرهاب والحاجة إلى الاستقرار فى الدول العربية المعتدلة.

٨-السعى الدؤوب إلى إشراك الإسلاميين فى الحياة السياسية لبلادهم وفقا للقواعد المتعارف عليها....أى الانتخابات.... والتعددية.

٩-الارتباط بمسلمى المهجر، وقد استخدمت الدراسة لفظ (الدياسبورا) وهو مصطلح كان يقتصر استخدامه على اليهود

www.ibtesama.com/vb

الذين يعيشون خارج فلسطين، وترجمته الحرفية هى يهود الشتات، وقالت هذه التوصية نصا وبالحرف الواحد : "إن جماعات المهجر يمكن أن تكون بوابات إلى شبكات الإسلاميين داخل بلدانها الأصلية، وسوف تكون عاملا مساعدا فى ترويج ودعم القيم والمصالح الأمريكية".

١٠-إقامة علاقات وثيقة بين العسكريين الأمريكيين والعسكريين فى الدول المهمة...و استخدمت التوصية تعبير Military to military relation ....و يقصد به علاقة لا تمر فقط عبر المؤسسات السياسية فى الدول المعنية.

١١-بناء القدرات العسكرية اللازمة.

ومن الواضح أن ٩ توصيات من بين هذه التوصيات الإحدى عشر تتعلق بالإسلاميين، وأنها كلها تدور حول دعم الإسلاميين المعتدلين (وفى قلبهم جماعة الإخوان)، وتهميش وإضعاف المتطرفين.

الخرافات الخمس :

وفى الشهر نفسه أصدرت "راند" ملخصا آخر لدراسة حول جماعة الإخوان وحدها، وكان عنوان الدراسة ملفتا، وربما مذهلا، إذ أنه جاء كما يلى "الخرافات الخمس حول الإخوان المسلمين" وهذه الخرافات الخمس هى:

- الإخوان المسلمون منظمة عالمية.
- الجماعة سوف تهيمن على مصر.

www.ibtesama.com/vb

- الجماعة سوف تفرض قراءة (دراكولية نسبة إلى مصاص الدماء الأسطورى الكونت دراكولا) للإسلام وقوانين الشريعة الإسلامية.
- الجماعة تقيم علاقات وثيقة بالقاعدة (التى أسسها أسامة بن لادن).
- الولايات المتحدة لا يمكن أن تعمل مع الإخوان.

ومثلما يقول المثل المصرى الدارج :" إن الرسالة تظهر من عنوانها "، فكل هذه المواصفات أو الاتهامات للإخوان ليست إلا محض خرافات فى رأى المؤسسة، فالجماعة ليست منظمة عالمية، لأن كل فرع منها له استقلاله الكامل فى اختيار سياساته، وما يجمعه بالجماعة المصرية هو وحدة القيم والمشاعر، وهى لن تهيمن على مصر رغم ضعف الجماعات الأخرى، لأن استطلاعا للرأى قام به معهد واشنطن لسياسات الشرق الأدنى فى مصر بعد سقوط مبارك أظهر أن نسبة التأييد الشعبى للإخوان لا تزيد على ١٥ %.

والجماعة لن تفرض صيغة دراكولية لأحكام الشريعة الإسلامية، لأن الجيل الثانى فى الجماعة أصبح يتحدث عن حقوق الإنسان، ويقارن نفسه بالديمقراطية المسيحية الأوروبية، وهو ما يرحب به الجيل الثالث (شباب الإخوان) خاصة فى المناطق الريفية، فى حين كان جيل الآباء المؤسسين يرفع شعار "القرآن دستورنا ".

وأما عن العلاقات مع القاعدة : فالإجابة: تاريخيا....نعم.... ولكنها أصبحت مؤخرا.....لا.. قاطعة.

وتبقى الخرافة الخامسة حول استحالة العمل بين الولايات المتحدة وبين الإخوان، بسبب الخطابات البلاغية المفعمة بالكراهية بين الجانبين

www.ibtesama.com/vb

تاريخيا، ومن أمثلتها ما قاله المرشد العام للجماعة الدكتور محمد بديع مؤخرا من أن "أمريكا فى طريقها للفناء "، ورد النائب الأمريكى روس لهتنين رئيس لجنة الشئون الخارجية بمجلس النواب الأمريكى عليه بوصف الجماعة بأنها عنصر مشين فى حياة مصر السياسية".

"ولكن الحقيقة - تقول راند - هى أن هناك فرصة حقيقية لارتباط بناء بين واشنطن واللاعبين المعتدلين فيها استطرادا للقاء آيزنهاور بسعيد رمضان عام ١٩٥٣، وما تلاه من تعاون فى الحرب الباردة ضد الشيوعية والسوفييت، وذلك بشرط نبذ الجماعة للعنف، وقبولها للمبادئ الديمقراطية، والتعاون ضد القاعدة، والالتزام بالعلاقات السلمية الإقليمية، أى بالسلام مع إسرائيل وبالمحافظة على الأمن الإسرائيلى، وذلك طبقا لما صرح به البيت الأبيض بعيد سقوط مبارك مباشرة".

فى اللقاءات الأولى، وقبل أن يحسم الإخوان موقفهم بإعلان قبولهم باتفاقية السلام مع إسرائيل، فإنهم كانوا قد ابتكروا تكتيك الإفلات من الإجابة، فيقول كاتب دراسة "الإخوان وشبابهم"، إن صناع السياسة الأمريكيين دابوا فى لقاءاتهم بأعضاء مجلس الشعب المصرى من الجماعة، على السؤال عن الموقف من إسرائيل، مؤكدين أن الخطاب العلنى للجماعة يدعو إلى القلق، وطبقا لتصريح دبلوماسى أمريكى كبير لكاتب دراسة راند فى أول مارس ٢٠١٢ كان نواب الإخوان يتخلصون من العبء، بالحديث عن تأييد واشنطن لمبارك، وتسامحها مع الاستيطان الإسرائيلى، ولكن مع تقدم الاتصالات بدأ الحديث يتطرق إلى مسائل أكثر تحديدا، مثل جدول الانتقال من حكم مبارك إلى عهد جديد، والأمن فى سيناء.

وفى اليوم التالى أى يوم ٢ مارس ٢٠١٢ أبلغ مسئول أمريكى كبير سابق كاتب الدراسة، وكان قد التقى لتوه بزعماء الإخوان "أنهم أبلغوه

www.ibtesama.com/vb

أنهم لن يمسوا اتفاقية السلام، لأنهم يفهمون العواقب السلبية لذلك على استمرار المعونات الأمريكية لمصر "، ويضيف الكاتب أنه "من الواضح أنه لا إسرائيل، ولا ذراعها اليهودى فى أمريكا إيباك، ولا أصدقاؤها فى الكونجرس أبدوا قلقهم من الاتصالات الأمريكية بالإخوان، طالما أن الجماعة ملتزمة بعدم اللجوء إلى العنف، بما يتضمن ذلك من العلاقات السلمية مع إسرائيل.

وقد طلبت الجماعة رسميا افتتاح مكتب تمثيل رسمى لها فى واشنطن بعد نجاح الثورة وطبقا لرواية " راند " فى دراستها المعنونة الأخوان المسلمون وشبابهم، وتعقيدات الارتباط بالنسبة للولايات المتحدة، فإن دبلوماسيا أمريكيا كبيرا من المحبذين للارتباط البناء مع الإخوان، قال له فى مقابلة يوم ٢مارس ٢٠١٢ إن مثل هذه الخطوة ستكون خطيرة لأنها سوف تعطى انطباعا بأن واشنطن تمنح الإخوان معاملة تفضيلية، مادام أنه لا توجد مكاتب لأحزاب فى أية مكان فى العالم فى العاصمة الأمريكية، كما قد تتسبب مثل هذه الخطوة فى إطلاق "نيران" مرتدة من الكونجرس تتهم الجماعة بأنها قادمة إلى الولايات المتحدة لتطبيق "الشريعة" على الأمريكيين.

قائمة اللقاءات العلنية :

وهذه قائمة باللقاءات العلنية بين الأمريكيين والإخوان بعد الثورة، ونقول علنية لأن المصادر الأمريكية تعترف بوجود لقاءات غير معلنة (انظر دراسة الإخوان وشبابها وتعقيدات الارتباط الأمريكى الجماعة)، منها لقاء عقد فى أكتوبر عام ٢٠١١ بين دبلوماسيين أمريكيين، وبين كل من الدكتور محمد مرسى والدكتور عصام العريان لإبلاغهما بالشروط الأمريكية، وفى مقدمتها الاعتراف بإسرائيل، كما سبقت الإشارة، وقد أنكر مرسى والعريان

www.ibtesama.com/vb

حدوث هذا اللقاء، ولم يعرف سبب الإنكار، ويبدو أنه قول الدبلوماسى الأمريكى الكبير فى هذا اللقاء إن الولايات المتحدة ليس لديها سياسة تفرق بين الحزب والجماعة وهذه هى قائمة اللقاءات المعلنة.

١. ٦ أكتوبر عام ٢٠١١ : لقاء بين الدكتور سعد الكتاتنى وآمى دى ستيفانو السكرتير الأول فى السفارة الأمريكية، وبريم كومار رئيس قسم مصر فى مجلس الأمن القومى الأمريكى.
٢. ١٥ نوفمبر ٢٠١١ : الدكتور عصام العريان يلتقى جاكوب واليس من وكالة المعونة الاقتصادية، وبيتر إشعيا من إدارة الشئون الاقتصادية والسياسية بالسفارة الأمريكية.
٣. ١٠ ديسمبر ٢٠١١ : السناتور جون كيرى والسفيرة آن باترسون يلتقيان د.محمد مرسى والعريان والكتاتنى.
٤. ٢يناير ٢٠١٢ : جيفرى فيلتمان مساعد وزيرة الخارجية للشئون الإقتصادية يلتقى العريان.
٥. ١١ يناير ٢٠١٢ : ويليام بيرنز نائب وزيرة الخارجية الأمريكية وروبرت هورماتس وكيل الوزارة يلتقيان مرسى.
٦. ١٢ يناير ٢٠١٢ : الرئيس الأمريكى الأسبق جيمى كارتر يلتقى مرسى.
٧. ١٣ يناير ٢٠١٢ : كارتر يلتقى المرشد العام محمد بديع وخيرت الشاطر نائب المرشد العام.
٨. ١٨ يناير ٢٠١٢ : السفيرة آن باترسون تلتقى بديع ومحمود حسين الأمين العام للجماعة.
٩. ٢٤ يناير ٢٠١٢ :السفيرة آن باترسون، ومايكل بوزنر مساعد وزير الخارجية يلتقيان الدكتور عبد الرحمن البر عضو مكتب الإرشاد.

www.ibtesama.com/vb

وقد أفرد الأمريكيون اهتماما خاصا بشباب الإخوان، وهو الجيل الثالث الذى يرى الخبراء فى واشنطن أنه يقود التغيير فى الجماعة، وهو فى رأيهم يشكل قوة لا يستهان بها، لأن نسبتهم تقدر بما بين ٣٥% و٥٠% من أعضاء الجماعة.

ويعتقدون أن خطوط الانقسام بين شباب الجماعة، وكل من جيل المؤسسين، والجيل التالى له هى عدم الفصل لدى الجيل السابق بما يكفى بين العقائد الدينية، والعمل السياسي، والمواقف النقدية للشباب من القضايا الاجتماعية خاصة المساواة بين الجنسين مقارنة بمواقف الأجيال السابقة، وحقوق الأقليات، وبطء التغيير عند الأقدمين مقارنة بالرغبة فى التغيير الثورى الذى يطلبه الشباب داخل الجماعة، وأخيرا احتكار القيادة من الأكبر سنا على حساب الشباب.

وتطالب الدراسة المشار إليها بفهم أكثر عمقا، واتساعا للانقسامات داخل الجماعة، وتنظيم الاتصال والتفاعل وديمومته مع شباب الإخوان على مستوى المحليات، واتحادات الطلاب خارج القاهرة - بقوة ما يجرى داخل العاصمة من اتصالات مع الشباب الإخوانى.

www.ibtesama.com/vb

الفصل الرابع
بعد السلطة ... قليل من الإيديولوجية

كان مجلس الشعب الجديد الذى حاز الإخوان والسلفيون أكثر من ثلثى مقاعده على وشك افتتاح دور انعقاده الأول يوم ٢٢ يناير، حين أطلقت السيدة فيكتوريا نولاند المتحدثة باسم وزارة الخارجية الأمريكية يوم العاشر من الشهر نفسه تصريحها المشهور القائل : لقد أكدت جماعة الإخوان لواشنطن أنها ستحافظ على اتفاقية السلام مع إسرائيل.

وعلى الفور جاء الرد من كل من السيد إبراهيم منير والسيد رشاد البيومى عضوى مكتب الإرشاد، والدكتور عصام العريان رئيس لجنة العلاقات الخارجية لمجلس الشعب (بعد أيام)، قال منير : إن موقف جماعة الإخوان هو طرح المعاهدة على استفتاء شيعى، وذلك فى تصريح لموقع "إخوان أون لاين" فى اليوم نفسه.

وقال السيد رشاد البيومى لصحيفة الحياة التى تصدر من لندن : إن مصر الإخوانية لن تعترف بإسرائيل، وسوف تتخذ الجماعة وحزبها إجراءات قانونية ضد المعاهدة مع الكيان الصهيونى.

www.ibtesama.com/vb

أما عصام العريان فقال: إن الولايات المتحدة فى حاجة إلى أن تفهم أن ما كان مقبولا قبل الثورة لم يعد كذلك، وأن شروط المعونة فى اتفاقية السلام يجب أن تتغير، لتفتح الباب لتعديلات أخرى.

من هذه اللحظة سوف تتضح قواعد اللعبة... وتتلخص فى ازدواج الخطاب بين الجماعة وحزبها، الجماعة تكرر البلاغيات القديمة، مثل " التطبيع مع إسرائيل مثل التطبيع مع السرطان، كما كتب خالد عميرة الصحفى الفلسطينى الإخوانى على موقع إخوان أون لاين، وكما رد إبراهيم منير ورشاد البيومى، وكما سيقول المرشد العام نفسه كثيرا فيما بعد، وزعماء الحزب يتحدثون عن الالتزام بالمعاهدات، مع الحاجة إلى تعديلها، وهو مطلب سوف يسقط من الذاكرة بأسرع مما توقع عارفو الإخوان، مع تولى رئاسة الدولة، وشن إسرائيل حربا جديدة من حروبها المتكررة على قطاع غزة، وحركة حماس كما سنرى توا.

ففى يوم ١٤ يونيو ٢٠١٢، وكانت جولة الإعادة فى انتخابات الرئاسة المصرية بين مرسى والفريق أحمد شفيق تقترب، قال الدكتور بديع فى رسالته الأسبوعية إلى جماعته : إن الله سوف يسأل كل مسلم يوم القيامة عن سكوته عن تحرير المسجد الأقصى، ونحن كإخوان مسلمين ملتزمون بالجهاد بالنفس والمال لتحرير ثالث الحرمين، وأولى القبلتين، لأن هذا فرض عين على كل مسلم، ولا ينسى "الإخوان" أن الله توعد اليهود بالعقاب فى الدنيا الآخرة.

بعد أسبوعين من هذه الرسالة كان السناتور جون كيرى يصرح - وبعد أن كان مرسى قد انتخب رئيسا، وقبل ٤٨ ساعة من توليه مهام منصبه - بأن الرئيس المصرى المنتخب أكد له أنه يفهم أهمية العلاقات مع أمريكا، ومع إسرائيل.

www.ibtesama.com/vb

وفيما كان الدكتور مارك لينش المستشار الأمين للجماعة يكتب أن ترشيح مرسى سوف يثبت فيما بعد أنه خطأ فادح من جانب الإخوان، وكان يقصد أن تحمل الإخوان مسئولية منصب الرئاسة سوف يحرجهم فى المسألة الإسرائيلية، فقد رد عليه الكاتب ستيفن كوك وهو قريب أيضا من الإخوان، بقوله إن الإخوان " رجال حلول وسط " فلقد انضموا إلى الثورة متأخرين، (وهذا مثال على أنهم لا يبالون إلا بحسابات السياسة العملية، وفقا للسياق الذى تحدث فيه الكاتب)

لقاء لم يحدث مع إسرائيليين :

الأكثر مدعاة للشعور بالصدمة من هذه الازدواجية فى الخطاب، أمام الرأى العام المصرى، وهى ازدواجية تصل إلى حد خداع الناخبين أنه قبل يوم واحد من صدور رسالة المرشد المطالبة بالجهاد بالنفس والمال، أعلن فى إسرائيل عن إلغاء لقاء سرى بين وفد برلمانى مصرى يشارك فيه أعضاء من حزب الحرية والعدالة الإخوانى، وبين وفد من الكنيست الإسرائيلى، وكان من المقرر أن يعقد اللقاء فى واشنطن بتدبير وتمويل من وزارة الخارجية الأمريكية. وكان يهدف إلى فتح قناة اتصال بين الإخوان وبين الإسرائيليين تمهد لاتصالات أعلى بعد ذلك.

وجاء إلغاء اللقاء ليس لتحرج الإخوان، وتراجعهم فى اللحظة الأخيرة، ولكن لأن أنباء اللقاء تسربت فى إسرائيل إلى الموقع الإلكترونى "ينيت"، مما اضطر الخارجية الأمريكية إلى اتخاذ قرار الإلغاء.

وقد عبر كارمل شامار هاكوهين عضو الكنيست الإسرائيلى (من حزب الليكود)، والذى كان أحد أعضاء الوفد البرلمانى الإسرائيلى إلى ذلك

www.ibtesama.com/vb

اللقاء السرى، عن ضيق شديد من "مسرب النبأ "، وقال " إن التسريب لم يجعل أمام الإخوان المسلمين المصريين من اختيار سوى إلغاء اللقاء، وأضاف أن من العار على إسرائيلى أن يسرب مثل هذه المعلومات، رغم أن التعليمات كانت تحتم السرية المطلقة "

فى هذا اليوم أيضا كتبت صحيفة جيروزاليم بوست (الإسرائيلية الناطقة بالإنجليزية) أن الرئيس الأمريكى باراك أوباما التقى سرا عضوين بارزين فى قيادة الإخوان المسلمين، وأكدا له التزام الجماعة فى مصر بالاتفاقية مع إسرائيل، ومكافحة الإرهاب، وأضافت الصحيفة أن العضوين الإخوانيين هما اللذان اشترطا سرية اللقاء، وإنه كان قد جرى فى شهر إبريل، وتعقيبا على هذا التقرير للصحيفة الإسرائيلية اعترف مساعدان لأوباما للشئون الإسلامية هما جورج سليم رئيس مكتب " المشاركة مع الجاليات " - الذى أنشئ فى عام ٢٠١٢ - ونائبه عرفان كفايات بأن مئات (وليس عشرات) اللقاءات عقدت مع زعماء الإخوان المسلمين خلف الأبواب المغلقة، ويبدو أن سليم وكفايات اشترطا عدم نشر التصريح الذى أدليا به لمندوب صحيفة "ديلى كول"، لأن كفايات وبخ المندوب علنا فيما بعد، وقال إن ما فعله المندوب كان خطأ، وكان بمثابة كمين، وأضاف موجها له الحديث " إنك تضر الشخص فى وظيفته، ثم تتوقع أن يتعاون معك "!!

ومن الشخصيات التى عرف أنها شاركت فى هذه اللقاءات السرية التى تعد بالمئات، هشام الطالب وابنه عمر، ومحمد الإبيارى الذى عين فيما بعد مستشارا لوزير الأمن الداخلى الأمريكى، وأغلب أعضاء مجلس الشئون الإسلامية العامة، وكذلك الجمعية الإسلامية لشمال أمريكا..

www.ibtesama.com/vb

عمود السحاب :

ويأتى شهر أكتوبر لتشن إسرائيل حملتها الجوية على غزة، التى أسمتها "عمود السحاب " وهو اسم مقتبس من التوراة التى تقول إن الله ظهر لبنى إسرائيل فى خيمة الاجتماع فى أثناء التيه وسط عمود من السحاب لكى يهديهم سواء السبيل، والإشارة هنا واضحة إلى أن الله مع إسرائيل ضد الإخوان المسلمين فى غزة ومصر.

ولمدة ٨ أيام هى فترة العمليات تعود اللغة المزدوجة إلى الخطاب الإخوانى، ويعتبر الإخوان أن وقف إطلاق النار دون اجتياح برى إسرائيلى لغزة انتصار كبير.

ففى يوم ١٤ أكتوبر يطالب المرشد العام الدكتور محمد بديع العرب جميعا بوقف التفاوض مع إسرائيل، لأنها لا تفهم غير لغة القوة، ويدعو إلى الجهاد لتحرير فلسطين والأقصى، ثم يذكر أتباعه بحديث الحجر والشجر، أى الحديث المنسوب للرسول (عليه الصلاة والسلام) والذى يقول لا تقوم الساعة حتى يقتتل المسلمون واليهود فيقول الحجر والشجر يا مسلم هذا يهودى ورائى فاقتله.

لكن الغريب أن أول من لم يلب دعوة المرشد العام، كان الدكتور محمد مرسى رئيس مصر عن جماعة الإخوان المسلمين، وكان مرسى منهمكا فى التفاوض مع أوباما لتجديد هدنة حسنى مبارك بين إسرائيل وحماس.

لنترك صحيفة نيويورك تايمز تروى فى تقرير تفصيلى لها ما حدث :

كان الرئيس الأمريكى يشارك فى قمة رابطة الآسيان فى كمبوديا، وفجأة انسحب أوباما من الجلسة وصعد إلى جناحه فى الفندق، وتحدث إلى الرئيس المصرى هاتفيا لمدة ٢٥ دقيقة، وكانت هذه

www.ibtesama.com/vb

المحادثة هى الثانية بين الرجلين فى الـ ٢٤ ساعة الأخيرة، والسادسة منذ بدء القتال فى غزة.

بعد الحديث أبلغ الرئيس الأمريكى معاونيه بأنه يشعر أنه بنى علاقة عمل مع مرسى، وأن دوره - أى مرسى - سيتجاوز الأزمة الراهنة، لدفع عملية السلام قدما، وأضاف أنه تأثر ببراجماتية الرئيس المصرى، وأنه شعر بأن الرجل يتمتع بدقة المهندس، وأنه - أى أوباما - فوجئ بالقليل من الإيديولوجية فى حديث الرئيس المصرى، ولكن الرجل لا يعد إلا بما يستطيع، إلا إنه يفى بما يعد به.

وتنقل نيويورك تايمز عن مساعدى أوباما بمناسبة ذلك التقرير قولهم : " إننا نستطيع التعايش مع بعض أحاديث مرسى الشعبوية، طالما أنه يتخذ مسلكا بناءا فى الجوهر"

وكان المساعدون يشيرون إلى أحاديث مرسى من قبل عن أبناء القردة والخنازير فى وصف اليهود، ووصفه إياهم ذات مرة بأنهم قتلة ومصاصو دماء.

تعاون ضمنى مع إسرائيل :

و فى تقييم أولى، ولكنه شامل للنتائج الإستراتيجية والسياسية لعملية عمود السحاب الإسرائيلية على غزة، كتب روبرت فليشر مدير المشروع العربى الإسرائيلى فى مجموعة الأزمات الدولية وأوفير تسالتسبيرج محلل شئون الشرق الأوسط فى المجموعة، فى صحيفة لوموند دبلوماتيك :" إن ما كان استثنائيا، وفقا للمؤسسة الأمنية الإسرائيلية، هو أن عملية عمود السحاب قد أثبتت إن إسرائيل تستطيع

www.ibtesama.com/vb

شن حملات قصف ضد حماس، والفصائل الأخرى فى غزة، بالرغم من أن التغيرات الإقليمية كان من المفترض أن تكبح جماحها، وبالفعل فإن إسرائيل شنت هذه الحملة بتعاون ضمنى مع السلطات الإسلامية الجديدة فى المنطقة، ففى نهاية المطاف كانت مصر بقيادة الإخوان هى من دفع باتجاه وقف لإطلاق النار، ذى بنود أقل تفصيلا مما كانت حماس تطالب به من قبل، وعلى الرغم من أن القاهرة سحبت سفيرها من تل أبيب، واستدعت السفير الإسرائيلى عندها لتوبيخه، وسهلت زيارات المسئولين العرب إلى قطاع غزة، فإن إسرائيل اعتبرت أن هذه خطوات صغيرة، إذا ما قورنت بتعاون مصر الحثيث مع الولايات المتحدة لتأمين وقف إطلاق النار.

قطر راعية الإخوان لعبت أيضا دورا ثانويا فى خاتمة الأزمة، فما دفعته لإعادة التعمير كانت قد تعهدت بدفع معظمه قبل العملية الإسرائيلية الأخيرة، لإعادة بناء البنية التحتية المدمرة فى غزة واليوم يبدو أن هذه الأموال قد اكتسبت مزيدا من الأهمية، ليس لشعب غزة وحكومتها فحسب، ولكن أيضا لإسرائيل، حيث قد تساعد على تعزيز اقتصاد غزة، ومن ثم تثنى حماس عن العودة سريعا للعنف.

ويبدو أن تركيا أيضا قد اتعظت، فلم تكن قادرة إلا على الإدانات البلاغية، وما ينم عن الكثير هو أن أنقرة استأنفت المحادثات السياسية مع إسرائيل بسبب عملية عمود السحاب، وكانت العلاقات السياسية بين إسرائيل وتركيا شبه مجمدة بسبب الهجوم الإسرائيلى على سفينة الإغاثة التركية (مرمرة) إلى غزة عام ٢٠١٠، وقد قتل فى هذا الهجوم تسعة أتراك.

وإذا ما نحينا النزعات اللاهوتية جانبا، فقد أظهرت الحكومات الإسلامية الجديدة فى المنطقة والموالية للولايات المتحدة أنها تشارك

www.ibtesama.com/vb

إسرائيل المصلحة فى الحفاظ على علاقات جيدة مع الغرب، وفى المحافظة على الاستقرار الإقليمى، وربما تكون عملية عمود السحاب قد أذكت التفاؤل بين البعض فى إسرائيل بظهور (ثلاثى عربى وإسلامى مكون من مصر وقطر وتركيا) يضع الواقعية السياسية ضمن أولوياته، ورغم قلة عدد من يعتقدون فى إسرائيل أن هذه الكتلة يمكن أن تتحول إلى حليف إستراتيجى فى إرساء السلام، فإن كثيرين يرون فيها شريكا حقيقيا فى تجنب الحرب.

لا يجدر التهوين من الأمر، لأن هذا التصور لم يكن ممكنا على الدوام، إذ ترك سقوط حسنى مبارك إسرائيل تواجه مصر غامضة يصعب التنبؤ بالمسارات التى ستسلكها وفى غضون أشهر تبددت الآمال الإسرائيلية الأولية فى أن تبقى مصر تحت الحكم العسكرى، وقبل خلع القادة العسكريين الكبار أثبتت الاستجابة المترددة للحكومة المصرية للهجوم الغوغائى على السفارة الإسرائيلية فى سبتمبر ٢٠١١، والتهديد بإعدام غوغائي أيضا لموظفى السفارة أن القبضة الحديدية للأجهزة الأمنية المصرية لم تعد بالصلابة ذاتها، ولم تحمل الانتخابات البرلمانية فى ديسمبر ٢٠١١ انتصارا لجماعة الإخوان المسلمين فحسب، ولكنها أظهرت وزن السلفيين أيضا، ونتيجة لذلك ومن وجهة نظر إسرائيل فإنها رأت المستقبل أكثر سوادا مما كانت تتصور، ثم انتهت الانتخابات الرئاسية اللاحقة فى مايو ويونيو من العام الماضى بانتصار السيد محمد مرسى مرشح الإخوان، وحتى ولو كان انتصاره ضيقا، فلم تغير استقالته من مكتب الإرشاد أية تصور عنه.

أدت الخطابات الساخنة التى تلت ذلك إلى فتور العلاقات بين البلدين، وتعرضت هذه العلاقات لهجوم كبير خلال التصعيد الدورى

www.ibtesama.com/vb

فى غزة من جانب جماعة الإخوان، وفى البرلمان المصرى الذى أعلن عزمه سحب السفير من تل أبيب، وطرد سفير إسرائيل من القاهرة، ووقف بيع الغاز الطبيعى المصرى لإسرائيل، وإدخال تعديلات على معاهدة السلام لعام ١٩٧٩، وقد تلا ذلك هجمات متكررة على خط أنابيب نقل الغاز فى سيناء، ثم ألغت مصر العقد، لكن الحكومتين المصرية والإسرائيلية قللتا من شأن الأبعاد السياسية لهذه الخطوة، إلا أن قليلين جدا من الإسرائيليين من يعتقدون أن الأمر كان قرارا تجاريا بحتا.

لم يرق لإسرائيل تكديس مرسى للسلطات فى يديه، وفى يوم ٥ أغسطس ٢٠١٢ قتل جهاديون ١٦ من رجال الشرطة المصرية بالقرب من معبر رفح، ومن ثم هاجموا جنودا إسرائيليين عند معبر كرم أبو سالم القريب، مما أظهر أن سيناء عادت أكثر فوضوية مما كانت عليه تحت حكم مبارك.

ردت القاهرة باستعراض للقوة، ولم تعارضها إسرائيل من حيث المبدأ، لأنها شاطرتها الهدف، أما دخول الدبابات المصرية إلى سيناء دون تنسيق، فكان موضوعا آخر، لأنه انتهاك لمعاهدة السلام، وسرعان ما تراجعت القوات المصرية تحت ضغط الولايات المتحدة وإسرائيل، عندما استغل مرسى فشل أجهزة الاستخبارات العسكرية المصرية فى وقف الهجوم كمبرر لإقالة رؤساء الأجهزة الأمنية القديمة، قرعت من جديد أجراس الخطر، لاسيما فى وزارة الدفاع فى تل أبيب، هكذا عبر عاموس جلعاد مدير الشئون السياسية/ العسكرية فى وزارة الدفاع الإسرائيلية والذى يعتبر المسئول الأول عن التعاون مع الجيش المصرى، عن أسفه للمنحى الذى اتخذته الأحداث معلنا " نزوع مصر نحو التطرف إثر وصول الإخوان المسلمين إلى السلطة مما سيؤدى إلى بروز دكتاتورية رهيبة، بالرغم من الرغبة فى بسط الديمقراطية ".

www.ibtesama.com/vb

فى الوقت ذاته يدرك المسئولون الإسرائيليون أن الرئيس مرسى العالق بين الضغوط المحلية والالتزامات الخارجية غير راغب فى افتعال أزمة مع إسرائيل، وثمة عدة دلائل تشير إلى ذلك، فقد عينت القاهرة سفيرا جديدا فى إسرائيل، ورفضت فتح معبر رفح للبضائع، ولم تسمح لحماس بإنشاء مكتب سياسى لها فى القاهرة واعتبرت إسرائيل تصريحات السيد مرسى حول التزام مصر بالاتفاقيات السابقة إشارة قوية على استمرار العلاقات المصرية الإسرائيلية، كما أدرك بعض الإسرائيليين المتبصرين التحول الكبير فى الموقف التقليدى للإخوان، الذى كان ينادى بطرح معاهدة السلام مع إسرائيل على استفتاء شعبى، وهو ما كان طريقة دبلوماسية للدعوة لإلغاء المعاهدة، فقد تحول كل ذلك الآن إلى تركيز أكثر تواضعا على تعديل جانبها العسكرى فقط.

ويذهب البعض فى إسرائيل إلى حد المحاججة بأن من شأن تعديل توافقى للجانب العسكرى فى المعاهدة المصرية الإسرائيلية أن يشكل تأكيدا غير مسبوق من قبل الإسلاميين على هذه المعاهدة.

هناك بعض المؤشرات الخافتة على أن الموقف الدبلوماسى للإخوان من الصراع العربى الإسرائيلى بدأ يتطور تدريجيا وقد يصبح أكثر مرونة مما كان عليه الأمر عندما كانت الجماعة فى المعارضة، إذ ظهرأن الرئيس مرسى نفسه ينطق علنا اسم إسرائيل مرتين خلال مفاوضات وقف إطلاق النار، وهو شئ لم يحدث منذ تنصيبه، والأهم من ذلك هو تبنى الحكومة التونسية التى يقودها حزب النهضة الإخوانى لمبادرة السلام العربية من خلال التأكيد السنوى عليها فى القمة العربية ببغداد، ومع مرسى فى سدة الحكم أيدت مصر هذه المبادرة فى قمة عدم الانحياز فى طهران، وتعمل الأحزاب التابعة للإخوان جاهدة لبناء علاقات مع

www.ibtesama.com/vb

الغرب والولايات المتحدة خصوصا، ولا يمكن الحفاظ على هذه العلاقات على المدى الطويل دون إحراز نتائج ملموسة فى عملية السلام.

ونظرا للأهمية التى اكتسبها الدين اليوم فى عالم السياسة فى المنطقة فليس لدى معظم اللاعبين الرغبة فى تقديم تنازلات رسمية قد تكون ضرورية لتعزيز حل الدولتين، بل إن السيناريو الأكثر احتمالا هو أن يقرر مرسى ونتنياهو (رئيس وزراء إسرائيل)، وكذلك قطر وحماس وغيرهم وضع القضية الفلسطينية فى ذيل قائمة الأولويات، وذلك ليس لمجرد التفرغ لشئونهم الخاصة وحسب، بل لأنهم لا يرون أملا فى تحقيق اتفاق على نهاية اللعبة، وبدلا من ذلك قد يتم التوصل إلى تسوية مؤقتة تسمح للجميع بإعطاء الأولوية لمواجهة التحديات المحلية.

سيكون القتال محدودا، وسريع الاحتواء، وسيتجنب الجميع التكتيكات قصيرة الأمد لصالح التخطيط الإستراتيجي طويل المدى، إن اللعبة طويلة الأمد ستكون هى اللعبة ونهايتها فى الوقت نفسه "

بعد هذا الاستشهاد المطول من صحيفة لوموند دبلوماتيك لا حاجة بنا إلى المزيد إلى الأدلة على أن حرب عمود السحاب الإسرائيلية على غزة قد أجبرت"إخوان السلطة" فى مصر على وقف تكتيك التهرب علنا، والانضمام سرا إلى قافلة الراضخين تباعا لوعد بلفور، والمشروع الصهيونى، وقد قلنا علنا فى أكثر من محفل فى أثناء هذه العملية إن نتنياهو قرر شنها ليعجم عود مرسى تحديدا، مثلما منع طائرته من الهبوط فى مطار رفح برفقة المشير طنطاوى فى أعقاب هجوم الجهاديين على الجنود المصريين يوم ٥ أغسطس ٢٠١٢ لأن المصريين لم يطلبوا إذن إسرائيليا مسبقا مما اضطر الرئيس مرسى وقائده العام إلى الهبوط فى العريش، والتوجه برا إلى رفح.

www.ibtesama.com/vb

وقد رأينا منذ لحظات أن مصر سحبت دبابتها من سيناء بسبب الرفض الإسرائيلى لوجودها وقد أدى كل ذلك إلى رسم الحدود المسموح بها إسرائيليا لرئيس مصر الإخوانية مرسى بالتحرك فيها، وقبلها الرجل، وحزبه وجماعته، أما إذا ما قيل خلاف ذلك فهو تصدير بضاعة مغشوشة للمصريين فى الداخل، ولبقية الإخوان المسلمين، من الصفوف الدنيا فى مختلف بلدان العالم الإسلامى.

إلا أن هذه ليست نهاية المطاف فى رأينا إذ هناك شواهد على أن الإخوان لديهم بالفعل خطة، أو خطوط عامة لخطة متفق عليها مع واشنطن للتسوية الشاملة.

هناك دليلان على ذلك : الأول قول أوباما لمعاونيه فى كمبوديا، بعد محادثته الهاتفية مع الرئيس المصرى إن مرسى سيتجاوز الأزمة الراهنة إلى مرحلة دفع عملية السلام إلى الأمام، ولكنه لم يقل، أو على الأقل لم يقل معاونوه لصحيفة نيويورك تايمز ما هى الشروط التى سيدفع على أسسها مرسى عملية السلام إلى الأمام، بما يشعر الرئيس الأمريكى بالرضا، وبما يدفع الإعلام الأمريكى إلى تصوير مرسى كأحد كبار الساسة فى العالم والى اختياره شخصية عام ٢٠١٢، فى عملية غواية لا تخطئها عين كل من يتذكر إستراتيجية إغواء الرئيس السادات رحمه الله، وعملية اصطياد حسنى مبارك إلى القفص الحديدى الأمريكى الإسرائيلى.

وقد قرر أوباما التعبير عن هذا التفاءل فى أثناء زيارته لإسرائيل فى إبريل عام ٢٠١٣، فقال إن لديه ما يجعله يعتقد بوجود تصور للتسوية النهائية بين إسرائيل والعرب.

الدليل الثانى : جاء فى المفاجأة التى فجرها الدكتور عصام العريان فى شهر ديسمبر - ولم يكن دخان القنابل الإسرائيلية قد انقشع بعد من سماء

www.ibtesama.com/vb

غزة - حين دعا اليهود الإسرائيليين من أصل مصرى إلى العودة إلى وطنهم الأم، ليتركوا أماكنهم للاجئين الفلسطينيين، وحين ادعى على خلاف الحقيقة بأن مصر هى التى طردتهم بقرار من جمال عبد الناصر، متسائلا بغضب كان فن التمثيل فيه واضحا للعين الخبيرة (هو كان بيطردهم ليه ؟) .

إن قليلا من إمعان النظر فى قصة عصام العريان وفلسطين وأمريكا كما بدأت فى ذلك اليوم المشمس الحانى من أيام خريف ٢٠٠٧، على نحو ما ورد فى مقدمة الكتاب، يظهر أن هذا الرجل هو المكلف بملف تهيئة الرأى العام المصرى والعربى للتنازلات الإخوانية الجوهرية فى القضية.

إن دعوته ليست إلا مقدمة لتسوية عامة تقوم على المقاصة : إسرائيل لا تدفع تعويضات للاجئين الفلسطينيين بموجب قرارات الأمم المتحدة، ولن تطالب مقابل ذلك بتعويضات اليهود "المطرودين "من مصر والدول العربية، بغض النظر عن أن جميع العرب تعرضوا لضغوط دولية لترك اليهود يهاجرون إلى إسرائيل، وبذلك تدفع الدول العربية مستحقات "يهودها" المزعومين للاجئين الفلسطينيين، بحيث يبدو أن الأموال العربية النفطية لا تُدفع تعويضاً للفلسطينيين، نيابة عن إسرائيل ولكنها تُدفع نيابة عن دول عربية أخرى مدينة ليهودها (المطرودين) بما أن الدول الطاردة فقيرة ولا تستطيع الدفع.

وبالطبع سيرفض الإسرائيليون من أصل مصرى أو عربى العودة إلى جنات الإخوان، وبذلك يصبح مطلب توطين اللاجئين الفلسطينيين بدلا منهم ليس فقط مشروعا من الناحية القانونية، ولكنه نبل، وكرم أخلاق.

ومع أن العريان نسى - وله العذر لكثرة كلامه -أن يدعو بقية دول العالم، وخاصة دول أوروبا الشرقية أن تفتح ليهودها باب العودة من

www.ibtesama.com/vb

إسرائيل إلى أوطانهم الأم لأنها أولى بهم مثلما "أن مصر أولى بيهودها "، فإن الرجل يستحق أن نسجل له بعض مآثره الأخرى : فهو منذ أن قال فى عام ٢٠٠٧، أن الاتفاقية مع إسرائيل ينبغى أن لا تعامل بمنطق الحلال والحرام، كان يقصد التمهيد للانتقال من الرفض المطلق القاطع المانع، إلى الخطوة التالية، التى هى طرحها على استفتاء شعبى، وهو ما طرح فى برنامج المشروع الأول لتأسيس حزب لجماعة الإخوان فى عامى ٢٠٠٦، ٢٠٠٧، وهو أيضا ما ظل يطرحه العريان حتى الشهر الأول بعد قيام ثورة ٢٥ يناير، ويسايره فيه جميع الأعضاء، وكان أبلغ ما قاله الدكتور عصام العريان بعيد تنحى مبارك مباشرة : إن الاتفاقية مع إسرائيل ليست شأنا إخوانيا، حتى ينفرد الإخوان بتقرير مصيرها... إن الاتفاقية تخص الشعب المصرى كله، ولذا سنطرحها عليه فى استفتاء شعبى ليقرر إبقاءها أم إلغاءها عندما نتولى الحكم... قال الرجل ذلك لصحيفة الحياة، وصحيفة الشرق الأوسط، وقناتى الجزيرة، والعربية، لكن ذلك أيضاً كان تمهيداً لقبول المعاهدة دون لجوء إلى استفتاء شعبى.

ومع أن الدكتور العريان، وبقية زملائه لم يظهروا لنا توكيلا من الشعب المصرى صاحب الشأن فى الاتفاقية لحزبه وجماعته بأن يقررا من تلقاء نفسيهما الالتزام بالمعاهدة، بل وبالتخلى عن طلب تعديلها.. فإنهما فعلاها بكل ضمير مستريح، وبكل اطمئنان إلى ضعف ذاكرة المصريين...

القلق الإسرائيلى :

لكن الأمانة تقتضى الوقوف أمام " القلق المقض لمضاجع الإسرائيليين" من تولى الإخوان السلطة فى مصر، فى رأى بعض معلقيهم، وحسب عقيدة الإخوان عندنا.

www.ibtesama.com/vb

ألم يتدخل آرييل شارون عندما كان رئيسا لوزراء إسرائيل لدى الرئيس الأمريكى جورج بوش ليترك لمبارك حرية تزوير الجولة الثالثة من انتخابات مجلس الشعب المصرى عام ٢٠٠٥، فيمنع فوز الإخوان بأكثر من الـ ٨٨ مقعدا التى فازوا بها فى الجولتين الأولى والثانية ؟!

ألم يكتب أحد كبار الكتاب المصريين - نقلا عن مراسل تابع لحماس فى غزة - أن بنيامين نيتانياهو لم يذق طعم النوم ليلة انتخابات الرئاسة الأخيرة فى مصر خوفا من فوز مرشح الإخوان؟

ألا تتوالى التصريحات المتوجسة من أسلمة مصر من المسئولين الإسرائيليين ؟؟ وتتعاقب التحليلات الأمنية والإستراتيجية فى إسرائيل الأكثر توجسا ؟

كما قلنا فإن الأمانة تقتضى الإجابة عن هذه التساؤلات :

فى حالة شارون وبوش ومبارك وانتخابات ٢٠٠٥ فى مصر، لم يكن الارتباط البناء قد بدأ بين واشنطن والإخوان المسلمين. وهذه إجابة كافية.

أما بعد الثورة المصرية، وبعد الارتباط البناء، فكل عقل يهتم قليلا بالسياسة لابد أن يفترض أن الإسرائيليين لن يستقبلوا اعتلاء الإخوان، سدة السلطة فى مصر بالترحاب، مهما تكن الولايات المتحدة قدمت لهم من تطمينات وضمانات، فالاستقبال المتوجس ضرورى من باب أن سوء الظن من حسن الفطن، وأنه سوف يدفع " الإخوان " إلى مزيد من التنازلات، والى إخراج التنازلات من دائرة السرية إلى نور العلانية.

وفى الوقت نفسه فإن السياسة رهانات، فماذا إذا فشل الرهان الأمريكى على اعتدال الإخوان، وارتد الإخوان إلى سابق عهدهم فى العداء

www.ibtesama.com/vb

" الدينى لليهود"، وتحولت البلاغيات اللفظية للمرشد، وأعضاء مكتب الإرشاد إلى سياسات لحزب الحرية والعدالة ؟ إذن ليظل الحذر قائما إلى أن يثبت النجاح النهائى للاستراتيجية الأمريكية الجديدة، ليس لأن إسرائيل لديها ما تخشاه من حدوث جزر فى موجة القبول الإسلامى بها، والذى سيبلغ مداه بقبول الإخوان، ومن ثم حماس، يليها، أو قد يسبقها الإخوان المسلمون عندما يعتلون قمة الحكم فى سوريا بعد سقوط نظام بشار الأسد الطائفى فى ثيابه القومية، ولكن لأن الحذر والضغط هما اللذان يقربان تحقيق الهدف.

فهل يمكن أن يقبل الإخوان فى مصر الاتفاقية مع إسرائيل، ويضمنوا سلوك حماس ؟ ويبقى إخوان سوريا على عدائهم القديم لإسرائيل ؟ وكيف لن يكونوا جزءا من الارتباط الأمريكى البناء ؟ سؤال لا محل له... لأن الإجابة... هى أن إخوان سوريا جزء من كل.. وقد كانوا، وسيبقون فى حاجة إلى الرعاية الأمريكية، بوكالة مصر وتركيا.

لكن السؤال الأكثر أهمية هو : هل الارتباط البناء بالإخوان المسلمين هو اختيار نهائى للولايات المتحدة، أم أنه اختيار تجريبى ؟! الأصح أنه اختيار تجريبى، وبالطبع يتوقف الكثير على نجاح تجربة حكم الإسلاميين فى مصر على وجه الخصوص، لأن مصر هى الأهم عند إسرائيل، ومع ذلك فهذه الإستراتيجية تواجه تحديات خطيرة داخل الولايات المتحدة نفسها، فهناك مؤسسات تتشكك فى جدوى الارتباط بالإخوان المسلمين، ويكاد معهد هدسون للدراسات السياسية يتخصص فى وعظ الرأى العام الأمريكى والنخبة ضد الثقة فى الإخوان، ولا يزال هذا المعهد المؤثر جدا فى صفوف اليمين الأمريكى التقليدى يصنف الجمعية الإسلامية لشمال أمريكا بوصفها منظمة ذات ماض عنصرى

www.ibtesama.com/vb

إرهابى، ونحن نذكره كمثال واحد على هذه المؤسسات البحثية التى كرست جهدها منذ عام ٢٠٠٧ للتحذير من ثغرات ومخاطر الارتباط البناء بالإخوان المسلمين.

وهناك مجموعة محافظة فى الكونجرس جعلت شغلها الشاغل متابعة العلاقات الأمريكية الإخوانية من باب النقد والتنبيه، ناهيك بالطبع عن اليمين المسيحى، ومنظمات اللوبى الصهيونى، وهؤلاء هم من ضغطوا، ونجحوا أحياناً فى تجميد، أو تأخير أقساط المعونة الأمريكية لمصر، عقاباً لحكومة الإخوان فى بعض المناسبات، أو تذكيراً لها بأننا هنا نراقب، وأن الحبل ليس على الغارب.

ونستطيع أن نقول إن الغرض الأول لهذه الضغوط هو إبقاء الإخوان المسلمين فى دائرة الاتهام من أجل جرهم إلى مزيد من التنازلات، لكن السلاح الأقوى لإخضاع الإخوان، أو إبقائهم فى الجعبة الأمريكية هو ما ألمح إليه الكاتب المشهور إيان جونسون فى مقال له فى صحيفة وول ستريت جورنال يوم ١١ سبتمبر عام ٢٠١١ بعنوان التاريخ السرى للعلاقات الأمريكية مع الإخوان، فقد طلب رسميا من وكالة الاستخبارات المركزية رفع السرية عن أرشيف الإخوان فى الوكالة.

"فكان الرد الرسمى الذى تلقاه ونشره، هو أن كشف هذا الأرشيف سوف يكون مدمرا للإخوان فى مصر.."

ونضيف نحن إلى مقال جونسون : إن لكل شئ وقته المناسب.

قانون تاريخى :

سؤال أخير فى هذا الفصل يكشف ما يشبه القانون فى علاقات حركات الإسلام السياسى "بالاستعمار الغربى "... فهل سيكون الإخوان

www.ibtesama.com/vb

استثناءا من ظاهرة تفاهم الإسلاميين فى نهاية المطاف مع القوة الاستعمارية المهيمنة بعد عدة جولات من الصراع ؟

كانت أعنف حركات الإسلام السياسى كفاحية ضد الاستعمار فى تاريخنا الحديث هى الحركة المهدية فى السودان، وبعد جيل واحد كان السيد عبد الرحمن المهدى الابن الأكبر للإمام محمد أحمد المهدى المؤسس، ووريث قيادة الأنصار من الخليفة عبد الله التعايشى خليفة المهدى الكبير يتعلم فى بريطانيا، ويحصل على لقب "سير" ويتحالف مع البريطانيين ضد الطائفة الختمية من ناحية، وضد الارتباط بمصر من ناحية أخرى.

وفى مصر اضطر رجل فى وزن وإخلاص واستنارة الإمام محمد عبده إلى الاستعانة باللورد كرومر عميد الاحتلال لمواجهة عداء الخديوى عباس حلمى الثانى، لكنه لم يفعل ذلك سرا، وكان الإمام أحد الثوار العرابيين، وملهم الجيل الذى قاد ثورة ١٩١٩، وقاد الإصلاح فى مصر فى جميع الميادين.

أما السنوسية التى كانت الحركة الرئيسية للتجديد الإسلامى فى شمال إفريقيا وصحرائها الكبرى وأنجبت الشهيد عمر المختار فى ليبيا، والأمير عبد القادر الجزائرى، فانتهت بالملك إدريس السنوسى الذى منح بريطانيا وأمريكا القواعد فى بلاده مقابل استقلال ليبيا وتوحيدها.

وإلى ماذا آلت الحركة الوهابية نفسها ؟..

كان التفاهم مع بريطانيا ثم الولايات المتحدة هو طريق الملكية السعودية (الجناح السياسى للحركة الوهابية) لتثبيت عرشها، وللاستيلاء على بقية شبه الجزيرة... أى الحجاز وعسير من الهاشميين،

www.ibtesama.com/vb

ثم أصبح الضمان الأمريكى لأمن السعودية، وللأسرة المالكة هو التالى فى الأهمية فى الشرق الأوسط للالتزام الأمريكى نحو إسرائيل، والالتزام البريطانى ثم الأمريكى نحو العرش الهاشمى فى الأردن.

إن هذه الظاهرة التى تكاد تكون قانونا فى علاقة حركات الإسلام السياسى بالغرب الاستعمارى ليست فى التحليل الأخير إلا انعكاسا لحقائق موازين القوى الشاملة فى هذه الحقبة من التاريخ، ولكن الفارق الأخلاقى بين جميع هذه الحركات، وبين حركة الإخوان المسلمين فى طور الارتباط البناء مع الولايات المتحدة هو أن السابقين جميعا لم يكونوا يخفون علاقاتهم مع هذا الغرب الاستعمارى عن شعوبهم، ولم يكونوا يبشرون بأنهم هم الحل التاريخى (الذى لا حل بعده) لاستعادة مجد الإسلام، وهزيمة أعدائه من مانيلا حتى فاس، وأن كل من يتصدى للقيادة غيرهم إما خائن وعميل، وإما علمانى كافر.

أما الفارق الأكبر والأخطر بين كل تلك الحركات المنتسبة للإسلام السياسى فى القرن ١٩، وبين حركة الإخوان المسلمين، وما انبثق عنها من حركات منتسبة للإسلام السياسى : فهو ظهور الصهيونية، ثم إسرائيل.

كانت الحركات السابقة تواجه استعمارا عسكريا.... جاء، وسيزول يوما ما... وإذا كانت موازين القوى لا تتيح لهذه الحركات وشعوبها هزيمته فى معركة عسكرية تقليدية، فالمقاومة بشقيها القتالى والسياسى كان يمكن أن تسد الفجوة فى هذا التوازن، وهذا ما حدث فعلا.

وأجبر الاستعمار على الرحيل فى نهاية المطاف، وانتهت الظاهرة الاستعمارية فى العالم كله، وكان الفضل فى ذلك يعود إلى حركات التحرر الوطنى، وفى قلب مضمونها الوطنى كان الدين يلعب دورا مهما بكل تأكيد، سواء فى الحالة الإسلامية، أو فى غيرها كالهندوس فى الهند مثلا.

www.ibtesama.com/vb

وحتى فى حالة استعمار استيطانى، كما كان حال الاستعمار الفرنسى للجزائر، والاستيطان العنصرى الأبيض فى كل جنوب إفريقيا، وروديسيا الشمالية (زامبيا حاليا)، فإن هذا الاستيطان بقى جيبا معزولا فى مناطق محددة جغرافيا، ولم يتمكن من تفريغ الأرض من سكانها الأصليين، بل لم يخطط لمثل هذا التفريغ، مما سهل فيما بعد إنهاء الظاهرة.

أما فى حالة الصهيونية وإسرائيل، فنحن أمام حالة فريدة من الاستعمار الاستيطانى، حالة جرى فيها تفريغ الأرض فعلا من سكانها الأصليين، ومنح العالم شرعية قانونية لهذا المشروع مبكرا، وجرى تداخل بين ما هو مصلحة، وبين ما هو "قيمة" فى هذا المشروع، وبين القوى الاستعمارية الكبرى، بحيث تصبح كل تسوية مقترحة متناقضة جذريا مع منطلقات الإسلام السياسى كما قدمه لنا الإخوان المسلمون، والحركات المنبثقة عنهم، ومن ثم فإن انطباق قانون " الموالاة فى نهاية المطاف " بين حركات الإسلام السياسى، وبين تلك القوى الاستعمارية، يجرد، أو يجب أن يجرد الإسلام السياسى كما يفهمه الإخوان المسلمون من علة وجوده، لقوم يعقلون.

وهنا نفهم لماذا قال المفكر الأمريكى (اليهودى المنشق) ناعوم تشومسكى : إن الولايات المتحدة لا تخشى الإسلام السياسى الراديكالى، ولكنها تخشى الإسلام السياسى المستقل....

ونضيف نحن أن الارتباط البناء جعل الإخوان المسلمين أبعد ما يكونون عن الاستقلال.

مبكرا جدا...و قبل عشر سنوات بالضبط من اعتماد "هذا الارتباط البناء " كسياسة رسمية بقرار من السيدة كوندوليزا رايس.. أى فى عام ١٩٩٧ قدم ريتشارد ميرفى المساعد الأسبق لوزير الخارجية الأمريكية

www.ibtesama.com/vb

التوصية التالية، ونشرها فى مجلة ميدل إيست بوليسى : إن الأساس القومى لمخاوف الولايات المتحدة من التغيير السياسى نحو الإسلام السياسى فى الشرق الأوسط يرتكز على الخلافات الواضحة والقاطعة فى الرأى حول القضايا العربية الإسرائيلية، وحول العلاقات الأمريكية القوية مع بعض النظم الحاكمة فى المنطقة التى يتحداها الإسلاميون، وعلى واشنطن أن تتحمل الآلام اللازمة ليتضح للإسلاميين أن سياستها نحوهم محكومة بهذين الاعتبارين"إسرائيل وحكومات الخليج "، وليست محكومة بالرفض الشامل للقوى التى تسمى نفسها إسلامية.

[قطعت جهيزة قول كل خطيب].

www.ibtesama.com/vb

عصير الكتب
www.ibtesama.com/vb
منتدى مجلة الإبتسامة

www.ibtesama.com/vb

الفصل الخامس
الغاز المسيل للإيديولوجيات

عندما انطلق إرسال محطة الجزيرة التليفزيونية من قطر بإيقاعها السريع، وانغماسها الفورى فى تحطيم محرمات السياسة العربية المتكلسة من المحيط إلى الخليج، كنت من أكثر المتحمسين لدور هذه المحطة، وكنت على يقين بينى وبين نفسى أن "الجزيرة" سوف تفكك أيضاً التكلسات التى أحاطت بمهنة الصحافة فى العالم العربى عموما، وفى مصر خصوصا.

لم أتوقف كثيرا عند التحفظات على بعض أساليبها المهيجة، وعلى مجافاتها لروح المهنية أحيانا فى برامج الصراخ المتبادل بين ضيوفها، وسعيها لتعويد المشاهد العربى على وجوه وأصوات الضيوف الإسرائيليين، لأن الأهم فى نظرى كان هو إيقاظ مجتمعاتنا من سباتها الطويل، وإقلاق راحة حكوماتنا التى استنامت إلى موت السياسة فى بلدانها.

تجاوزت بينى وبين نفسى أيضا عن ملابسات إنشاء المحطة، وكنت قد سمعت منها الكثير من زملاء أثق بهم أبرزهم الخبير الإعلامى المصرى البارز الأستاذ السيد الغضبان، فما جدوى كل تلك التحفظات،

www.ibtesama.com/vb

وقد أصبحت الجزيرة المحطة التليفزيونية الأولى فى العالم العربى، والمحطة العربية الأولى فى العالم، وأصبحت مصدرا تنقل عنه أشهر الشبكات العالمية، وزلزلت أركان الإعلام الحكومى.

كنت أدرك أيضا أن انتقال القيادة فى قطر من جيل شيوخ النفط الذين يسهرون الليل، وينامون النهار إلى جيل شاب تعلم فى الغرب، لديه الطاقة، والثروة المالية الفلكية المنهمرة من حقول الغاز الطبيعى، كان سوف يجبر ساسة دول الخليج على تعلم سرعة الفعل ورد الفعل، إذ كنا كصحفيين ننتظر كثيرا - حتى الطبعات الثالثة - ليأتينا رد الفعل السعودى، أو الإماراتى، أو الكويتى على حدث مهم داخليا وخارجيا... لأن الشيوخ لا يبدأون أنشطتهم إلا بعد صلاة العشاء !!!.

لكن قطر لم تعد محطة تليفزيون، ولا أرصدة مكدسة فى البنوك، أو حتى صناديق استثمار ضخمة هنا وهناك، إنها أصبحت ظاهرة سياسية إقليمية، ودولية، فهى تتوسط فى لبنان، ودارفور، وبين حماس وفتح، وتتبادل الحوار مع إسرائيل وإيران، وتنجح فى أغلب الأحيان فى كل هذا، وهى قريبة بما يتيح لها فهم ما تفكر فيه واشنطن، وهناك دور يبحث عن بطل فى المنطقة منذ تقزمت مصر، وانقضت بسرعة الحقبة السعودية التى ارتبطت بشئ من الديناميكية فى أداء الملك الراحل فهد منذ أن كان وليا للعهد، ثم ملكا حتى أصابه المرض المقعد بعد قليل من تبوئه العرش، وازدوجت السلطة أحياناً بينه وبين ولى عهده الملك الحالى عبد الله بن عبد العزيز.

أمريكا تبحث عن نقطة التقاء مع الإسلاميين.

والإسلاميون يبحثون عن نقطة التقاء مع أمريكا.

www.ibtesama.com/vb

فلماذا لا تقرر قطر أن تكون أداة الوصل، وواسطة العقد ؟

لقد كان الخليج ملجأ الإسلاميين فى الماضى، ومرعاهم الخصيب، وفى حالة قطر فالأموال موجودة.... وديناميكية اتخاذ القرار، والتحرك السريع، والمتابعة متوافرة، والثقة قائمة، ولا يعتريها شك بين واشنطن والدوحة.

السلطة السعودية - إلى جانب ما ذكرناه تـوا - غارقة فى مشكلاتها مع "الإسلاميين" أنفسهم منذ وقت طويل، بل وأصبحت هدفا لعملياتهم، ولم يعودوا يسمون هناك سوى بالفئة الضالة، ولم يعد المال كافيا لامتصاص غضبهم، والشيوعية لم تعد هنا فى عدن، ولا هناك فى موسكو حتى يصطف السعوديون كلهم ضدها، وفضلا عن ذلك فالإسلاميون السعوديون ليسوا مستعدين لحل أنفسهم، والكف عن المعارضة، مثلما فعل الإخوان المسلمون فى قطر.

ثم إن الصراع عميق ومتسع بين اتجاهات إسلامية عديدة داخل المجتمع السعودى فضلا عن الصراع بين الإسلاميين فى جانب، والليبراليين فى جانب آخر، والصراع بين السنة، وشيعة "الشرق والجنوب"، والضغوط الدولية على السعودية عارمة لتجفيف منابع تمويل الإسلاميين "الإرهابيين" منذ أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١، وعليه فلم تعد السعودية مؤهلة للقيام بهذا الدور.

أما الكويت فقد فقدت دورها القيادى كمركز إشعاع ثقافى على المستوى العربى، وكمصدر رئيسى للمساعدات وتمويل التنمية فى الدول العربية، ويعود الجزء الأكبر من أسباب فقدان الكويت لهذه المكانة إلى صدمة الغزو العراقى، لكن جزءا لا يستهان به من الأسباب يرجع إلى شيخوخة السلطة، ورفضها الاستجابة لمقتضيات " ما جنته يداها " من

www.ibtesama.com/vb

تحديث وتعليم وإثراء للمجتمع، بما يتطلب مشاركة سياسية حقيقة تخرج بالحكم من صيغة الاحتكار القبلى الموروثة من العصور الوسطى.

وأما الإمارات، فهى تعانى من تمزق عملية صناعة القرار، منذ أن تقدم سن رئيسها الأول ومؤسسها الشيخ زايد، ومن صراع الأجيال الشابة فى الأسر الحاكمة ما بين الإسلاميين، والقوميين، والمرتبطين بالإستراتيجية الأمريكية للحماية من " أطماع إيران".

وللبحرين كذلك مشكلاتها المزمنة، الفقر البترولى من ناحية، وغضب الأغلبية الشيعية من ناحية أخرى.

وأما سلطنة عمان فهى قابعة فى شبه عزلة فى ركنها بين الخليج والمحيط الهندى، هى فقيرة الموارد، وإباضية المذهب، والإباضية فرقة معتدلة من الخوارج، ومن ثم لا تصلح لدور محرك التفاعل بين الإسلام السياسى السنى، والولايات المتحدة.

***

منذ عدة أعوام زارتنى فى مكتبى فى الأهرام السيدة سميرة رجب التى عينت وزيرة للإعلام فى البحرين منذ ٢٠١٢، وهى من أسرة شيعية، لكنها عروبية المذهب السياسى بحماس يشبه حماس الخمسينيات من القرن الماضى، وكانت الزيارة بتوصية من الصديق والزميل الدكتور عزمى خليفة سفير مصر الأسبق فى المنامة، لإطلاعى على حقائق الصراع السياسى فى الخليج، وخاصة فى قطر، ومما استنتجته من حديث الأستاذة سميرة أنه جرت تسوية للمنافسة بين الاتجاهين القومى / الناصرى بزعامة الشيخة موزة المسند زوجة الأمير حمد بن خليفة آل ثان أمير البلاد، والتيار الإسلامى بزعامة الشيخ حمد بن جاسم (رئيس

www.ibtesama.com/vb

الوزراء ووزير الخارجية)، لمصلحة قطر " البراجمانية"، وكان ذلك يعنى أن الوقت هو وقت الإسلاميين، وليس وقت القوميين، بما أن الدور الإقليمى لقطر سوف يلعب بالتعاون مع الإستراتيجية الأمريكية.

موجات إخوانية :

كانت شبه الجزيرة القطرية الصغيرة قد تعرفت مبكرا إلى الإخوان المسلمين، فقد استقبلت أولى موجاتهم المهاجرة من مصر بعد أحداث الصراع مع عبد الناصر سنة ١٩٥٤، واستقبلت الموجه الثانية بعد مذبحة حماه السورية ضدهم عام ١٩٨٢، أما الموجة الثالثة فجاءت من شمال إفريقيا (تونس والجزائر وليبيا) فى تسعينيات القرن الماضى، إثر نشوب الصراع بين حكومات هذه الدول، والإسلاميين، وذلك عندما انقلب الجيش الجزائرى على المسار الانتخابى الذى فازت فيه جبهة الإنقاذ الإسلامية بالأغلبية، وحل زين العابدين بن على محل الرئيس الحبيب بورقيبة العجوز الأقل دموية فى تونس، كما انقلب معمر القذافى فى ليبيا على الإسلاميين لفشل مشروعه "الفيلق الإسلامى فى الصحراء الإفريقية" وحصوله بالمال على النفوذ المبتغى داخل قصور الرؤساء، وشيوخ القبائل فى المنطقة.

وتدفقت الموجة الرابعة من الإسلاميين على قطر من السعودية التى ضيقت الخناق عليهم بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ الإرهابية فى الولايات المتحدة، ومن قبلها التفجيرات الإرهابية أيضاً فى الأراضى السعودية نفسها، فى الخبر والرياض والدمام، التى ثبت منها أن أغلب إرهابيى ذلك اليوم إما سعوديون، أو ذوى روابط مع جهات سعودية.

www.ibtesama.com/vb

إذن فالرديف البشرى من الإسلاميين موجود وبكثرة فى قطر.

كانت الخطوة الأولى هى تأسيس منتدى الحوار الأمريكى الإسلامى عام ٢٠٠٤ برعاية وزارة الخارجية القطرية، وأصبح المنتدى محفلا سنويا لالتقاء الخبراء والمسئولين الأمريكيين، بجميع أطياف الإسلام السياسى، تمهيدا لاختيار الشريك الإسلامى للإستراتيجية الأمريكية فى الوقت المناسب.

إتحاد العلماء :

وهناك أيضا تأسس الإتحاد العالمى لعلماء المسلمين، وهو منظمة محمودة الغرض الدينى، برئاسة الشيخ الدكتور يوسف القرضاوى، الذى كان هو نفسه أحد لاجئ الإخوان إلى قطر منذ عشرات السنين، لكن دوره السياسى لم يكن ليبقى مستقلا حتى النهاية.

تأسس الاتحاد لقيادة الإسلام السنى فى موجهة الإسلام الشيعى الذى اكتسب احتراما بثوريته ضد الشاه، وضد النفوذ الاستعمارى، وضد الصهيونية بواسطة حزب الله اللبنانى، وعن طريق دعم حركة حماس الفلسطينية، وكذلك فى مقاومة الهجوم الشرس ضد الإسلام من محافل غربية سياسية وثقافية، على نحو ما رأينا فى كتابات صامويل هانتيجتون وبرنارد لويس والمحافظين الجدد، وشعارات بوش الابن الصليبية، دون أن ننسى كتابات سلمان رشدى الروائى البريطانى (من أصل هندى مؤلف رواية آيات شيطانية)، وسلسة الكتابات والأفلام السينمائية المماثلة فى حرب الكلمات ضد الإسلام عقيدة، وتراثا، وشعوبا.

وكان على هذا الاتحاد دور آخر، هو دخوله كمنشط للتفاعل بين التنظيمات الإسلامية الأوروبية، والأمريكية، وبين الثقافة والفقه

www.ibtesama.com/vb

الإسلاميين فى الدول الأم، وقد نجح الإتحاد فى هـذا الـدور بحيـث أصـبح يمثل مرجعية فقهية للمسـلمين فى أوروبـا، وأمريكـا، وفى الوقـت نفسـه يمثل مرجعية علمية، ومظلة شبه سياسية جامعة للتنظيمات الإسلامية " السـنية " فى الغـرب، وفى الأوطـان الأم، وراحـت الاجتهـادات التحديثيـة تعرف طريقها إليه من خلال انضمام شخصيات معنية بالفكر الإسـلامى، أكثر من تخصصها فى الفقه مثل الـدكتور محمـد سـليم العـوا المحـامى، وغيره من هذا الطراز.

كانت أولى بشائر التغيير من الفقه التقليدى إلى الفقـه القـائم عـلى اجتهاد يتجدد يستجيب لمتغيرات العصر، الإلحـاح عـلى إخـراج أمريكـا وأوروبا أساساً، ومعهما بقية العـالم غـير المسـلم مـن إطـار دار الحـرب، واعتبارها أقواماً بين المسلمين وبينهم ميثاق، ثم صدور فتوى عام ٢٠٠٣ من مجلس الإفتاء الأوروبى (وهو فرع للاتحاد العالمى لعلماء المسـلمين) بجواز زواج الفتاة المسلمة من رجل مسيحى أو يهودى (أى كتابى، شرط أن تتربص به الإسلام، على حـد منطـوق الفتـوى التـى صـدرت ممهـورة بتوقيع الدكتور يوسف القرضاوى نفسـه بصـفته رئـيس مجلـس الإفتـاء الأوروبى أيضا، وكنا جميعا نعتقـد أن تلـك الزيجـة محرمـة شرعـا لقـول الفقه القديم أن " المسلمة يجـب أن لا تفـترش لغـير مسـلم "، ولأنهـا لا تملك أمر أطفالها بحكم أن الولاية هى للزوج، ومن ثـم فسـوف تنجـب أولادا غير مسلمين.

لقد حتمت الضرورات، إعادة النظـر فى هـذا الفقـه القـديم، فكثـير من الفتيات المسلمات يعشن الآن فى الغرب، وقد لا تجد إحداهن زوجا مسلما، أو قد تغرم بشاب غـير مسـلم، فـما الحـل ؟ هـل تـترك دينهـا... الأفضل إذن أن تبقى على الدين، وتتزوج كتابيا تتربص به الإسلام ؟

www.ibtesama.com/vb

بالطبع لسنا مؤهلين للحكم على مثل هذا الاجتهاد من الناحية الشرعية، ولا يحق لنا أن نقول بالتالى إنه مخالف للشرع، ولكنه بالقطع مخالف للإيديولوجية الاجتماعية والثقافية التى سادت بين المسلمين طوال القرون الأربعة عشر منذ ظهور الإسلام، وحتى صدور هذه الفتوى.

لكن السؤال هنا : هل يجرؤ هؤلاء على التأييد العلنى لزواج مسلمة من غير مسلم فى دول الخليج، أو فى السعودية أو فى مصر ؟! وهل سنجدهم فى الصفوف الأولى ضد التطرف، إذا اندلعت أعمال عنف بين المسلمين الرافضين (لهذه الزيجة) وبين أصحاب الأديان الأخرى ؟ وأين هؤلاء من فتوى صبحى صالح بوجوب زواج الإخوانى من إخوانية، وأين هم من التحريم المبطن لزواج الفتاة السنية من شاب شيعى ؟ أم يكونون من الذين يؤمنون ببعض الكتاب، ويكفرون ببعضه ؟!

إذن نجح الغاز القطرى فى نهاية المطاف فى توفير البيئة القادرة على تسييل هذه الإيديولوجية الجامدة عبر عملية تاريخية مطولة... مثلما سوف ينجح فى تسييل إيديولوجيات سياسية أخرى... أبرزها ما يتعلق بالموقف الإسلامى التقليدى من إسرائيل ومن الصهيونية.

و انطلق صوت الشيخ القرضاوى مدويا فى كل مكان يحذر من المد الشيعى الإيرانى فى بلاد الإسلام السنى، (راجع مقال الشيوخ والسياسة فى ملحق الكتاب) واختفت تدريجيا بلاغياته ضد إسرائيل والصهيونية، إلا إذا حدث عدوان جديد على غزة أو المسجد الأقصى، ومثلما اختفت العمليات الاستشهادية، اختفت دفاعاته الفقهية والسياسية عنها. ولاشك - لدىّ لحظة- أن الاتحاد العالمى لعلماء المسلمين متأثرا باجتهادات وجهود فروع الإخوان المسلمين فى الولايات المتحدة لعب

www.ibtesama.com/vb

دورا مهما فى تخفيف "غلواء " حماس، مع اعتراف المؤلف بإنجازات حماس ضد إسرائيل خاصة إجبارهم على الانسحاب من جانب واحد من غزة، واستعدادى المستمر لمناصرتها ولكن كحركة تحرر وطنى، وليس كفرع للإخوان المسلمين.

***

[يقول الدكتور غانم نسيبة - فى صحيفة سياتل تايمز الأمريكية يوم ١٠ /١٢/ ٢٠١٢ لقد قررت قطر اختيار حركة الإخوان المسلمين عجلة تنشر نفوذها السياسى فى كل مكان فى العالم الإسلامى، ونضيف نحن أن ذلك حدث ويحدث بالتعاون مع الإستراتيجية الأمريكية وفى قلبها المصالحة التاريخية بين الإسلام السياسى، وبين الصهيونية ؟

لقد اتخذت قطر هذا القرار الإستراتيجي منذ عام ٢٠٠٣، فقررت - كما أسلفنا - إنشاء واستضافة المنتدى الإسلامى الأمريكى، ومولت واستضافت فروعا دائمة لمراكز الأبحاث الأمريكية الشهيرة فى الدوحة، وخاصة معهد بروكينجز ومؤسسة راند اللذين أسهما بالقسط الأكبر فى رعاية الحوار الأمريكى الإسلامى.

مشروع النهضة :

وكمبادرة قطرية خالصة أسست الحكومة القطرية "مشروع النهضة" للتدريب والنشر والندوات والمحاضرات، وأسندت قيادته إلى من؟

إلى السيد جاسم سلطان المراقب العام لجماعة الإخوان المسلمين فى قطر نفسها، ولكن بعد أن قررت الجماعة حل نفسها بذريعة أن الحكومة القطرية القائمة تطبق من تلقاء ذاتها برنامج الجماعة، وتساعد سلطان

www.ibtesama.com/vb

نفسه على ترويج هذا البرنامج فى جميع الدول الإسلامية، من خلال فروع جماعة الإخوان، وفى المقدمة منها الجماعة الأم فى مصر.

هل تتذكرون أن المشروع الذى طرحه الإخوان فى مصر كأساس لدعايتهم الانتخابية، كان اسمه مشروع النهضة ؟! بغض النظر عن أنهم عادوا وقالوا إنه لا وجود لمثل هذا المشروع ؟

وقد استضاف مركز جاسم سلطان "للنهضة" معظم قيادات الإخوان المصريين لتدريبهم على العمل من خلال المنظمات الديمقراطية، بدلا من التركيز على التسلل عبر المجتمع للسيطرة أو الهيمنة، وتخرج على يدى المراقب العام السابق لجماعة الإخوان المسلمين فى قطر إخوانيون بارزون، منهم طبيب الأطفال هشام مرسى، حامل الجنسية البريطانية، وزوج ابنة الدكتور يوسف القرضاوى، الذى أسس بدوره مركزا أسماه " أكاديمية التغيير "، والتى لعب من خلالها دورا رئيسيا فى ثورة يناير المصرية، بعد أن قرر الإخوان الالتحاق بها.

كتب هشام مرسى فيما بعد على موقعه فى شبكة التواصل الاجتماعى أنه تعلم من جاسم سلطان الكثير.

وتخرج فى برنامج سلطان للنهضة أيضا رفيق عبد السلام وزير خارجية تونس بعد ثورتها، ورئيس قسم الأبحاث والدراسات فى مركز شبكة الجزيرة بالدوحة.

ومن ليبيا تخرج فى البرنامج نفسه "على السلابى"، وهو من وصفته صحيفة واشنطن بوست بالمهندس الحقيقى لترتيبات الحكم فى ليبيا بعد الثورة، وعاش فى قطر عدة سنوات، وهو من تلاميذ الشيخ القرضاوى، وصرح بأنه طلب مساعدة قطر فى الأيام الأولى للثورة الليبية.

وتدفقت المساعدات من كل الأنواع.

www.ibtesama.com/vb

يحكى المعارض الليبى (الليبرالى) الكبير للقذافى الأستاذ (م.ف.ز) للمؤلف أن ابنه الشاب كان يقود شبكة لنقل هذه المساعدات من قطر عبر الإمارات العربية المتحدة (دبى على وجه الخصوص) ومصر إلى ليبيا، وأن الإماراتيين والمصريين سمحوا بإدخال كل المطلوب، بما فى ذلك الأسلحة والأموال، وأن ابنه كان مختصا على رأس فريقه بنقل وتسليم هواتف الثريا التى تتصل بأى مكان فى العالم من خلال الأقمار الصناعية، وقال الرجل أن الشرط الوحيد للسلطات المصرية (تحت حكم المجلس الأعلى للقوات المسلحة) كان عدم السماح بتسرب هذه المهربات إلى مصر، ولم يكن الرجل سعيدا بدور ابنه رغم أنه هو نفسه يعيش فى المنفى ما بين القاهرة (حيث أنه متزوج من مصرية) وما بين لندن طيلة الثلاثين عاما الماضية بسبب معارضته للقذافى، وكان سبب عدم شعوره بالسعادة بالثورة - التى كان يتمناها، وعمل من أجلها ضد القذافى - أن قطر وكيلة عن الولايات المتحدة، وإسلاميو ليبيا المسيسين سوف يسرقون الثورة من الشعب.

وطبقا لأقوال المصدر نفسه فإن قطر بذلت الكثير من الجهود، والأموال لحرمان السياسى الليبى محمود جبريل (القومى الليبرالى) من رئاسة الحكومة الانتقالية رغم فوز التحالف الذى أسسه بأغلبية مقاعد المؤتمر الوطنى الليبى، وذلك بتكتيل كل الآخرين ضده، والسبب فى رأيه - فضلا عن ضمان النفوذ القطرى فى ليبيا- هو عدم قيام حكومة غير منتمية للإسلام السياسى، ومنتمية إلى القوميين والليبراليين فى دولة غنية بالنفط مثل ليبيا، تستطيع أن تدعم القوميين والليبراليين فى بقية دول الربيع العربى، خاصة فى مصر، وذلك فى مواجهة الدعم القطرى

www.ibtesama.com/vb

للإسلاميين، مما ينذر بانهيار سريع لإستراتيجية الارتباط الأمريكى البناء بالإخوان المسلمين.

هذا الكتاب ليس معنيا بإثبات ما هو ثابت من العلاقات المالية الوثيقة للإخوان المسلمين المصريين أفرادا، وجماعة، وحكومة، ورئيسا بقطر... فهذا معروف للجميع، وتتداوله الصحف العالمية والعربية والمصرية بصفة تكاد تكون يومية.

كان المستشار محمد عبد العزيز الجندى وزير العدل فى حكومة الدكتور عصام شرف، قد أبلغنى - فى خضم حمى الحديث عن التمويل الأجنبى - أن أموالاً غزيرة تدفقت من قطر على جهات مصرية بعينها، منها جمعيات، ومنها شركات، ومنها دور نشر، وأن أحد كبار الناشرين حصل وحده من هذه الأموال على ١٥٠ مليون جنيه مصرى، وأن هذه الأموال استخدمت فى إبقاء الوضع ساخناً للضغط على المجلس الأعلى للقوات المسلحة، حتى يضعف أمام الإخوان، وفى إنشاء محطات تليفزيونية، وأضاف أن جمعية دينية واحدة حصلت على ٢٠٠ مليون جنيه، ورغم أنه سمى لى بعض هذه الجهات، فإنه عاد وطلب منى فى أثناء إعداد الكتاب الذى بين أيدينا عدم تسميتها اتقاءاً لاحتمالات مقاضاته فى وقت لم تعد المستندات فى حوزته.

ولسنا هنا فى معرض إثبات أو نفى ما تردد كثيرا عن خطط لإدارة قناة السويس، أو تعمير سيناء فى إطار تسوية مشكلة اللاجئين الفلسطينيين، أو مشكلة ضيق ساحة قطاع غزة.. لكننا نستطيع الجزم - منذ الآن - بأن الخزانة القطرية سوف تتحمل الجزء الأكبر من

www.ibtesama.com/vb

تعويضات اليهود الذين هاجروا إلى إسرائيل بعد أن أثبت الدكتور عصام العريان حقهم فى التعويض بما أنهم - فى رأيه - طردوا بقرار من جمال عبد الناصر (وقلده فى ذلك بقية الزعماء العرب) وذلك كى تتحول هذه الأموال من " مستحقيها اليهود " إلى اللاجئين الفلسطينيين المستحقين للتعويضات من إسرائيل بقرار دولى يحمل رقم ١٩٨ لسنة ١٩٤٨، وليس بقرار تطوعى من الدكتور العريان، أو حتى بقرار أريحى من المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين.

سوف يحدث ذلك بالطبع إذا سارت إستراتيجية الارتباط الأمريكى البناء إلى نهايتها المأمولة عند أطرافها.. وهذا ما لن يتحقق إلا إذا استتب الأمر للإخوان فى مصر.. فالنجاح يغرى بالنجاح، والفشل لن يأتى إلا بالفشل.

كانت قطر رائدة ما عُرف فى قاموس السياسة العربية - فى تسعينيات القرن الماضى - باسم "الهرولة"، حيث سارعت إلى التطبيع التدريجى مع إسرائيل، آخذة فى ركبها تونس وسلطنة عُمان والمملكة المغربية، وذلك قبل أن يجف مداد اتفاق أوسلو بين إسرائيل ومنظمة التحرير الفلسطينية، المعروف باسم اتفاق غزة - أريحا أولاً، وكان الرأى الغالب وقتها أن الهرولة سوف تضر المفاوض العربى، لأنها تعطى إسرائيل تنازلات مجانية.

وكان الشيخ حمد بن جاسم رئيس وزراء قطر ووزير خارجيتها هو الذى صك تعبير "التسول العربى" فى تصريح علنى له يعترف بأن العرب ليس فى مقدروهم شئ سوى تسول الحلول من الولايات المتحدة، ومن ثم من إسرائيل.

www.ibtesama.com/vb

الرجل ربما لم يكن مخطئاً فى توصيفه لحالة الضعف العربى، ولكن هذا هو الحق الذى يراد به باطل، لأن أول ما يجب أن يفعله الضعيف هو البحث عن وسائل القوة، وليس التسول، فهل جاء الوقت لانضمام الإخوان المسلمين إلى طابور المتسولين ؟! ولكن ماذا سيتسولون ؟! حل القضية الفلسطينية ؟ أم السلطة فى بلدانهم ؟ أم كل ذلك مع الخلافة العظمى ؟!

طبعاً المكابرة ستجعلهم يقولون إنهم سيبحثون عن مصادر القوة.

لقد أسال الغاز القطرى تكلس السياسة العربية، مثلما أسال من قبل تكلس الإعلام العربى، لكنه أسال أيضا إيديولوجية الإخوان المسلمين نحو مغتصبى فلسطين التى هى فى الأصل وقف إسلامى - كما يقولون دائماً - راح ضحيته شهداء كثيرون من الإخوان المسلمين... وكان على رأس موكب شهداء الإخوان - فى رأى المرشد العام الأسبق الأستاذ مصطفى مشهور - "الإمام الشهيد حسن البنا" مؤسس الجماعة.. فهو طبقاً لتصريح مشهور شهيد فلسطين، وإن لم يكن مات على أرضها، وإن كان قد قتل انتقاما لمقتل رئيس الوزراء المصرى محمود فهمى النقراشى بأيدى الجماعة، وذلك انتقاما منه بدوره على قراره بحل الجماعة.

لكن يبدو أن اموال الغاز على كل شئ فى السياسة قديرة.

www.ibtesama.com/vb

خاتمة
صنع القرار فى الجماعة

مثلما بدأت قصة هـذا الكتـاب فى الخريـف، فإنهـا انتهـت أيضـا فى الخريف.

فى خريف ٢٠٠٧ تلقيت هاتف المرشد فى الضحى.

وفى خريـف ٢٠١٢، وفى ضـحى أحـد أيامـه أيضـا... أجـابنى شـباب الإخوان الذين تجمعوا أمام قصر الرئاسة فى مصر الجديـدة (الاتحاديـة) بأنهم لا يريدون أن يعرفوا، وكانت الإجابـة ردا عـلى سـؤال منـى لهـم : هل عرفتم متى، ولماذا قررت قيادة الجماعة تغيير موقفكم من اتفاقيـة السلام مع إسرائيل من عرضها على الشعب فى اسـتفتاء عـام إلى قبولهـا، دون قيـد أو شرط ؟ ومـاذا يعنـى أن هـذا التغـير فى الموقـف قـدم إلى أمريكا قبل أن يقدم إلى الشعب المصرى، والى العالم الإسلامى ؟

www.ibtesama.com/vb

لكن سؤالى نفسه جاء فى نهاية حوار مطول مع هؤلاء الشباب، يستحق أن يروى هنا.

كنا فى ضحى يوم الخامس من ديسمبر عام ٢٠١٢، أى فى صبيحة يوم هجوم الشباب الإخوانى على شباب الثورة المعتصمين أمام الاتحادية احتجاجا على إعلان ٢١نوفمبرالدستورى المكمل الصادر من الرئيس محمد مرسى، ذلك الإعلان الذى ابتدأ الأزمة الوطنية والديمقراطية الكبرى التى لا تزال مصرتترنح فيها حتى ساعة الانتهاء من تحرير كتابنا هذا.. وكنت ذاهبا لأتفقد بنفسى ولنفسى آثار الليلة الماضية، بما جرى فيها من قتل بين الجانبين، وتعذيب للمعارضين.

عندما كنت أقف على رصيف مترو مصر الجديدة (خط النزهة) وإذا بمجموعة أوراق وبوسترات تتطاير، وتتناثر على الرصيف فى هبة ريح قوية بعض الشئ، وسمعت صوتا يعلو بنبره تشى بالشعور بالانتصار، وهو يقول لشاب أصغر منه سنا.. إمسك صورة البطل حتى لا تقع على الأرض، فتصورت أنه يقصد أحد أبطالهم فى موقعة الليلة الفائتة، ممن كانوا الأكثر ضربا للثوار، وسألته من هو هذا البطل التى تخشى من وقوع صورته على الأرض، وكأنه آية من كتاب الله ؟ فأجاب بزهو وثقة : البطل الرئيس محمد مرسى، فعدت أسأل : ولماذا هو بطل فى نظرك ؟ فأجاب : إنه قهر الليبراليين والعلمانيين، وسوف يخلصنا منهم.

عدت أسأل : هل هذه رغبتك الشخصية، أم هذه خطة الجماعة التى أبلغتم بها ؟

www.ibtesama.com/vb

لم يجبنى مباشرة، ولكنه بادر فسألنى : هل يرضيك أن تجتمع السفيرة الأمريكية بالبرادعى، وعمرو موسى، وسيد البدوى، وحمدين صباحى لمدة ٨ ساعات فى مقر حزب الوفد؟

قلت : وماذا فى ذلك ؟

قال : إنها السفيرة الأمريكية.... أقول لك.

قلت: ولماذا يرضيك أن تجتمع السفيرة الأمريكية، ومن قبلها السناتور كيرى، والسناتور ماكين، والرئيس الأمريكى الأسبق جيمى كارتر بقيادات الإخوان، وقيادات حزب الحرية والعدالة، ويجب أن لا يرضينى اجتماعهم بقيادات المعارضة ؟

مرة أخرى : لم يجب مباشرة، وقال إن كيرى، وماكين وكارتر لا يشغلون مناصب رسمية.

قلت : تقصد تنفيذية، لأن كيرى وماكين قيادات بارزة فى الكونجرس.... فما الفرق؟

أجاب خارج السياق قائلا : إنك علمانى، ولم تنتخب مرسى.

قلت : هذا خارج حوارنا، وأنا أيضا لم أنتخب شفيق... لكن خروج على موضوع الحوار بخروج على موضوعه : هناك سؤال يشغلنى، وأريدك أن تجيبنى عليه، مع أن قيادات فى الإخوان تتهرب من الإجابة عليه؟

قال : ما هو ؟

قلت : هل أخذ أحد رأيكم فى تغيير موقف الجماعة وحزبها من اتفاقية السلام مع إسرائيل ؟ وهل وافقتم ؟ ومتى حدث ذلك ؟ ولماذا ؟ وهل سمعتم بشئ اسمه الارتباط البناء بين الولايات المتحدة والإخوان المسلمين ؟

www.ibtesama.com/vb

نسيت أن أقول إن عدد كبيرا من زملاء هذا "القائد" الإخوانى الميدانى كانوا قد التفوا حولنا مع اطراد الحوار....

وهنا أجابنى الجميع بصوت واحد : لا نريد أن نعلم... فماذا تريد إذن يا علمانى ؟! قلت لا أريد شيئا.. وشكرتهم.... واستأذنت، وانصرفت سائرا فى اتجاه بوابة نادى هليوبوليس، وإذا بأحدهم يشيعنى بالعبارة التالية : آه.. لقد عرفناك الآن.. أنت عضو فى هذا النادى : أفجر نادى فى مصر... نادى العلمانيين.

لم يكن شئ فى هذا الحوار مفاجئا لى، ولكن ظل هناك سؤال بلا إجابة.. لا أقصد سؤالى لهذا الشاب حول علمهم من عدمه بتغيير الموقف الإخوانى من الاتفاقية مع إسرائيل، ولكنى أقصد السؤال التالى : كيف يتفق أن يجيب هذا الشاب القادم من الدقهلية وأنصاره على سؤال مهم الإجابة نفسها التى يجيب بها على السؤال نفسه قيادات كبرى فى الجماعة على أعلى درجة من التعليم مثل الدكتور عصام العريان، والدكتور عمرو دراج ؟ فقد رأينا فى مقدمة هذا الكتاب أن العريان ودراج تهربا من الإجابة على سؤال : متى ولماذا غيرتم موقفكم من اتفاقية السلام المصرية الإسرائيلية ؟... ولا فرق كبير أو ضئيل - فى نظرى - بين التهرب من الإجابة، وبين الإجابة ب " لا نريد أن نعرف ". فالتهرب يعنى عدم المعرفة، أو عدم الاعتراف.... وكلاهما يعنى أن بقية أعضاء الجماعة لا يعرفون، وليس مهما أن يعرفوا.

هنا أصبح السؤال الأكبر المترتب على كل ما سبق هو : كيف يصنع ويتخذ القرار السياسى داخل جماعة الإخوان المسلمين :

www.ibtesama.com/vb

لا أظن أن أحدا يملك إجابة، فلا مضابط تنشر بالمناقشات، والتصويت، ولا أحدا ممن يشاركون يفصح... وهذا كله معروف، وكل الدراسات التى جرت حول هذه النقطة ارتبطت بموقف معين ترتبت عليه أزمة كبرى للجماعة، مثل قرار اغتيال القاضى الخازندار، وقرار اغتيال النقراشى، وقرار اغتيال عبد الناصر، وقرار إنشاء تنظيم ١٩٦٥... وغيرها... ولكن هذه الدراسات لم تخلص إلى قاعدة أو قواعد لشرح عملية صنع واتخاذ القرار السياسى " الإخوانى "

حاولت أن أفهم من أحد القيادات التاريخية فى الجماعة، وهو الدكتور كمال الهلباوى ممثل الجماعة فى أوروبا لمدة تربو على عقدين من الزمان، والناطق الرسمى باسمها فى الخارج طيلة هذه المدة، وكان الرجل قد ظل قيادياً بارزاً فى الجماعة حتى إبريل عام ٢٠١٢ حين خرج منها، ومن الجماعة كلها بإرادته، رفضا لممارسات كثيرة أبرزها التردد فى الانخراط فى الثورة منذ البداية، ثم الانسحاب من الميدان فى أوقات حرجة، والانخراط فى اتصالات سرية مع نظام مبارك من خلال المرحوم عمر سليمان فى أثناء الثورة، والخصومة غير النبيلة مع الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح عندما قرر الترشح لمنصب الرئاسة دون موافقة مكتب الإرشاد، وانسحب من عضوية الجماعة، كما تقضى الأصول، وكذلك كان من أسباب خروج الهلباوى تخلى الجماعة عن بعض الثوابت، ومنها رفض اتفاقية السلام مع إسرائيل، أو عرضها للاستفتاء العام، وأخيرا العلاقات غير الواضحة مع الولايات المتحدة الأمريكية التى يعتبرها الهلباوى نفسه دولة "إرهابية ومجرمة " بعد ما رآه بعينه من جرائمها ضد الإنسانية فى أفغانستان والعراق.

سألت الرجل : كيف يصنع القرار السياسى فى جماعة الإخوان المسلمين ؟ وكيف لرجل فى وزنك داخل الجماعة لا يعلم بتفاصيل الارتباط البناء بين الإخوان والولايات المتحدة؟

www.ibtesama.com/vb

أجاب مبتسما ابتسامة عدم الرضا : إنهم يقولون إن النبى عليه الصلاة والسلام كان فى بعض الأحوال يستشير أبا بكر وعمر- رضى الله عنهما - فقط، وفى أحوال ثانية يستشير عددا أكبر، وفى أحوال ثالثة يستشير عامة من حضر من المسلمين، ومن ثم فلا مانع شرعاً من اتخاذ قرارات فى دائرة ضيقة للغاية.

قلت : هذا صحيح، ولكن هل درس أحد من الإخوان متى كان النبى يضيق دائرة الاستشارة ؟ ومتى كان يوسعها ؟ ولماذا ؟ بحيث يستخرج لنا قاعدة نسترشد بها، ويؤسس لفرع جديد فى الفقه السياسى فى الإسلام، هو فقه القرار السياسى إن جاز التعبير، وذلك فى إطار المبحث الأوسع لفقه الشورى، وبذلك يفتح باب خير للمسلمين وللإسلام، وأنا أوافق على أن بعض القرارات تتطلب السرية مثل قرار الرسول حول موعد الهجرة، حيث لم يعلم به مسبقا إلا سيدنا أبو بكر، وسيدنا على.

قال : على حد علمى لم يحدث ؟

قلت: إن هناك فسادا فى القياس فى هذه الحالة.. لأن أى مرشد عام للإخوان المسلمين مهما يبلغ من تقواه وعلمه، لا يجوز له أن يضع نفسه مقام النبى، لسبب بسيط هو أن النبى كان مؤيدا بالوحى، وبصيرة النبوة، والدليل على ذلك موقفه فى صلح الحديبية، حين اعترض أو تحفظ كل الصحابة تقريبا على هذا الصلح (عدا سيدنا أبو بكر)، وكان رد النبى عليهم " أنه يعلم من الله ما لا يعلمون ".. وكان هذا الصلح مقدمة لفتح مكة.. كما أخبر الوحى بذلك فى سورة الفتح.

ولكن النبى كان يستشير فيما ليس فيه وحى، كما حدث فى اختيار " المكان " الأنسب لوقوف جيش المسلمين فى غزوة بدر الكبرى، مما هو مشهور، لكن الأهم هو أن النبى الكريم كان يستشير الجميع عندما

www.ibtesama.com/vb

يتعلق الأمر " بقرار مصيرى " يمس كل المسلمين، وهذه هى القاعدة التى يجب أن يلتزم بها المرشد العام للإخوان، غير المؤيد بالوحى.

فقبل التوجه إلى ملاقاة جيش الكفار فى غزوة بدر، وقف النبى خطيبا، وقال " أشيروا على أيها الناس " موجها الحديث إلى الجميع، والسبب هو أن النبى كان قد خرج بهم للاستيلاء على أموال قافلة قريشية قادمة من الشام تعويضا عن أموال المهاجرين التى أرغموا على تركها فى مكة مهاجرين بدينهم من اضطهاد قريش، ولكن حدث ما لم يكن محسوبا حسابه، إذ تحولت المهمة من استرداد أموال من قافلة إلى معركة مؤكدة بين جيشين، فكان لابد فى سنة الرسول صلى عليه وسلم أن لا يتخذ القرار، دون موافقة الناس.. وليس فقط دون علمهم، اكتفاءاً بالتشاور مع أبي بكر وعمر رضى الله عنهما.

وكان طلب النبى إلى الناس أن يشيروا عليه جميعا هو المناسبة التى قال فيها الصحابى الأنصارى الجليل سعد بن عبادة، قولته المشهورة "لكأنك تريدنا يا رسول الله، والله لن نقول لك كما قال بنو إسرائيل لموسى اذهب أنت وربك فقاتلا إنا هاهنا قاعدون... ولكن نقول لك امض لما أمرك الله، فو الله لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك".

وفى غزوة الأحزاب، كانت الشورى الأولى عامة حول الخروج لملاقاة الكفار، أم الدفاع من داخل المدينة المنورة، وكيف يمكن الدفاع من الداخل؟ وهنا جاءت مشورة سلمان الفارسى بحفر الخندق، لكن الأهم فى الدلالة على أنه لابد من توسيع نطاق الشورى فى القضايا الكبرى، أو المصيرية التى تهم الجميع، هو مشورة الرسول صلى عليه وسلم للجميع، حول عرض قبيلة غطفان الانسحاب من حصار المدينة، ومن تحالفها مع قريش إذا وافق المسلمون على منحها (أى غطفان) ثلث ثمار المدينة، فقد عرض الرسول الأمر على المسلمين كافة، ولم يظهر لهم رأيه فى الموضوع.

www.ibtesama.com/vb

وهنا قال أحد زعماء الأنصار : يا رسول الله : إن أحدا من العرب لم يكن يطمع ونحن فى الجاهلية أن ينال من تمور المدينة شيئا إلا قرى (أى كرما للضيف) أو بيعا، فكيف نرضى بعد الإسلام أن نعطيها لغطفان عن يد ؟ فكان الرفض هو مصير عرض غطفان، بنزول الجميع على رأى الأنصارى.

هنا لم يكن الرسول قد تلقى وحيا، ولعله كان يميل إلى رفض عرض غطفان، ولكنه صلى الله عليه وسلم كان عليه أن لا يفرض رأيه على الأنصار الذين ربما فضل بعضهم دفع الجزية على مكابدة الحصار، وفى الوقت نفسه فإنه كان يشعر أنه كذلك لا يستطيع قبول هذا العرض ولو من باب إضعاف الأحزاب بانسحاب غطفان، دون أن يقبل أهل المدينة، وأصحاب الثمار بأنفسهم أن يدفعوا ثلث ثمارهم ثمنا لتفكيك تحالف الأعداء.

أليست هذه أمثله من السيرة النبوية الشريفة توضح أن النبى نفسه - وهو الذى قال له الله تعالى إنك بأعيننا - كان يرى أن الأمر إذا كان عاما فيجب استشارة عموم المسلمين، فى حين أنه عندما هم بتطليق زوجاته مثلا، لم يستشر سوى خاصة أصحابه، وفى حديث الإفك استشار خاصة أقاربه، أما فى فتح مكة فإنه صلى الله عليه وسلم لم يخبر أحدا بوجهته إلا فى اللحظة الأخيرة لأنها كانت مسألة وحى.

أليست السيرة إذن صالحة لاستخراج قواعد عامة لفقه الشورى ؟ وماذا فعل الفقهاء فى عامة قضايا العبادات والمعاملات سوى ذلك ؟

وبعد النبى.... ماذا فعل أبو بكر الصديق رضى الله عنه فى حروب الردة ؟ إنه استشار جميع الصحابة، وكلهم وافقه على مواجهة المرتدين بالقوة، ومنهم ما نعو الزكاة... وكانت تلك أيضا هى المناسبة التى قال فيها أبو بكر لعمر بن الخطاب : "أجبار فى الجاهلية ؟ وخوار فى الإسلام

www.ibtesama.com/vb

يا عمر ؟ والله لأقاتلن من يفرق بين الصلاة والزكاة، ولو منعوني عقال بعير كانوا يؤدونه لرسول الله لقاتلتهم عليه "

وكان الفاروق رضى الله عنه هو الأعلى صوتا بين الصحابة رضوان الله عليهم (فى هذا المؤتمر) فى معارضة قتال من يشهدون الشهادتين، ويؤدون الصلاة، وامتنعوا فقط عن أداء حصة ولى الأمر من الزكاة.

الشاهد من هذه القصة وهى من العهد الأول من الخلافة الراشدة يؤكد أيضا أنه عندما يتعرض القرار السياسى لقضية رئيسية، أى تهم الجماعة ككل فإن المشورة لابد أن تمتد إلى الجميع أو الغالبية من أصحاب الرأى، وبالطبع فإن المشورة يسبقها الحق فى العلم بكافة التفاصيل، طبقا للمقولة الخالدة للصديق أبو بكر، وهو يوصى أحد قواده :" واستشر فى جميع أمرك، ولا تخزن عن المشير (المستشار بلغة هذه الأيام) خبرك (أى كافة التفاصيل)، فتؤتى من قبل نفسك ".

وإذن .. على أى أساس من الشرع، أو حسن السياسة، تبرر قيادة الإخوان قرارها الغامض بتغيير موقف الجماعة من إسرائيل، واتفاقية السلام معها تغيرا جوهريا من الاستفتاء الشعبى العام إلى الموافقة عليها بمعرفة فرد أو اثنين أو ثلاثة أو عشرة، أو حتى جميع أعضاء مكتب الإرشاد، دون إتاحة حق العلم بالأسباب، والحسابات والملابسات للصفوف التالية من أعضاء الجماعة أنفسهم ؟ ثم للرأى العام كله ؟! فإن كان العلم قد وقع، والشورى قد تحققت، والتصديق على القرار قد جرى الحصول عليه، فأين هى المضابط، وأين هى البيانات ؟!

لقد كان مقتضى الاستفتاء العام أن زعماء الإخوان يشعرون أن العلاقة مع إسرائيل، سلما وحربا قضية تهم عموم الشعب المصرى، ولا تخص الجماعة فقط، وهذه كانت صياغة الدكتور عصام العريان نفسه

www.ibtesama.com/vb

كما رأينا، فكيف يصبح تغيير الموقف فيها حقا مطلقا للمرشد، ونفر قليل من المقربين، بدعوى باطلة، وقياس فاسد هو أن النبى المعصوم كان يستشير أبا بكر وعمر وحدهما فى بعض الأحيان، مع أن المرشد لا هو النبى المعصوم، ولا هو أبو بكر الراشد.

وافقنى الأستاذ الهلباوى وأضاف الكثير مما لا محل لكتابته فى هذا السياق، واستخلصت - دون أن أقول ذلك أمامه - إننا إذن أمام ديكتاتورية تعيد إنتاج ما يسمى بالحق الإلهى فى الحكم، فى أحسن الفروض، أو أمام سلطة كهنوتية ذات مسحة ماسونية فى أسوأ الفروض.

وربما نكون أمام خبط عشواء، وارتجال أملته غواية الوصول إلى السلطة، وضغوط إخوان المهجر، وهذا لا قياس ولا توصيف له، وليس ذلك كله من الإسلام قرآناً وسنة وتاريخا فى شئ، ولا يمكن تبريره دينيا أو أخلاقيا بذريعة ضرورات السياسة العملية، لأن الإخوان قالوا، ولا يزالون يقولون إنهم مختلفون عن مدارس، ورجال السياسة التقليدية، فهم الربانيون، الأنقياء الأتقياء، الصادقون المصدوقون، الزاهدون العاملون لإعادة مجد الإسلام، وإحياء عصر النبوة والخلافة الراشدة.

ولكن لما الاستغراب ؟!

ألم يقل الشاب الإخوانى الذى بدأنا بالحوار معه هذه الخاتمة ورفاقه، إنهم لا يريدون أن يعلموا متى ولماذا تغير موقف جماعتهم من أمريكا وإسرائيل والصهيونية، وأن الرئيس البطل محمد مرسى سيطهر مصر من العلمانيين والليبراليين (بنى ليبرال على حد قولهم) ولم يخطر على بالهم أن يقولوا مثلا إن بطلهم سيخلص مصر والعرب والمسلمين من الصهيونية، والتبعية الأمريكية ؟!

www.ibtesama.com/vb

إنهم ينتظرون أن تسيطر جماعتهم على كافة الدول الإسلامية، فتزول إسرائيل وتنتهى التبعية من تلقاء نفسها، علماً بأن التاريخ الإسلامى يُعلمنا أن الخلافة الإسلامية (غير الراشدة) لم تدم فى دولة موحدة مع قيام الدولة العباسية، حيث استقل الأمويون بالأندلس، ثم سرعان ما تفككت الدولة العباسية ذاتها إلى دويلات وإمارات، ظهرت أولاها بعد موت الخليفة العباسى الثانى أبى جعفر المنصور، فى شمال إفريقيا، باسم دولة الأغالبة، وإن بقيت كل هذه الدويلات والإمارات تابعة بالاسم فقط لخليفة بغداد.

وعموماً فلم تكن هناك خلافة بالمعنى المقصود بعد الخلافة الراشدة، ولكن كان هناك ملك عضوض يقتل الأخ فيه أخاه من أجل السلطة، وليس من أجل الحق والعدل وشرع الله.

www.ibtesama.com/vb

عصير الكتب
www.ibtesama.com/vb
منتدى مجلة الإبتسامة

www.ibtesama.com/vb

ملحق

مقالات منشورة للمؤلف
حول الإخوان

www.ibtesama.com/vb

عصير الكتب
www.ibtesama.com/vb
منتدى مجلة الإبتسامة

www.ibtesama.com/vb

أوان اعتذار الإخوان

الأهرام - ٢٥ ديسمبر ٢٠٠٦

يخطئ الإخوان المسلمون كثيرا إذا أقنعوا أنفسهم بأن الفزع العام من استعراض الأزهر شبه العسكري مصطنع، أو مبالغ فيه ويخطئون أكثر ما لم يستغلوا هذه الفرصة لفعل ما لم يفعلوه من قبل قط، وهو تقديم اعتذار تاريخي عن أعمال العنف والإرهاب التي مارستها جماعتهم في ماضيها الطويل بعد مراجعة كل ما حدث، والاعتراف بمسئولية الجماعة عما تورطت فيه، أو تورط فيه بعض أجنحتها من عمليات إرهابية، وهذا الاعتذار المطلوب يجب أن يوجه للشعب المصري، وللأمة الإسلامية كلها، باعتبار أن العنف السياسي باسم الإسلام خرج في طوره الحديث من أفكار الإخوان ومنهجهم.

لا يصح هنا التعلل بأن الدولة تستخدم العنف أحيانا ضدهم، وضد قوي أخري، لأن الخطأ لا يبرر الخطأ، ولأن المقارنة هنا مغلوطة ثانيا، وغير مفيدة للتطور السياسي للمجتمع ثالثا.

للغلط في هذه المقارنة أوجه عديدة، فالدولة أو السلطة العامة هي المخولة وحدها دستوريا وعرفا باستخدام العنف، فإذا حدث تجاوز في استخدام السلطة الشرعية للعنف، فإن أحدا لا يبرره، ويبقي تجاوزا أو تعسفا، ويخضع لمحاسبة القضاء، أو يقاوم بالأساليب السلمية، أما إذا اعتبر تعسف السلطة مبررا للقوي السياسية غير الحاكمة للرد بالعنف

www.ibtesama.com/vb

أو التهديد باستخدامه، فنحن إذن أمام نذر فوضي قد تصل إلي حد الحرب الأهلية.

من ناحية أخرى فإن الإخوان يطرحون أنفسهم كبديل إصلاحي للحزب الحاكم، فإذا كان ذلك صحيحا، فالبديهي أن يمتنع هؤلاء الإصلاحيون عن فعل أي شيء يهدد عملية الإصلاح، خاصة إذا كانوا الإخوان المسلمون الموصومون أصلا في الذاكرة الجماعية باللجوء إلي العنف والإرهاب، والذين لابد أنهم يشعرون بتخوف قطاع كبير من النخبة من عودتهم لهذا المنهج، وهذا تخوف حقيقي، وليس مصطنعا كما سبق القول.

فإذا أضيف إلي ذلك أن كثيرين في الداخل والخارج لم يصدقوا ـ عن حق ـ أن الإخوان حلوا مشكلتهم مع الديمقراطية، برغم ما يصدر من تصريحات أحيانا عنهم تتحدث عن الإيمان بالديمقراطية، فإن استخدام العنف أو التهديد به، لا يجرد مثل تلك التصريحات من مصداقيتها فحسب، وإنما يعيد المجتمع السياسي كله إلي المربع الأول.

إنني أعلم يقينا أن القرار السياسي في مصر فيما يتعلق بجماعة الإخوان المسلمين، كان حتي منتصف تسعينيات القرن الماضي هو التمييز بينهم وبين التنظيمات الإسلامية الأخرى التي تتبني العنف، وكان هذا التمييز يميل ـ بحسب تحليلي ـ إلي تهيئة الفرصة للإخوان لإثبات جدارتهم بالاندماج السلمي في المجتمع، والمساعدة علي عزل وإضعاف تلك التيارات العنيفة، وفي تحليلي الخاص أيضا أن الانتخابات البرلمانية الماضية كانت بدورها مناسبة جديدة أتيحت بوعي وقصد من صانع القرار السياسي لتوفير فرصة أخرى للإخوان للاندماج السلمي ـ بضوابط معينة بالطبع ـ في العملية السياسية، رغم كل ما حدث من تجاوزات وتدخلات ضد المرشحين

www.ibtesama.com/vb

الإخوان، أو علي الأقل هي فرصة لاختبارهم اختبارا حاسما علي مرأى ومسمع من الرأي العام المصري والعربي والإسلامي والعالمي، فإذا نجحوا كسب الجميع، وفي مقدمتهم الوطن نفسه، وإذا فشلوا فهم أكبر الخاسرين.

وبكل أسف فقد أثبتت ممارسات كثيرة أن الإخوان اقرب إلي الفشل في هذا الاختبار، فقبل استعراض الأزهر، صرح أحد نوابهم علنا بأن رئيس الوزراء يستحق الإعدام، وبعدها افتعلت الأزمة التي استهجنها المجتمع حول انتقادات وزير الثقافة لغطاء رأس المرأة، وكان استهجان المجتمع هو الذي أنهي الأزمة بتوقف زعماء الإخوان عن النفخ في النار، ولا داعي لحصر الشواهد المماثلة فالجميع لابد يتذكرونها.

مرة أخري نتحدث هنا عن الفشل والنجاح في الاختبار المفروض علي الإخوان حاليا من منظور الرأي العام، والعالم الإسلامى والعالم غير الإسلامى، وليس من منظور الحزب الحاكم.

هذا الحديث عن احتمالات نجاح أو فشل الإخوان المسلمين في اختبار الديمقراطية والاندماج السلمي في العملية السياسية يعيدنا إلي ما بدأنا به من مطالبة الإخوان بانتهاز الفرصة السانحة حاليا بسبب استعراض جامعة الأزهر للخروج علي الأمة بمراجعة شاملة تؤدي إلي اعتذار تاريخي عن أخطاء الماضي، ويجب ألا يرد احد علي هذا المطلب باقتراح مضاد يطالب باعتذار مقابل عن أخطاء الدولة في حق الإخوان، فمثل ذلك الاقتراح لن يكون سوي مناورة لتأجيل أداء الاستحقاق المطلوب من الإخوان، وسيدخلنا في جدل لا نهاية له حول من البادئ، وكما قلنا من قبل فالاعتذار المطلوب لن يوجه إلي الدولة، وإنما إلي المجتمع، والأمة الإسلامية.

www.ibtesama.com/vb

مثل هذا الاعتذار سيعني قطيعة نهائية مع منهج العنف في تيار الإسلام السياسي خاصة تقاليد الجهاز السري، ومذهب سيد قطب التكفيري، وسيعني بالمفهوم الديني الاعتراف بالذنب والتوبة عنه، أما أن نظل نسمع أن (الذين قتلوا النقراشي ليسوا إخوانا، وليسوا مسلمين) وان محاولة اغتيال جمال عبد الناصر في المنشية بالإسكندرية كانت مسرحية، وان المستشار الخازندار قتل بتقدير خاطئ، ولكنه كان يستحق الموت لقسوة أحكامه علي الإخوان، وأخيرا أن طلاب الأزهر تصرفوا من تلقاء أنفسهم، فالمعني هو ما قاله الأستاذ جمال البنا في مقاله الأخير(إن الإخوان مثل بوربون فرنسا لا ينسون شيئا، ولا يتعلمون شيئا).

أخشي أن يكون المانع من قبول الإخوان المسلمين لفكرة الاعتذار هذه هو الإيمان بصحة ما حدث في الماضي، وأتمني أن يكون المانع مكابرة لا تلبث أن تزول، ولكني أتوقع أن ذلك المانع سياسي وتنظيمي، فما دامت البيعة في تقاليد الإخوان تحتم(السمع والطاعة في المنشط والمكره)، فإن مقتضاها هو أن من يأمر لا يخطئ، أو لا يعترف بخطأ، حتي لا يفتح للأتباع بابا للتحلل من يمين السمع والطاعة في الحالات التي لا يقتنع فيها التابع بسلامة الأمر الصادر إليه، لأنه يبقي هناك احتمال بأن الأمر فيه خطأ. مادامت هناك سوابق اعترفت بها الجماعة واعتذرت عنها.

www.ibtesama.com/vb

جناية الإخوان المسلمين
علي حركة الإحياء الإسلامي

الأهرام - ٢٢ يناير ٢٠٠٧

ليس الهدف من أكثر ما يكتب، ويقال من انتقادات لجماعة الإخوان المسلمين المحظورة هو التشهير، كما يفترضون هم وبعض المعارضين من غير صفوفهم، وإنما هناك هدف أهم وأسمي، وهو الترشيد والتذكير.. ترشيد الحياة السياسية المصرية عموما، وتذكير الاخوان انفسهم والرأي العام بالمآخذ المشروعة علي الجماعة، والمطالب أو الشروط الواجبة علي هذه الجماعة، وغيرها من القوي السياسية من اجل ضمان حياة وطنية ديمقراطية صحية.

وإذا كنا قد طالبنا الجماعة فيما سبق من كتابات بمراجعة تاريخها، والاعتذار عما ارتكبته من اخطاء في حق المجتمع والدين الاسلامي نفسه، وإذا كنا قد أخذنا عليها ايضا انها لم تقم بعد بعملية مراجعة موثقة فكريا وتنظيميا لمنهجها الانقلابي في السياسة(وخاصة قضية المواطنة والامتدادات الدولية)، وفي الاجتماع والثقافة والأمن القومي، فإننا اليوم نطالب الاخوان المسلمين، وجميع المهتمين بالشأن العام مراجعة موقع الجماعة في سياق التطور التاريخي لحركة الاحياء الاسلامي.

بدأت حركة الاحياء الاسلامي كبذرة غرسها الشيخ رفاعة الطهطاوي، ثم نمت شجرة وارفة علي يد الشيخ جمال الدين الافغاني، وتلميذه الاكبر الشيخ محمد عبده، كما نعلم جميعا، ولكنها بدأت ونمت واستمرت تيارا فكريا ثقافيا حداثيا، وليس تنظيما جماهيريا سلفيا، وكانت اشعاعات هذا التيار تمتد لتؤثر في العامة من المسلمين ايجابيا، دون السماح بمؤثرات

www.ibtesama.com/vb

سلبية عامية علي رواد الحركة وتلاميذهم، غير ان اهم ما يميز حركة الاحياء الاسلامي في طورها ـ الذي نتحدث عنه ـ هو ان هؤلاء الرواد دخلوا الي قلب الحياة العامة من باب نقد الماضي والحاضر معا، ومن باب التحليل الاجتماعي والسياسي المشبع بروح العصر، الذي هو عصر العلم والصناعة، وحرية الفكر والتعبير، جنبا الي جنب مع التدين والانتماء الإسلامي، وبذلك اتسع هذا التيار منذ بدايته للآخر المختلف إما بالحوار، واما بالتعاون في نقاط الاتفاق، واستبعاد نقاط الاختلاف من ميادين الصراع في الحياة السياسية، ومن ثم وجدنا تلاميذ مسيحيين من الشرق العربي، ومن مصر نفسها للشيخين الافغاني وعبده، ولعل من ابرز امثلتهم اديب اسحق، وفارس الشدياق، ويعقوب صنوع وغيرهم، كما يسجل تاريخ تلك الحقبة حوارات ومناظرات، واتفاقات علي مناهج للتعاون مع مفكرين وادباء عالميين امثال تولستوي ورينان وهانونو.. الخ.

وبسرعة مدهشة اثمرت حركة الاحياء الإسلامي في مصر في النصف الثاني من القرن التاسع عشر اول توثيق دستوري تقدمي لمبدأي المواطنة والجماعة الوطنية، ففي المؤتمر الوطني الأول لجناحي الثورة العربية المدني والعسكري قرر المؤتمرون ان المصري ـ كامل الحقوق في المواطنة ـ هو كل شخص يعيش علي ارض مصر، يشرب من نيلها، ويتنفس هواءها، ويحرث ارضها، وكما يذكر التاريخ فقد شارك في ذلك المؤتمر بالحضور والمناقشة، والاتفاق شيوخ الازهر، واباء الكنائس وحاخام اليهود.

إذن كيف يمكن تصنيف جماعة الاخوان المسلمين كحركة إحياء اسلامية، بينما نجد انها انتكست بكل تلك المنجزات الفكرية والسياسية الهائلة؟

وكيف عدنا بعد قرابة قرن ونصف من الزمان نتساءل: هل غير المسلمين في مصر مواطنون ام ذميون ؟ وهل الخلافة الاسلامية كنظام

www.ibtesama.com/vb

للحكم واجبة شرعا أم لا ؟ ناهيك عن التركيز علي الجوانب السلبية في الحضارة الحديثة لاتخاذ موقف غير منفتح علي تلك الحضارة، إن لم يكن موقفا مناهضا لها ومنفصلا عنها؟

اسباب هذه الانتكاسة علي يد جماعة الاخوان كثيرة، فمن الناحية التاريخية المجردة كان تيار الاحياء الإسلامي كما عرفناه في السطور السابقة، قد انتكس بعد رحيل الامام محمد عبده، إذ سرعان ما تبني خلفاؤه وخاصة الشيخ رشيد رضا، والشيخ عبد العزيز جاويش المذاهب السلفية، وكانت شخصية الرجلين اقرب الي التزمت والتعصب، وساعد علي تغليب الفكر السياسي المحافظ، سقوط فكرة الجامعة الاسلامية بسقوط السلطان عبد الحميد(تركيا)، والغزو الايطالي لليبيا أو طرابلس الغرب كما كان يقال وقتها، ثم نشوب الحرب العالمية الاولي، وما ترتب عليها من تغيرات جذرية في الجغرافيا السياسية للعالم الاسلامي، وخاصة المشرق العربي ومصر.

في هذا المناخ التاريخي المتأزم تأسست جماعة الأخوان سنة١٩٢٨، وكانت شخصية المؤسس أقرب الي شخصيتي الشيخين رضا وجاويش منها الي شخصيات الطهطاوي والافغاني ومحمد عبده فالتكوين الفكري سلفي بالدرجة الأولي، والصلة بالعالم الخارجي ـ والفكر والعلم الحديثين محدودة للغاية، وربما لم توجد من الاصل، وبما أن الفكر السلفي ينزع الي تثبيت الماضي، وتطبيقه علي الحاضر والمستقبل، فقد أهمل الاخوان المسلمون منذ البداية الحاجة الي الدخول الي الحياة العامة من باب نقد التاريخ، والتحليل الاجتماعي والسياسي اكتفاء بتقوية العقيدة واذكاء العاطفة الدينية علي طريقة السلف الصالح، الذي يكفينا ما ورثناه عنه.

وبينما كانت حركة الاحياء الأسلامي في طورها التقدمي تيارا فكريا ثقافيا تقوده النخبة المتعلمة، ويشع بأنواره كما قلنا علي عامة المسلمين، فإن حركة الإخوان المسلمين اختارت منذ البداية اسلوب التنظيم

www.ibtesama.com/vb

الجماهـيري، واتسـعت قاعـدتها لكـل مـتحمس، فكـان مـن الطبيعـي ان تكتسب الحركة مزيدا مـن المحافظـة والسـلفية فـوق مـا بـدأت بـه طبقـا لقاعدة ان القائد لا يقود جماهيره، ولكنـه ينقـاد اليهـا ايضـا. لا ينكـر احـد بطبيعة الحال اهمية التنظيم في العمل العـام، ولا يجـادل احـد في مواهـب المرحوم الشيخ حسن البنا التنظيمية والقيادية، والدعوية، ولكـن هـذا شـئ والحاجة الماسة الي تجديد فكـز ومـنهج الجماعـة بمـا يتفـق مـع منطلقـات حركة الاحياء الإسلامي الأولي ومنجزاتها، وبما يتصالح مع روح الـعصر وقـيم الحرية السياسية، والدولة المدنية والديمقراطية، شئ آخر.

www.ibtesama.com/vb

الإخوان والإسلام والسلام

الأهرام - ٢٩ أكتوبر ٢٠٠٧

إحدي الدلالات المهمة من النواحي الدينية والسياسية للحجر الذي ألقاه الدكتور عصام العريان في البحيرة الراكدة لموقف الإسلاميين من قضية الاعتراف بإسرائيل، هي أنها لا تخضع لمنطق الحلال والحرام، وما كان ينبغي لها أن تبقي أسيرة هذا المنطق طيلة ما مضي من عقود، ضاع فيها ما ضاع من جهود وموارد وطاقات فكرية وسياسية في الصراع حول موقف الإسلام من السلام والصلح والاعتراف بإسرائيل.

حقا قال الدكتور العريان رئيس المكتب السياسي لجماعة الإخوان المحظورة: إن تصريحاته حرفت، وحقا أنكرت الجماعة أن ما قاله رئيس مكتبها السياسي، إن كان قد قاله، يمثل موقفها، وأعلن المرشد العام أن ما قيل أو ما فهم مما قيل هو في أحسن الأحوال موقف شخصي للدكتور العريان نفسه، ولكن الرصاصة أطلقت ولم يعد أحد يصدق أن الإنكار، والتأويل، والتفريق بين موقف الجماعة ككل، ورأي رئيس مكتبها السياسي أكثر من مناورات وتوزيع أدوار، كما هي عادة كل من يعملون بالسياسة، وهذا ليس قدحا في أحد، ولكنه تقرير لواقع، أو تشخيص لحالة، بل ربما كان الأمر أقرب إلي الثناء منه إلي القدح.

المهم أنه لو كان في الأمر شبهة حرام بالمعني الديني لكان للإخوان موقف آخر من الدكتور العريان، فإما كان الرجل قد منح مهلة للتوبة، وإما كان قد فصل نهائيا، وعليه فالمسألة كلها سياسة في سياسة، وليس في ذلك عيب،ولكن العيب هو ألا يكون هذا الجدل مدخلا لمراجعة شاملة لموقف

www.ibtesama.com/vb

الإخوان ومختلف تيارات الإسلام السياسي من العلاقة بين الدين والسياسة، إذ لم يعد أسلوب التجزئة في هذه القضية الكبري - أي قضية الدين والسياسة - كافيا ولا بناء، فبدون هذه المراجعة الجذرية والمعلنة، والموثقة فكريا وتنظيميا، يصبح التحول في موقف جماعة الإخوان مجرد تكتيك وقتي فرضته أو حبذته حسابات سياسية ضيقة وجزئية قد تفيد اليوم، لكنها قد تضر غدا، ومن الواضح حتي ساعة كتابة هذه السطور أن السمة التكتيكية هي الغالبة علي بالون الاختيار الذي أطلقه الدكتور العريان، ولا تعدو الحسابات السياسة وراء إطلاق هذا البالون إعلان نيات أمام العالم الخارجي، خاصة الولايات المتحدة الأمريكية بعد أن تأكد أن الموقف الرافض للاعتراف بإسرائيل، وبمعاهدة السلام المصرية معها(وكذلك معاهدة السلام الأردنية، وعملية أوسلو الفلسطينية) هو من أهم التحفظات الدولية - المؤثرة - علي وصول الإسلاميين للسلطة في الدول العربية، كذلك يأتي ضمن هذه الحسابات تهيئة المناخ اللازم لتراجع حركة حماس الفلسطينية، بوصفها فرعا لجماعة الإخوان، عن موقفها المبدئي الرافض كليا للاعتراف بإسرائيل، وهو الموقف الذي يوشك أن يقصيها نهائيا من المعادلة السياسية الشرعية في فلسطين، وفي المنطقة.

ومع ذلك فليس في هذه الحسابات الجزئية عيب، إذا صارت جزءا من كل، لكن العيب - كما قلنا - هو أن تبقي جزئية، وانتهازية، أما الأخطر من كل ذلك، والذي يعد في الوقت نفسه نقصا في الوعي السياسي هو غياب اعتبارات، أو حسابات الأمن القومي المصري في الخطاب الجديد لجماعة الإخوان المسلمين المصرية حول قضية السلام مع إسرائيل والاعتراف بها.

إن قرارات أو سياسات الحرب والسلام تمليها بالضرورة حسابات الأمن والمصالح القومية استنادا إلي عشرات الاعتبارات الأيديولوجية، والاستراتيجية في إطار الدولة الوطنية التي لاتزال، وستبقي طويلا، هي

www.ibtesama.com/vb

الوحدة الأساسية للتكوين السياسي للعالم المعاصر، وعليه فقد كان، ولايـزال، أوجب الواجبات علي الإخـوان، وهـم يراجعـون مـوقفهم مـن إسرائيـل، أن ينطلقـوا أولا وقبـل كـل اعتبـار آخـر، مـن إيمـان، وحسـابات معلنـة بـأن اختيارهم السلمي المستجد هذا هو الأفضل لأمن مصر القومي، ماداموا قد تحرروا من التعامل مع القضية علي أساس الحلال والحرام الدينيين، ويجـب ألا يكون التخوف من معايرتهم بسابق اتهامـاتهم للحكومـات بـالتفريط في الحقوق المقدسة للأمة مانعا، أو سببا للحرج، لأنهم أولا فعلوا ما هـو أكـثر، أقصد أنهم تراجعوا عما كانوا يعتبرونه فرضـا دينيـا، وثانيـا لأن مثـل هـذه القضـايا المصـيرية للأمـم لا تحتمـل العبـث، والغمـوض، وتـرك المخـاطبين يكتشفون ما تريد أن تقوله، دون أن تقوله صراحة وبحذافيره.

بقيت كلمة حول رأيي الشخصي في موقف الإسلام مـن قضـية الاعـتراف بإسرائيـل، وخلاصـة هـذا الـرأي أن إخضـاع هـذه المسـألة لأحكـام الحـلال والحـرام كـان خطـأ كبـيرا مـن الأصـل، أولا لأن إسرائيـل المعتديـة الغاصـبة التوسعية ينبغي أن تقـاوم حتـي مـن دون إسـلام أو عروبـة، وبـالطبع فـإن الإسلام والعروبة يوفران الإطار المعنـوي لمقاومـة العـدوان الإسرائـيلي أو أي عدوان آخر، ولكن هذا شيء، وإدارة الصراعات السياسية أو المقاومة بمنطـق الحلال والحرام شيء آخر، وثانيا أن هذا المنطق نفسـه دخيـل عـلي الإسـلام تاريخا وفقها، فلم يذكر لنا التاريخ واقعة واحدة رفض فيها المسـلمون، عـلي اخـتلاف مـذاهبهم ودولهـم، الاعـتراف والتفـاوض والصـلح مـع قـوي غـير إسلامية حتي إن كانت قـد احتلـت أرضـا إسـلامية، لأن ذلـك محـرم شرعـا، ودون إنكار لحق الشعوب في مقاومة العدوان والاحتلال ماداَمـت المقاومـة مجدية وفقا للحسـابات السياسـية والاسـتراتيجية المحضـة، وإلا فلـو كانـت المسألة حلالا وحراما فإن صلاح الدين الأيوبي أحـد أمجـد أبطـال التـاريخين العربي والإسلامي يعد خائنا وطنيا، وآثما دينيا، لأن هـذا البطـل لم تكـن كـل

www.ibtesama.com/vb

مآثره معركة حطين التي انتصر فيها علي الصليبيين، مبتدئا مرحلة تصفية وجودهم الاستعماري، وإنما كانت هناك قبل حطين وبعدها معارك ومفاوضات ومعاهدات تضمن بعضها تبادل أراض، ليس مع ريتشارد قلب الأسد فقط كما هو مشهور في التاريخ المدرسي، ولكن مع معظم الإمارات الصليبية في الشام.

www.ibtesama.com/vb

الشيوخ والسياسة

الأهرام - ٢٩ سبتمبر ٢٠٠٨

أظن أن اغلبنا لم ينس بعد تصريح الشيخ الشعراوى (رحمه الله) بأنه صلي ركعتي شكر علي هزيمتنا في عام ١٩٦٧، وعندما اندهش ابنه من هذا التصرف قال له إنك لا تعلم ما بينى وبين الله، وأنه - أي الشيخ الشعراوى - يحسب أن الله من علينا بالهزيمة حتى لا ننتصر ونحن فى أحضان الشيوعيين، فيكون خطر هذا النصر على الإسلام أفدح من خطر الهزيمة أمام إسرائيل، وكان فضيلته (رحمه الله) يقصد بأحضان الشيوعيين، تحالف مصر الناصرية مع الاتحاد السوفيتى، واعتمادها فى ذلك الوقت على سلاح السوفيت مع أننا انتصرنا بنفس السلاح فى حرب أكتوبر، ولكن لله فى شيوخنا شئون.

وإحقاقاً للحق فإن الرجل بعد فترة من الوقت راجع نفسه فى هذا التصريح، واعتبره صدمة غير مستحقة للرأى العام، لكنه لم يراجع الطريقة أو المنهج الذى أوصله إلى ذلك الاستنتاج الصادم، لكن الشيخ الشعراوى كان له رأى، أو بالأحرى فتوى مناقضة للمنطق الذى استند إليه فى اعتباره هزيمة ١٩٦٧ منة من الله وفضلاً، وذلك فى حرب تحرير الكويت من الغزو العراقى الآثم، وجاءت فتوى الشعراوى الجديدة رداً على فتوى لبعض الفقهاء السعوديين المتشددين الذين اعتبروا تحالف العرب والمسلمين مع القوات الأمريكية لتحرير الكويت تحالفاً مع كفار من أهل الكتاب، ضد مسلمى العراق، وبذلك فإن هذا التحالف مرفوض شرعاً، وكان رد الشيخ الشعراوى وقتها أن النبى عليه الصلاة والسلام دخل مكة فى جوار (أى فى حماية) كافر، وذلك عندما عاد إليها من الطائف بعد أن رفض بنو ثقيف دعوته وحمايته.

www.ibtesama.com/vb

طبعاً لا يدى أحد على وجه اليقين لماذا طبق الشيخ الشعراوى هذا القياس الصحيح - فى رأيى المتواضع - على حالة التحالف لتحرير الكويت، ولم يطبقه على حالة مصر الناصرية مع الاتحاد السوفيتى فى مواجهة إسرائيل والصهيونية والاستعمار، ولكن يمكننا الاستنتاج أن أثار الصراع الفكرى والسياسى بين الإخوان المسلمين فى مصر والتنظيمات الماركسية قبل ثورة ١٩٥٢ وبعدها، كانت من العوامل الرئيسية فى تشكيل الآراء السياسية لشيوخنا، وعلماء الدين، كذلك كان للصراع المذهبى على الساحة الإقليمية العربية، وعلى الساحة الدولية أثر كبير فى تشكيل إدراك هؤلاء الشيوخ الأفاضل والعلماء الأجلاء لمجريات الصراع السياسى، وبالطبع فنحن نعرف الآن يقيناً، وكان الكثيرون يعرفون أن الولايات المتحدة وحلفاءها الإقليميين حرصت على استغلال الإسلام فى صراعهم ضد الشيوعية وضد كل التيارات التقدمية الوطنية.

وهكذا غاب عن رأى الشيخ الشعراوى فى هزيمة ١٩٦٧ وطريقة استقباله لها كل اعتبار آخر من اعتبارات السياسة التى طبقها هو نفسه فيما بعد على حرب تحرير الكويت، فلم ينظر إلى الأمن القومى، ولا إلى دور الغرب الذى كان يناهض السوفيت فى وجود إسرائيل ودعمها، واغتصابها لأراضى وحقوق المسلمين ومقدساتهم، ولا إلى رفض الولايات المتحدة تسليح مصر، مما اضطرها إلى اللجوء إلى هؤلاء السوفيت، وكان بالقطع متأثراً وقتها بعلاقاته الخليجية، وبخلفياته التنظيمية.

من الواضح أننا نتذكر هذه الحكاية، ونذكرها بها، بمناسبة المعركة التى فتحها فضيلة الشيخ الدكتور يوسف القرضاوى ضد ما سماه هو نفسه "المد الشيعى فى بلاد الإسلام السنّى"، والدلالة المقصودة هنا هى تبيان طريقة تناول الشيخ لقضايا السياسة طبقاً للخلفيات التنظيمية ومؤثرات

www.ibtesama.com/vb

البيئة المحيطة، وإن هذا المنهج يفضى دائماً إلى التركيز على اعتبار واحد، وإعطائه أولوية لا يستحقها فى الحكم على الأمور، حتى إذا أضر بمصلحة الأمة ككل، فالمهم هنا، وطبقاً لرؤية الشيخ القرضاوى، هو المذهب، مع أن المذهب فرع من الدين، والمهم أيضاً هو التنظيم أو القطر وليس الإقليم الأوسع، لذا تغفل بقية جوانب المشهد وعناصر التحليل، مع أنه كان الأولى بالشيخ القرضاوى، وهو من هو، أن يواجه دول وقيادات المذهب السنّى بالحقيقة فى أصرح صياغة ممكنة، فالمسألة ليست مداً شيعياً، لكنها جذب شيعى، بسبب النجاح النسبى لنموذج المقاومة والصمود فى إيران، وفى تجربة حزب الله المتحالف مع حركة حماس السنّية المنبثقة عن حركة الإخوان المسلمين، التى هى أكبر تنظيم سياسى سنّى، وهو نموذج لا يقابله من القيادت السنّية سوى "تسول" السلام وجزء من الحقوق من الولايات المتحدة وإسرائيل بلسان وزير خارجية قطر التى يعيش فيها ويحمل جنسيتها الدكتور القرضاوى، فكيف يستقيم فى أى عرف أو فى منطق أن نلوم من يعملون، لحساب من لا يعملون ؟ أم نكون من الذين لا يرحمون، ولا يريدون لرحمة الله أن تنزل ؟

بالقطع هناك سياسات وممارسات إيرانية يجب أن تُرفض أو تُقاوم، وبالقطع توجد أخطاء من جانب حزب الله، كذلك يجب أن يسعى زعماء وعلماء السنّة إلى حماية مذهبهم، لكن هذا كله شئ، وإشعال حرب سنّية - شيعية على هذا المستوى الذى لا يشبهه سوى الصراع الشيوعى - الرأسمالى شئ آخر.

www.ibtesama.com/vb

عصير الكتب
www.ibtesama.com/vb
منتدى مجلة الإبتسامة

www.ibtesama.com/vb

جدل المفتى مع الإخوان .. أو الأمراض المزمنة للجماعة

الشروق - ١٢ أكتوبر ٢٠٠٩

لا يكفى أن يقول الشيخ محمد عبد الله الخطيب مفتى جماعة الإخوان المسلمين إنه لا يوجد فى مؤلفات الإخوان، أو أقوالهم ما يشير إلى أنهم جماعة المسلمين، لكى نعتبر أن اتهام مفتى الجمهورية للجماعة .. بأنهم يفكرون بهذه الطريقة كأن لم يكن، لأن الشيخ الخطيب هو سيد العارفين بأن لسان الحال، أى الممارسة أبلغ من لسان المقال أى المؤلفات والأقوال المعلنة والمدونة ومنها قول الشيخ الخطيب أيضا» إن الجماعة التى تقول إنها جماعة المسلمين هى جماعة أصابها التخريف والجهل«، إذ كيف يضمن مفتى الإخوان وقياداتها أنه ليس هناك من بين الأعضاء والقيادات من أصابهم التخريف والجهل؟ لاسيما ونحن نتحدث عن تنظيم أو حركة سياسية جماهيرية ارتكبت عبر تاريخها الطويل أخطاء قاتلة بشهادة أكبر القيادات والعقول فيها، سواء كانت تلك الشهادة فورية أو بأثر رجعى بعد فوات الأوان .

ألم يصف مؤسس الجماعة المرحوم الشيخ حسن البنا قتلة النقراشى باشا فى حينها بأنهم ليسوا إخوانا وليسوا مسلمين ..وذلك على سبيل التبرؤ من فعلتهم ..مع أنهم كانوا إخوانا وكانوا مسلمين؟

ألا تتبرأ الجماعة حاليا من تيار مفكرها الراحل سيد قطب رحمه الله الذى قرر جاهلية المجتمع الحديث، وحكم عليه بالكفر فى أكثر صور

www.ibtesama.com/vb

اعتقاد الإخوان المسلمين تطرفا بأنهم وحدهم جماعة المسلمين، وليسوا مجرد جماعة من المسلمين؟ وما الذى يضمن ألا يتكرر ذلك، لاسيما إذا تولى الإخوان السلطة، وأصبحوا هم المرجعية الأولى والأخيرة للحكم بشرع الله وباسمه؟

لكننا بدلا من الاستطراد فى الاقتباس من أقوال الإخوان وخصومهم، وفى سرد الوقائع الجزئية نقترح أن نعود إلى الأصل النظرى الأول للخلاف بين رؤية الشيخ على جمعة مفتى الجمهورية، ورؤية الشيخ محمد عبد الله الخطيب مفتى جماعة الإخوان، باعتبار أن هذا الخلاف هو من وجهة نظرنا ما يفرق بين جماعة الإخوان وبين جميع غير الإخوانيين فى المجتمع المصرى، من ناحية أخرى وبعبارة أخرى فإن هذا الخلاف هو الذى يكشف لنا عن نقاط الصدام وأسبابه بين قوى مجتمعية مهمة للغاية وليس السلطة فقط ..وبين جماعة الإخوان، وبالتالى يكشف لنا عن الأمراض المزمنة للجماعة، وأسباب تحول هذه الأمراض إلى حالة مستعصية على الشفاء .

هذا الأصل الأول للخلاف هو أن جماعة الإخوان نشأت نشأة شمولية فهى تيار فكرى ثقافى، وهى حركة جماهيرية وهى تنظيم حزبى أو شبه حزبى وهى جمعية دينية، وكما أن الظرف التاريخى الذى نشأت فيه الجماعة كان حافلا فى مصر والعالم بالحركات أو التيارات أو التنظيمات المماثلة، وبينما اندثرت التيارات أو الحركات الأخرى، بقيت حركة الإخوان، وهذا مظهر قوة وتعبير عن حاجة مجتمعية بلا شك، لكن الإخوان، لم ينجحوا فى حل معضلات النشأة، فلم يجدوا صيغة أو صيغا للفصل والتفاعل بين المستويات، أو المكونات الأصلية العديدة للظاهرة بحيث يستطيع التنظيم الحزبى مثلا أن يلبى مطالب الاستحقاقات السياسية فى

www.ibtesama.com/vb

إطار ظرفها المحلى أو الإقليمى أو الدولى، دون أن يكون محكوما بطريقة جامدة برؤية فقهية هى فى الأصل اجتهاد لفرد أو لمجموعة، ودون أن تكون الاستجابة السياسية مقيدة بضغط كتلة جماهيرية قد يغلب عليها فى ظرف بعينه التطرف لأسباب غير دينية فى الأصل، ولكن لأسباب حزبية أو غيرها ..والأمثلة على ذلك كثيرة ومنها ـ على سبيل التوضيح فقط ـ أن الإخوان ظلوا أسرى صراعهم الفكرى مع الشيوعيين فترة طويلة، مما أثر على موقفهم من بعض القضايا مثل معارضتهم لتحديد الملكية الزراعية فى بدايات ثورة يوليو، مع أنهم كانوا من المطالبين به من قبل، كذلك ظلوا طويلا يرفضون ويتهكمون على سياسات ضبط النسل نكاية فى نظام جمال عبد الناصر وها هم الآن جميعا يمارسونه مثل غيرهم من المصريين مسلمين وغير مسلمين .

هذه مجرد أمثلة ..للتوضيح كما قلنا، ولكنها تدخلنا إلى نقاط الصدام الحالى بين الإخوان وبين غيرهم من قوى المجتمع وليس بينهم وبين السلطة فقط وذلك بسبب ذلك المرض المزمن أى العجز عن إبداع صيغة للفصل والتفاعل فى ذات الوقت بين ما هو دينى، وما هو سياسى، وما هو حزبى، وما هو جماهيرى ..إلخ .

ولنبدأ بأهم نقطة حاليا بعد الخلاف الأصلى حول ما إذا كان الإخوان هم جماعة المسلمين، أو جماعة من المسلمين، أى لنبدأ بالأمن القومى المصرى، فالإخوان لا يزالون رغم مرور 28 عاما على اتفاقية السلام المصرية ـ الإسرائيلية عاجزين عن تحديد موقف مقبول محليا وإقليميا ودوليا منها، فهم يرفضونها منذ توقيعها وبذلك فإنهم يتصادمون مع أغلبية الرأى العام أولا، ومع المؤسسات المختصة بالأمن القومى المصرى ثانيا ..أى مع النواة الصلبة للدولة المصرية حسب التعبير المفضل لصديقنا الأستاذ ضياء

www.ibtesama.com/vb

رشوان وهذه النواة التى ترفض إخضاع الأمن القومى المصرى لحسابات غير مصرية أوحسابات متأثرة بقرارات غير مصرية مثل قرارات حركة حماس، أو حزب الله اللبنانى، كما أن هذه النواة الصلبة للدولة المصرية ترفض كذلك إخضاع الأمن القومى المصرى لاندفاعات عاطفية أو أيديولوجية لا تراعى توازنات وحسابات القوى الشاملة، والقوى العسكرية ومصادر التسلح ..إلخ .

وفضلا عن ذلك فإن من الواضح أن موقف جماعة الإخوان الرافض لمبدأ العلاقات السلمية مع إسرائيل (أو التردد على الأقل حول هذا المبدأ) مرفوض إقليميا ودوليا بما يؤدى إلى مخاطر لا يعلم إلا الله مداها فى حالة تولى الإخوان السلطة فى مصر .

ثم إن هذا الموقف الإخوانى من قضية السلام هو أيضا عرض للمرض المزمن أو العقدة المستعصية المتمثلة فى العجز عن إيجاد صيغة للفصل والتفاعل بين الدينى والسياسى، فالإخوان ينظرون إلى الأمن القومى المصرى فى سياق متجاوز لمصر كدولة لأن مثلهم الأعلى الدينى والسياسى هو دولة الخلافة الإسلامية ليس الأمن القومى وحده هو جبهة الصدام بين جماعة الإخوان وبين القوى الأخرى غير الإخوانية فى المجتمع المصرى، ذلك أننا لا نجد لا فى أقوال ولا أفعال الجماعة ما يطمئننا على علاقة صحية مع المفكرين، والمثقفين والفنانين والعلماء ولا مع رجال الأعمال والقطاعات التمويلية فى الاقتصاد، وكذلك حول العلاقة بين العمال ورأس المال، ناهيك عن الحريات العامة وحقوق المواطنة، وغير المسلمين .

لقد عجز الإخوان حتى الآن عن تقديم إجابات مقنعة، أو على الأقل مطمئنة حول هذه القضايا وغيرها رغم الاجتهادات الكثيرة هنا وهناك من بعض مفكريهم والمنتسبين إليهم، لأنها كلها محاولات فردية ولم تنجح بعد

www.ibtesama.com/vb

فى إطار واضح يفصل ـــ كما سبق القول ـــ بين الدينى والسياسى والجماهيرى والحزبى ويضمن فى الوقت نفسه التفاعل بين كل هذه المستويات، بما لا يشكل خروجا على قيم وأحكام الإسلام، ولكن بما لا يخلط الكلى بالجزئى، والمطلق بالنسبى، وبما لا يخل باستحقاقات العصر، وحقوق غير المسلمين التى هى ليست منحة من أحد ولكنها حقوق طبيعية غير قابلة للإنكار .

لقد قدم فضيلة مفتى الجمهورية مقتبسا عن الشيخ محمد الغزالى التشخيص والدواء لمرض جماعة الإخوان العضال فى عبارة تعد من جوامع الكلم ..فإذا كان الإخوان جماعة من المسلمين فليتحولوا إلى جمعية خيرية، أو إلى حزب مدنى ذى مرجعية إسلامية، أما إذا كانوا هم جماعة المسلمين .. فليبقوا على ما هم عليه ..حتى يقضى الله أمرا كان مفعولا.

www.ibtesama.com/vb

عصير الكتب
www.ibtesama.com/vb
منتدى مجلة الإبتسامة

www.ibtesama.com/vb

الوطنى والإخوان ..معًا ضد التغيير

الشروق - ١٩ أكتوبر ٢٠٠٩

فى يوم واحد ..يقول الدكتور مفيد شهاب وزير الشئون البرلمانية والقانونية، لا تنتظروا مرشح الوطنى للرئاسة من مؤتمر الحزب المقبل .. ويقول المسئولون فى جماعة الإخوان المسلمين إن أزمة تصعيد الدكتور عصام العريان مستمرة .

فى السياق الطبيعى للحركة السياسية فى أن دولة من الدول المسماة بالديمقراطية ..أو الدول الطامحة إلى الديمقراطية ..فهذه أخبار عادية لا تحتمل أكثر من وجهها الظاهر ..والوجه الظاهر هنا فى حالة الحزب الوطنى ومؤتمره المقبل، هو التبرير الذى ساقه الدكتور شهاب نفسه، وهو يلقى هذا الدش من الماء البارد على مستمعيه فى مؤتمر جماعة الإدارة العليا، وعلى الرأى العام، والنخبة السياسية معهم ..

هذا التبرير هو أن المؤتمر المقرر انعقاده فى نهاية شهر أكتوبر الحالى للحزب الوطنى الديمقراطى هو المؤتمر السنوى ..ومن ثم فليس مطروحا على جدول أعماله قضايا كبرى مثل مرشح الحزب للرئاسة ..

وفى حالة الإخوان فإن ظاهر الأمر هو عدم توصل عملية الشورى والتوافق داخل الجماعة إلى اتفاق حول تصعيد العريان أو عدم تصعيده .. لكن لأن مصر ليست دولة ديمقراطية، ولا هى طامحة إلى الديمقراطية بجد فإن هذا» الظاهر «لا يفسر ما قيل، وما لم يقله أحد ..وهو الأكثر .

www.ibtesama.com/vb

لنأخذ حالة مؤتمر الحزب الوطنى ..وبقليل من الجهد نتذكر أن قرار تصعيد جمال مبارك إلى موقع الأمين العام المساعد، واستحداث أمانة السياسات ووضعه على رأسها اتخذا فى مؤتمر سنوى للحزب، لكن بفرض أنه ليست هناك أسباب تدعو للعجلة فى تسمية مرشح الحزب لانتخابات الرئاسة المقبلة بدعوى أنه لا يزال متبقيا على موعدها عامين كاملين، فليس هناك ما يمنع، من طرح القضية منذ الآن، وهذا» الآن «ليس مبكرا على الإطلاق كما يقول المسئولون فى الحزب والحكومة، بل العكس هو الصحيح، إذ هناك ما يحتم طرح القضية وحسمها، أو إعطاء مؤشرات واضحة حول اتجاهات حسمه .

إذ أن القضية مطروحة بقوة وإلحاح لدى كل الأوساط فى مصر، وفى الخارج، والحديث فيها لا يتوقف يوما، والصامت الوحيد هو الحزب الوطنى وحكومته، وهو صمت لا يفسره أن القضية ليست مهمة أو ملحة عند الحزب والحكومة، ولكن يفسره عدم القدرة على الحسم فى غالب الأمر ما بين ترشيح الرئيس مبارك لفترة سادسة، وما بين ترشيح بديل له قد يكون جمال مبارك أو غيره ..

ما يرجح أن عدم القدرة على الحسم هى التفسير الصحيح، هو أن الحزب الوطنى يلتزم النهج نفسه فى بقية الاستحقاقات السياسية، بما فى ذلك تلك الاستحقاقات، التى سبق للحزب نفسه أن اعترف بها، والتزم بالاستجابة لها ..

فى وثيقة الأهم فى عمل أى حزب سياسى يستحق أن يطلق عليه هذا الاسم، وهى» برنامج الرئيس مبارك الانتخابى ..«فقد تضمن هذا البرنامج التزاما تعاقديا مع أعضاء الحزب، ومع الناخبين والرأى العام بإلغاء حالة الطوارئ واستبدالها بقانون شامل لمكافحة الإرهاب، والتزم برنامج الرئيس

www.ibtesama.com/vb

فى الانتخابات السابقة أيضا بإصلاح نظام الانتخابات النيابية عن طريق إقرار قانون لمباشرة الحقوق السياسية، كما التزم الرئيس كذلك بوضع قانون جديد للحكم المحلى يعزز الاتجاه نحو اللامركزية باعتبارها مطلبا ديمقراطيا ملحا ..

وكانت تلك الالتزامات الثلاثة حلقة رئيسية فى برنامج الإصلاح السياسى الشامل، ولكن شيئا منها لم ينفذ، والأدهى أن مؤتمر الحزب الوطنى المقبل ممنوع ـ كما يفهم من تصريح الدكتور شهاب ـ من وضع هذه المسائل الثلاث على جدول أعماله، أو إثارتها ولو عرضا، حتى لمعرفة أسباب عدم تنفيذ الالتزامات الرئاسية، ولابد أن هناك أسبابا، وقد تكون مقنعة، وقد لا تكون، لكن من حق أعضاء المؤتمر أن يعرفوا، ويعرف المجتمع، وبقية القوى السياسية من خلالهم تلك الأسباب، وهذا أضعف الإيمان .

لأن الأصل فى الأشياء أن يسائل مؤتمر الحزب حكومته عن عجزها أو تقصيرها فى تنفيذ التزامات قطعت فى برنامج انتخابى على المستوى الرئاسى، ويفترض أن يكون لهذا المؤتمر وحده سلطة قبول مبررات الحكومة أو رفضها، ومن ثم إعادة تكليفها من جديد بالوفاء بتلك الالتزامات، وتكليف الهيئة البرلمانية للحزب بمتابعة حث الحكومة، ومتابعة تنفيذها لتكليفات مؤتمر الحزب .

سيتهكم البعض، وسيتهموننى بالسذاجة لأننى أتحدث كما لو كان هناك حزب بجد اسمه الحزب الوطنى، وكما لو كانت هذه المؤتمرات السنوية، مؤتمرات حزبية بجد، وكما لو كانت تلك حقيقة برلمانية بجد، ولكنى أعرف ما يعرفه هؤلاء المتهكمون، وأوافقهم على أنه ليس هناك حزب بجد، وإلخ ..

www.ibtesama.com/vb

ومع ذلك فليس هذا هو التفسير الصحيح لظاهرة إدارة الحياة السياسية فى مصر بهذه الطريقة المظهرية، والمظهرية فقط، إذ إن التفسير الوحيد هو رفض التغيير والإصلاح من حيث المبدأ ليس حبا فقط فى الأمر الواقع، وخوفا من المجهول، ولكن ـ وهذا هو الأهم ـ لأن القرار فى مثل هذه المسائل ليس مدفوعا، ولم يكن مدفوعا بالشعور الواعى والمسئول باستحقاق التغيير، وضرورته لمستقبل البلاد وشعبها، ولم يكن القرار فى مثل هذه القضايا مدفوعا فى أى لحظة بضغوط الرأى العام، والقوى السياسية المجتمعية، ولكنه يتخذ أو يحسب بمنطق شروط المؤسسات الحاكمة لإنتاج وإخراج وضع سياسى بعينه يكرس القائم، ويتحكم فى المستقبل، دون اعتبار لأى شىء آخر ..ولذا فإذا كان إلغاء حالة الطوارئ سيعرض هذه الشروط الخطر، فلا داعٍ لتنفيذ كل هذا الالتزام الذى كان فى الأساس تلبية لمطلب أمريكى دائم، وإذا كان تعديل النظام الانتخابى سيعرض تلك الشروط لخطر إضعاف سلطة الحكومة فى عملية إنتاج وإخراج الوضع السياسى، فلا داعٍ للتنفيذ ..ثم لا داعٍ مطلقا لطرح الأمر للنقاش فى مؤتمر الحزب، أو أمانته العامة أو هيئته البرلمانية، ما دام لا يوجد، ولن يوجد "عباقرة" يبتكرون صيغة للتغيير لا تغير شيئا، ولا تغير أحدا وتبقى علاقات القوى السياسية كما هى، ثم يقتنع الجميع بأن التغيير قد حدث ..

وحتى يستطيع الحزب الوطنى اكتشاف هؤلاء العباقرة، الذين لم تنجبهم البشرية كلها بعد، تعالوا نلقى نظرة أوسع من قضية عصام العريان، قضية التغيير عند الإخوان المسلمين .

التغيير الوحيد الذى يفهمه الإخوان، ويقبلونه، ويسعون إليه هو أن يحكموا البلد بدلا من الحزب الوطنى، ولكن بشرع الله كما يفهمونه، ودون ذلك فالتغيير عندهم أيضا جرى فى المكان .

www.ibtesama.com/vb

انظروا قضية التحول إلى حزب مدنى ..كانت القضية مطروحة منذ عام أو عامين بقوة، واستجاب الإخوان مبدئيا فوضعوا مشروع برنامج لمثل هذا الحزب المدنى أى المرجعية الإسلامية، وعرضوه على بعض الخبراء والجهات، وفجأة توقف كل شىء مرة واحدة ..

وبذلك يتضح أن الأسباب لا تختلف فى قليل أو كثير عن أسباب الحزب الوطنى فى قطع العهود، ثم التهرب منها، وتجميدها حتى يطويها النسيان، فلقد استجاب الإخوان لفكرة الحزب المدنى تحت ضغوط أكثرها وأهمها خارجى، أطلقتها هجمات 11 سبتمبر الإرهابية على الولايات المتحدة ومضاعفاتها، والغزو الأمريكى للعراق، وضغوط إدارة بوش الأمريكية »الزائلة «على النظم العربية من أجل الإصلاح السياسى، ولأن كثيرين تصوروا أن هناك فرصة، أو دور للإخوان وبقية التيارات الإسلامية فى الحياة السياسية المستصلحة بالضغوط الأمريكية، فقد بقى على الإسلاميين أن يتبعوا حسن النية، ويستجيبوا للمتغيرات الجديدة لطمأنة غير الإسلاميين فى الداخل، والقوى النافذة فى الخارج، وكانت الوصفة هى التحول إلى حزب مدنى، وما دام الإصلاح توقف، والفرصة تبددت، فليتجمد مشروع الحزب المدنى، وتكون المعاذير هى انتظار التوافق على قضايا رئاسة المرأة أو القبطى للجمهورية إلى آخر هذه القضايا التى كان ينبغى حسمها منذ فترة طويلة .

بل انظروا إلى قضية الخلافة السياسية، فالأستاذ مهدى عاكف المرشد الحالى للجماعة يؤكد المرة تلو المرة أنه سيترك موقعه فى العام المقبل ـ كما وعد ـ ولكن الجماعة تبدو غير قادرة على إبراز شخصية الخليفة المنتظر، ليس بسبب» الديمقراطية «لا قدر الله، ولكن بسبب العجز عن التغيير، أو الخوف منه، وما قضية تصعيد عصام العريان، من عدمه، إلا مظهر من

www.ibtesama.com/vb

مظاهر هذا العجز أو الخوف، إذ يعنى تصعيد عصام العريان ترجيح كفة المجددين فى مكتب الإرشاد، فى وقت لا تزال الجماعة فيه تريد ـــ مثلها مثل الحزب الوطنى تغييرا لا يغير شيئا، ولا يغير أحدا ..

وعلى هذا المنوال يعالج الإخوان بقية قضاياهم، وإشكالاتهم مع أنفسهم، ومع المجتمع ..مما ذكرناه بتفعيل أوسع فى الأسبوع الماضى .

دون مبالغة نظن أن حال الإخوان، والوطنى هو حال بقية الأحزاب، وراجعوا ما يحدث فى التجمع والناصرى، وما حدث فى الوفد ..وراجعوا ما يحدث فى بقية مؤسساتنا حتى غير السياسى منها، لا أدعى أننى أملك إجابة مقنعة حول ثقافة مقاومة التغيير السائدة فى كل المؤسسات، وفى وقت يطالب فيه الجميع بالتغيير، والأكثر من ذلك تفرض استحقاقات التغيير دون مماطلة، أو تلكؤ نفسها على مصر داخليا وخارجيا بقوة وإلحاح

إجابتى القاصرة هى أن مؤسساتنا توارثت عبقرية الخلط العمدى الخبيث بين الإدارة والسياسة، فالإدارة أمر من أعلى، والسياسة استلهام من أدنى، واستجابة لضمير الجماعة

www.ibtesama.com/vb

عبد العظيم حماد :

- بكالوريوس اقتصاد وعلوم سياسية – جامعة القاهرة – ١٩٧٢.
- رئيس تحرير الأهرام (سابقًا).
- رئيس تحرير الشروق (سابقًا).
- كبير مراسلى الأهرام فى ألمانيا (سابقًا).
- محرر شئون خارجية ومعلق سياسى : الإذاعة المصرية – مجلة أكتوبر – الأهرام.

مؤلفات وترجمات :

- أمريكا والعرب وإسرائيل : عشر سنوات حاسمة من ١٩٦٧، ١٩٧٦ (ترجمة) - تأليف : ويليام كوانت – دار المعارف – ١٩٧٩.
- نحو السلام فى الشرق الأوسط (ترجمة) – معهد بروكينجر – دار المعارف – ١٩٧٩.
- أرض واحدة وأمتان (ترجمة) – تأليف : إيلى الياشر – دار المعارف – ١٩٧٩.
- الإطار الاستراتيجى للسوق العربية المشتركة (تأليف) – جامعة أسيوط – ٢٠٠٠.

www.ibtesama.com/vb

- أزمة المياه العربية (تأليف) – مركز الحوار العربى الأوروبى – ١٩٩٩.
- النيل : تعاون لا مواجهة (تأليف) – المركز العربى للدراسات الاستراتيجية – ١٩٩٩.
- ما الذى يجرى فى آسيا (بالاشتراك مع آخرين) – ١٩٩٨.
- الثورة التائهة : صراع الخوذة واللحية والميدان ..رؤية شاهد عيان – مركز المحروسة للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات – الطبعة الأولى يناير ٢٠١٣، الطبعة الثانية إبريل ٢٠١٣

تحت الطبع للمؤلف :

- مقالات الثورة.

الكتاب التالى للمؤلف :

- نقد العقل الإخوانى.

www.ibtesama.com/vb

منافذ بيع مكتبة الأسرة
الهيئة المصرية العامة للكتاب

www.ibtesama.com/vb

عصير الكتب
www.ibtesama.com/vb
منتدى مجلة الإبتسامة

www.ibtesama.com/vb

مكتبة المعرض الدائم

١١٩٤ كورنيش النيل - رملة بولاق

مبنى الهيئة المصرية العامة للكتاب

القاهرة

٢٥٧٧٥٠٠٠

ت : ٢٥٧٧٥٢٢٨ داخلى ١٩٤

٢٥٧٧٥١٠٩

مكتبة مركز الكتاب الدولى

٣٠ ش ٢٦ يوليو - القاهرة

ت : ٢٥٧٨٧٥٤٨

مكتبة ٢٦ يوليو

١٩ ش ٢٦ يوليو - القاهرة

ت : ٢٥٧٨٨٤٣١

مكتبة شريف

٣٦ ش شريف - القاهرة

ت : ٢٣٩٣٩٦١٢

مكتبة عرابى

٥ ميدان عرابى - التوفيقية - القاهرة

ت : ٢٥٧٤٠٠٧٥

مكتبة الحسين

مدخل ٢ الباب الأخضر - الحسين - القاهرة

ت : ٢٥٩١٣٤٤٧

مكتبة المبتديان

١٣ش المبتديان - السيدة زينب

أمام دار الهلال - القاهرة

مكتبة ١٥ مايو

مدينة ١٥ مايو - حلوان خلف مبنى الجهاز

مكتبة الجيزة

١ ش مراد - ميدان الجيزة - الجيزة

ت : ٣٥٧٢١٣١١

مكتبة جامعة القاهرة

خلف كلية الإعلام - بالحرم الجامعى

بالجامعة - الجيزة

مكتبة رادوبيس

ش الهرم - محطة المساحة - الجيزة

مبنى سينما رادوبيس

مكتبة أكاديمية الفنون

ش جمال الدين الأفغانى من شارع

محطة المساحة - الهرم

مبنى أكاديمية الفنون - الجيزة

www.ibtesama.com/vb

مكتبة الإسكندرية

٤٩ ش سعد زغلول - الإسكندرية

ت : ٠٣/٤٨٦٢٩٢٥

مكتبة الإسماعيلية

التمليك - المرحلة الخامسة - عمارة ٦

مدخل (أ) - الإسماعيلية

ت : ٠٦٤/٣٢١٤٠٧٨

مكتبة جامعة قناة السويس

مبنى الملحق الإدارى - بكلية الزراعة -

الجامعة الجديدة - الإسماعيلية

مكتبة بورفؤاد

بجوار مدخل الجامعة

ناصية ش ١١، ١٤ - بورسعيد

مكتبة أسوان

السوق السياحى - أسوان

ت : ٠٩٧/٢٣٠٢٩٣٠

مكتبة أسيوط

٦٠ ش الجمهورية - أسيوط

ت : ٠٨٨/٢٣٢٢٠٣٢

مكتبة المنيا

١٦ ش بن خصيب - المنيا

ت : ٠٨٦/٢٣٦٤٤٥٤

مكتبة المنيا (فرع الجامعة)

مبنى كلية الآداب -جامعة المنيا - المنيا

مكتبة طنطا

ميدان الساعة - عمارة سينما أمير - طنطا

ت : ٠٤٠/٣٣٣٢٥٩٤

مكتبة المحلة الكبرى

ميدان محطة السكة الحديد

عمارة الضرائب سابقًا - المحلة

مكتبة دمنهور

ش عبدالسلام الشاذلى - دمنهور

مكتب بريد المجمع الحكومى - توزيع

دمنهور الجديدة

مكتبة المنصورة

٥ ش السكة الجديدة - المنصورة

ت : ٠٥٠/٢٢٤٦٧١٩

مكتبة منوف

مبنى كلية الهندسة الإلكترونية

جامعة منوف

توكيل الهيئة بمحافظة الشرقية

مكتبة طلعت سلامة للصحافة والإعلام

ميدان التحرير - الزقازيق

ت : ٠٥٥٢٣٦٢٧١٠ - ٠١٠٦٥٣٣٧٣٣٢

www.ibtesama.com/vb

عصير الكتب
www.ibtesama.com/vb
منتدى مجلة الإبتسامة

www.ibtesama.com/vb

طبعة خاصة يصدرها مركز المحروسة
للنشر والخدمات الصحفية والمعلومات
بمناسبة مشروع مكتبة الأسرة ٢٠١٤

www.ibtesama.com/vb

عصير الكتب
www.ibtesama.com/vb
منتدى مجلة الإبتسامة

www.ibtesama.com/vb

إنسانيات

عصير الكتب
www.ibtesama.com/vb
منتدى مجلة الإبتسامة

سلسلة تعنى بنشر الحقول المعرفية، التى تهتم بدراسة الإنسان وتاريخه وطبيعته وبيئته وقدراته الإدراكية وواقعه الاجتماعى والثقافى والسياسى، بالإضافة إلى النواحى المختلفة من النشاط البشرى وما ينشغل به البشر من إشكاليات حياتهم ومجتمعهم، وأنساق ثقافاتهم وقيمهم فى علوم مختلفة مثل: التاريخ والفلسفة والأنثروبولوجيا والاقتصاد والنقد الأدبى والقوانين والتشريع والعلوم السياسية إلى غيرها من المعارف العامة، التى يترقبها المتلقى ويحرص على متابعتها لتساعده فى تكوين مرجعيته الثقافية العامة.

ISBN# 9789774487231
6 221149 031470

www.ibtesama.com/vb

www.ibtesama.com/vb